من
همس المناجاة
وحديث الخاطـر

(٢)

رجائـي عطيـة

المكتب المصري الحديث
www.almaktabalmasry.com

جميع حقوق الطبع والنسخ والنشر محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

عطية ، رجائي .

من همس المناجاة وحديث الخاطر / رجائي عطية .ـ ط١ ـ القاهرة : المكتب المصرى الحديث، ٢٠١٢. مج ٢،

٣٥٦ ص؛ ٢٠ سم .

تدمك ٣ ٢٢٦ ٢٠٩ ٩٧٧

١- التصوف الاسلامي

٢- الفلسفة الاسلامية

أ - العنوان

رقم الايداع ٩٣١٢ / ٢٠١٢

لا يجوز إعادة نسخ أو طبع أو نشر هذا الكتاب أو أى جزء منه بأى طريقة كانت ميكانيكية أو إلكترونية أو التصوير أو التسجيل أو البث عن طريق الشبكات الإلكترونية أو غيرها إلا بموافقة المؤلف على ذلك كتابة ومقدمًا

المكتب المصرى الحديث

may642003@yahoo.com

www. almaktabalmasry. com

القاهرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت: ٢٣٩٣٤١٢٧

الإسكندرية : ٧ شارع نوبار المنشية ت: ٤٨٤٦٦٠٢

تقديـــم

هذه نبضات وسبحات ، بعضها حصاد تـأمل شخصى ، وأخرى من فيوض حكـم وتأمــلات صـادفتنى ، فـامتزج فى ذلـك همـس المناجاة مع حديث الخاطر .

رجائى عطية

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٠١)

- تداخلت وتتداخل وستتداخل الأحلام والأوهام فى أفهام البشر وتصورهم لواقعهم الذى لا يكاد يوجد صافيًا نقيًا صادقًا كليًا وجزئيًا قط .. ولكن حياتنا لا تكف عن دفع الأحياء إلى المزيد من الإفاقة والالتفات والفطنة ، وقد يحجب عنا ذلك فى أيامنا هذه كثرة عدد الجهلاء والأشرار التى لم يسبق لها نظير ، وكثرة عدد العارفين الطامعين أو المتمسكين فعلًا بالسلطة والمال جريا وراء الذات الفانية المفضلة لدى هؤلاء وأولاء على الإنسانية والنظافة !
- من الحكم العطائية : «لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوفٌ مزعج ، أو شوقٌ مقلق» !
- قال بعض الحكماء من الزمن الأول : لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة مفلسين .
- قد يلقى المتقربون من الملوك والحكام ، من الغيرة والحسد والطعنات ، أكثر مما يصادفونه من المنازل والحظوات !!
- ليس فاضلا ولا هو فضل منه ، من أقعده العجز أو الضعف عن التجنى عليك !

وقديما قال الشاعر :

فما حياة امرئٍ أضحت مدامعه مقسومة بين أحياءٍ وأمواتٍ ؟

***

- الجماعات صغيرة أو كبيرة محملة بالكثير من خصائص الآدميين ، لأنها نتاج تجمعهم الدائم أو شبه الدائم فى كل مكان وزمان يوجد فيه البشر .. فهى تتعرض ضمن ما تتعرض له لكى تكون مرآة ملازمة يشهد فيها من يريد ما تعكسه باطراد واستمرار من صور متلاحقة لا تنقطع هنا وهناك .. هذه الصور غير دقيقة أو غير حقيقية تلقائية أو مفتعلة ، يهتم بها ويتتبعها الحكام ومرؤوسوهم فى أداء مهامهم ، كما يتتبعها الخاصة والعامة لإشباع الرغبة فى التعرف والشوق إلى التطلع أو الحرص على المكانة والطمع فى الاشتهار والسمعة .. فالجماعات كلها جعبات مختلطة بما هو واقع وما هو متخيل وما هو تلقائى معتاد وما هو مصطنع مفتعل ، وبتزاحم الحاصل بالفضول والادعاء والشهوات والأوهام !
- من الحكم العطائية : «كما لا يحب العمل المشترك كذلك لا يحب القلب المشترك : العمل المشترك لا يقبله ، والقلب المشترك لا يقبل عليه» !
- لا تكلف صديقك بما لا يطيق ، ولا تنتظر منه أكثر مما يقدر عليه .
- من أقوال أفلاطون : صديق المرء عقله ، وعدوه جهله !
- ما أبأس حال من تعايشوا على الرياء والنفاق ، وتعاشروا بالتمويه والأكاذيب !

***

- لا يسلم ماضينا أو حاضرنا وربما مستقبلنا من أخطار اختلاط الخيال بالواقع ، والمفتعل بالتلقائى ، وانتشار التراخى والإهمال وغلبة الرغبات وطغيان الأغراض والمصالح الخاصة دون المبالاة بمآسيها !
- من الحكم العطائية : «أنوارٌ أُذن لها فى الوصول ، وأنوارٌ أُذن لها فى الدخول» .

- أشرّ المنافقين ، من نافق بالدين واستباح أن يوظفه لتبرير كذبه !
- يروغ اللئيم من الحق كما يروغ الثعلب !
- خير الأصحاب من ستر ذنبك فلم يقرعك عليه ، ومعروفه عندك فلم يمنن عليك به .
- لا ينبغى للعاقل أن يطيع داعى هواه !

***

- يجب ألاّ ننسى أن كل ما فى الجماعات صغيرها وكبيرها متقدمها ومتأخرها من أصول وقواعد وأنظمة وإدارات وطبقات ، ومن حضارات وعمار ومدنية وعلوم وفنون وآداب ، ومن عقائد وأخلاق وإنسانيات كل ذلك مردودات عظيمة لبشر يجب ألاّ ننساها حين نذكر أغلاطهم وأخلاط هؤلاء البشر التى ليس لها آخر حتى الآن !
- من الحكم العطائية : «ربما وردت عليك الأنوار فوجدت قلبك محشوًّا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت» .
- من المهالك التى لا ينجو منها طامع : حب الجاه ، وحب الرئاسة ، وحب المال !!!
- اجتنب مصاحبة الكذاب ، فإن اضطررت إليها فلا تصدقه ، وحذار أن تعلمه أنك كشفت كذبه

  فيوارى أمره ويضمر إيذاءك بطبعه !
- الشكر لله مراد لنفسه ، والصبر مراد لغيره ، ويُحْمد الصبر لأنه يفضى إلى الشكر ، ويوصل إليه ، فهو له خادم .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٠٢)

- يبدو أن أصل وجود الأسرة البشرية ابتداءً وانتهاءً هو العاطفة لا العقل فى الأغلب الأعم ، وهو قد انتقل وما زال ينتقل من الأسرة إلى الجماعة التى تتكون من الأسر كفروع وقبائل وشعوب وأمم يسود فيها فى كل زمان ومكان عمل العواطف وأهوائها واستعدادها للإثارة والهياج والانتشار . وهو ما لا تخلو منه جماعة عرقية فى إطارها المحدود بأفرادها المتأثرين بذلك ، ولوقت طال أو قصر ! ولكن إن تجاوز هذا حده إلى الكثرة وعلت أصواتهم باحتجاجاتهم واعتراضاتهم ثم بمقاومتهم للسلطات ، اهتز أمن الجماعة وتعين على حكامها صيانته بالاجتهاد فى إخماد الاضطراب بالقمع أو بالمصالحة أو بهما معًا .
- من الحكم العطائية : «فراغُ قلبك من الأغيار يملأه بالمعارف والأسرار» .
- من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس .

ومن عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه ..

- حاذر أن تضرك الشواغل إذا خلوت منها وأنت فيها ، نور الحق أضوأ من الشمس ، والطريق إلى الله خالٍ من أهل الشك ومن الذين يتبعون الشهوات ، وهو معمور بأهل اليقين والصبر ، وهم على الطريق كالأعلام . وفى القرآن الحكيم : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة] .

***

- اطراد الرقى والأمان فى الجماعات البشرية محقق ، لكنه ليس دائمًا .. لأن تحقيقه يحتاج لكفاية عدد الأفراد المعتادين على الإصرار والصبر على العمل الجاد والتعلم الذى لا يتوقف ، ويحتاج إلى دوام المزيد من المعرفة .. فهؤلاء الأفراد هم الذين ينشرون تفضيل هذه الصفات واستحسانها فى الجماعة ، وهم الذين يزيدون باستمرار الأعداد الجديدة التى تتصف بتلك الصفات .. ويستحيل أن ترتقى أى جماعة إن ندر فيها هذا الصنف من الجادين ، لأن ندرته دليل قاطع على ركودها وعلى أنها فى طريقها إلى الانحدار ثم التخلف الفاجع .
- من الحكم العطائية : «لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال»!
- أنفع العمل أن تغيب فيه عن الناس بالإخلاص ، وعن نفسك بشهود المنّة ، فلا ترى فيه نفسك ولا ترى فيه الخلق .
- إذا استقرت شهادة أنّ لا إله إلا الله بالقلب والجنان ملأت حنايا العبد بالإيمان ، وعمرته بالهداية ، وأماتت فيه الشهوات ، وخضع بين يدى ربه فاطره ومولاه ، وارتجى صادعا عفوه ومغفرته ورحمته ، وأقبل فرحا مستبشرا على لقائه .

***

- عدم مبالاة الجماعات الراقية بتعاسة وبؤس وشقاء أهل الفاقة شىء غير إنسانى فى ذاته ، فضلًا عن أن يصاحبه احتقار وتعال وزهو الكبير أو الغنى أوالقادر على الصغير أو الفقير أو العاجز !! يشيع هذا ويستمر للأسف مع حيلة المختال وخبث الخبيث ونقصان قدرة الكثرة المقابلة أو المضادة على التزام الإصرار والصبر على العمل الجاد للخروج من وهدة السقوط إلى شاطئ الحياة !

- من الحكم العطائية : «حقوق فى الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها : إذ ما من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد ، وأمر أكيد ، فكيف تقضى فيه حق غيره ، وأنت لم تقض حق الله فيه ؟!» !

- تأتى المهاوى إلى النار من أبواب ثلاثة :

شبهة أورثت شكا فى دين الله !

شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته !

غضب أورث العدوان على خلقه !

- فرغ خاطرك للهمّ بما أمرت ، ولا تشغله بما ضُمن لك ، فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان ، فما دام الأجل باقيا كان الرزق آتيا ، والله ﷻ إذا سد عليك بحكمته طريقا من طرقه فتح لك برحمته طريقا أنفع لك منه .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٠٣)

- قلما يشعر البشر فعلا وحقيقة بالمخاطر الهائلة التى تحيط بهم أفرادا وجماعات فى كل زمان ومكان .. عالمين أو جاهلين فى أفكارهم وتصوراتهم وتصرفاتهم ، وهم لا يعرفون هذه المخاطر ولا يحاولون فى الأغلب الأعم معرفتها ؛ لأنهم فى سذاجة عميقة منذ وجدوا .. يتصورون أنهم هم الذين يحفظون ويحافظون على الحياة فى كل فرد حى وكل جماعة حية ، وذلك رغم جهلهم الذى يكاد يكون مطبقا بحقيقة جميع ما فى داخلهم وخارجهم من آلاف الآلاف من الطاقات والقوى والمركبات والعناصر والاتحادات والانفصالات داخل كل حىّ ، وغير حىّ .
- من الحكم العطائية : «ما فات من عمرك لا عوض له ، وما حصل لك منه ، لا قيمة له» !
- أصول الخطايا ثلاثة :

الكبر الذى دفع إبليس إلى ما صار إليه !

المعصية التى أخرجت آدم من الجنة !

الحسد الذى دفع أحد ابنى آدم إلى قتل أخيه !

- لو أنصف العبد ربه وأنّى له بذلك ، لعلم من فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك .. ولأدرك أن ما منعه سبحانه وتعالى إلاّ ليعطيه ، ولا ابتلاه إلاّ ليعافيه ، ولا امتحنه إلاّ ليصافيه .

***

- برغم التناقض الشديد بين الاجتهاد والانكباب والجد والإخلاص فى التعلم والفهم والتفطن والاستبصار والكشف والتجربة والمثابرة عليها والاختراع الذكى الناجح ، وبين الخمول والكسل وعدم المبالاة والجهل الدائم المتراكم وشدة الغفلة وكثافة الحماقة والنزق والغرور ، وبين المرض المزمن والعاهة والشيخوخة والموت الذى لايخطئ أى حىّ .. نقول قد توجد علاقة تحتية أعمق من أن يلمسها إحساس البشر والتفاتهم ، ربما كانت هى إعداد الأحياء للفناء المتزامن مع الحياة لأنهما لا يوجدان إلا معًا : لا حياة إلاّ بفناء ولا فناء إلا مع حياة !
- من الحكم العطائية : «ما أحببت شيئا إلا كنتَ له عبدا ، وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا» .
- الصمت زينُ العالم ، وسترُ الجاهل !
- ألقى الله سبحانه وتعالى العداوة بين الشيطان والمَلَك ، وبين العقل والهوى ، وبين النفس الأمّارة والقلب ، وابتلى العبد بذلك ، وجمع له بين هؤلاء وأمدّ كل حزب بجنود وأعوان ، فلا نزال الحرب بين النقيضين سجالًا ، والفائز من انتصر عقله على هواه ، وقلبه على النفس الأمارة .

***

- نحن الآدميين لا نصنع الحياة قط ولا نصنع الفناء قط ، وإنما نسايرهما مسايرة الصانع القاصد للون أو أكثر من ألوان الحياة وأطيافها .. تختاره دائما اختيار غير المتأكد الذى يظن أنه يعرف ، وأنه يمكنه أن يصل ويحقق مراده أو مشتهاه أو هما معًا فى زمن ومكان ما ، قبل أن يختفى بالموت .. هذا الموت الذى قد يهونه عليه بقاء الأبناء واستمرار بقاء الجماعة فيما بعده دون أن يحسب حساب هذا أو ذاك بدقة وإلى أى مدى سيكون !

فضلًا عن أن يراقبه ويقوده أو يرشده ! إن غرس الإيمان والتخلق بروح وجوهر الإسلام يزرع فى الوجدان فهمًا مستنيرًا وإدراكًا واعيًا للحياة ، إذ للحياة ضياء شامل تحجب شدته عيون وعقول البشر كافة عن رؤية غيرها وعلى الأخص رؤية ما بعدها لمن يفقدها !

- من الحكم العطائية : «لا تنفعه طاعتك ، ولا تضره معصيتك ، وإنما أمرك بهذه ، ونهاك عن هذه ، لما يعود عليك» .
- هلاك من هلك من الأمم فيما سلف ، إنما وقع بحب الرياسة !
- من تمام نعمة الله تعالى عليك ، أن يعينك على الخروج من سجن الشيطان ، وأن يفك قيودك لتنهل من إنعامه سبحانه فى باحات الهداية .

***

- يبدو أن «الأنا» حاضرة على الدوام فى صفحة وجدان الحىّ ، لا تغرب عن شاشتها قط ، حتى فى اللحظات أو المواقف التى يتبدى فيها أن الحىّ فى حالة عطاء أو اهتمام أو بذل أو عناية بالآخر ، لا تغرب " الأنا " عن الحضور فى صفحة وجدانه !
- من الحكم العطائية : «لا يزيد فى عزه إقبال من أقبل عليه ، ولا ينقص من عزه إدبار من أدبر عنه» !
- من عرف مواضع الشك وحالاته الموجبة له ،عرف بالتبعية مواضع اليقين والحالات الموجبة له.
- أعلى الهمم فى طلب العلم طلب علم الكتاب والسنّة والفهم عن الله ورسوله نفس المراد وعلى حدود المنزل ، وأخذ العلم سبيلًا إلى الهداية والإصلاح .
- وأخس الهمم فى طلاب العلم قصر الهمّة على تتبع شواذ المسائل ، أو معرفة الاختلاف وتتبع أقوال الناس فيما لا ينفع أحدًا بعلمه !

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٠٤)

- العبادة طريق رئيسى لمنع وعى الآدمى من إسكات الشعور بالذات وإغراقه فى شواغل وصوارف الحياة العادية بالإكثار من ذكر الله .. هذا الذكر المرجو أن يصاحب الآدمى مصاحبة حاضرة تدعو إلى مقارنة هذا الذكر بالشواغل والصوارف فى أوقاتها وفرصها ، فيخفف ويضعف من استغراق الخلق فى همومها وشهواتها ، وذلك بحسبان أن وعى الآدمى يشترك حتمًا فى ذكر الله ، على ألاّ يقتصر هذا الذكر على ترديد الألسنة والشفاه آليًا بغير وعى فيصير كما هو مشاهد مجرد تعويذات ورُقى يستخدم ترديدها لتيسير الأفعال مشروعة أو غير مشروعة وللنجاة من العواقب الطبيعية المترتبة على المجازفات والمغامرات !
- من الحكم العطائية : «وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به ، وإلا فَجَلَّ ربنا أن يتصل به شىء ، أو يتصل هو بشىء» .
- قال حكيم من الزمن الأول : نازعت الشاكّين والجاحدين ، فوجدت الشُّكَّاك أبصر بجوهر الكلام من أصحاب الجحود !!
- أعلى الهمم فى باب الإرادة أن تكون الهمّة متعلقة بمحبة الله والوقوف مع مراده ، وأسفلها أن تكون الهمّة واقفة على مراد صاحبها الذى يعبد لمراده هو لا لمراد الله تعالى منه . فالأول يريد الله ويريد مراده ، والثانى يريد من الله وهو فارغ من إرادته .

***

- فى اعتقادى أن التفات وعى الآدمى لوجود الحق تبارك وتعالى وحرصه على تذكر وجوده فى معظم أوقات يقظته يقيه من الوقوع فى كثير من الغفلات والأغلاط والاندفاعات والشهوات التى يعجز العقل العادى وحده عن الوقاية من الوقوع فيها ، بيد أنه يلزم لهذا الالتفات وهذه الوقاية وجود الثقة الجازمة فى صحة وجود الحق تبارك وتعالى وانقطاع كل شك أو ريبة أو احتياج إلى مزيد من الإثبات انقطاعًا باتًا مألوفًا معتادًا طبيعيًا . وهذا هو الإيمان بوجوده سبحانه تعالى أى التسليم التام بوجوده أو إسلام الوجه والعقل والقلب لوجوده كإسلامها لوجود النفس والذات تمامًا وبنفس القدر من البداهة والتيقن .
- من الحكم العطائية : «قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه ، وإلا فمن أين أنت ووجود قربه ؟!» .
- نقل الجاحظ فى كتاب « الحيوان» ، عن أبى إسحق : الشكّاك أقرب إليك من الجاحد ، ولم يكن يقين قط حتى كان قبله شكٌ ، ولم ينتقل أحدٌ عن اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك !
- إذا كان الله وحده حظك ومرادك ، فالفضل كله تابع لك .. يزدلف إليك أىّ أنواعه تبدأ به أو تنتهى إليه .

***

- سعة الصدر موهبة لأنها استعداد لدى بعض البشر وليس عند غالبيتهم .. هذا الاستعداد الذى يؤهل صاحبه للتعامل مع الغير أيا كان هذا التعامل بلا أدنى توتر أو ضيق .. هذا الآدمى الموهوب بسعة الصدر فى اقتناع فطرى دائم لا يتزعزع بأن حياته من بدايتها إلى نهايتها مشاركة مع الآخرين ، تتشوه وتفقد مذاقها وطعمها وقوامها وقيمتها إذا خرج منها الآخرون تحت أى ظرف .. لذلك لا يمكنه أن يقطع كليةً الاتصال

والتواصل معهم وبينه وبينهم .. لا يفارقه الشعور بضرورة أن يبقى قادرا على الاحتفاظ بالخيوط الرئيسية التى تربطه بهم وتربطهم به حتى مع الخلاف أو نشوب الخصومة ! سعة الصدر ليست ذكاءً ، ولا سعة علم ، بل كثيرا ما تعوز الألمعى اللماح ، وقد لا يتسع بها ولها علم العالم الفذ !

- من الحكم العطائية : الحقائق ترد فى حال التجلى مجملة ، وبعد الوعى يكون البيان : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة] » .
- من وجد ضالّته فرح بها .
- على من تفرد الأماني أن يتأمل كيف لُعِن إبليس وأُهبِطَ من منزل العز بترك سجدة واحدة أُمِر بها !! وكيف أخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها !!

***

- يبدو أن حياة أى آدمى كانت فى البداية كما هى الآن كبداية أى حى آخر معتمدة على يقظة ما تيقظ من حواسه ، وعلى كفايتها فى ربط ما بين الفرد والجزء من الكون الخارجى الذى يوجد فيه فى زمان ومكان ما ليستمد ما يمكنه أن يستمده مما يعيش به .. هذا ولأن الخالق جل وعلا قد ميز الآدمى على درجات بما نسميه نحن العقل الذى يشمل الفطنة والذاكرة والخبرة والذكاء والإصرار والصبر فإنه حتى يومنا هذا لا يستخدمه الآدمى إلاّ بحذر وتحفظ غالبًا ، وهو يستعمله وينتفع به فى مواجهة العقبات والعثرات فى طريق أغراضه ومطالبه وشهواته وأطماعه وفى محاولات التخلص من مخاوفه وأزماته ومشاكله ومشاكل أعزائه !
- من الحكم العطائية : «متى وردت الواردات الإلهية عليك هدمت العوائد عليك : ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ » .
- العوامُّ أقل شكوكًا من الخواص ؛ لأنهم لا يتوقفون فى التصديق

والتكذيب ولا يرتابون بأنفسهم ، فليس عندهم إلاّ الإقدام على التصديق المجرّد ، أو على التكذيب المجرّد ، وألغوا حال الشك ، وقد يكون الشك الطريق إلى اليقين .

- من أساء فى آخر عمره ، لقى ربه بذلك الوجه الذى أنهى به رحلته !! ولو تفطن العبد لتأمل كيف يختم أحذق الصناع عمله بأحسنه وأطيبه .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٠٥)

- قد ضاق بفضل النشر والإذاعة والتلفزيون الفضائى والأرضى ، وبفضل الصحف والمطبوعات التى ليس لها حصر والتى يتبادلها ويتناقلها العالم أجمع .. ضاق نطاق العالم الحالى فى نظر البشر، ولم يعد يعرف السكون أو السكوت ولا العد أو الحصر، فبات الملايين ومئات الملايين ممن لا يسكت أو يهدأ من القائلين والمرددين والمحتجين والموافقين .. باتوا متأثرين بجهود أجهزة الإعلام التى لا تنقطع ليلًا أو نهارًا بما يثير أو يقلق أو يهيج أو يخيف أو يحزن أو يلهى أو يغربل عامة الناس وخاصتهم .. وقد اعتادوا على ذلك وألفوه لأنهم ألفوا نوعًا من يقظة عجيبة صاخبة مشوشة متدفقة بخليط من الامتداد : أحلامًا وأوهامًا وإثارة وجبنًا وضحكًا وحزنًا وقلقًا وإغراء ولهوًا !!
- من الحكم العطائية : «الوارد يأتى من حضرة قهار ، لأجل ذلك لا يصادمه شىء ، إلا دمغه ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾».

- أمام جثمان الإسكندر ، وقف حكيم من الزمن الأول يقول :

«كان الملك يعظنا فى حياته ، وهو اليوم أوعظ منه حياً» !!

وعن هذا المعنى قال أبو العتاهية :

وكانت فى حياتك لى عظات   وأنت اليوم أوعظ منك حياًّ!

- من سنن الله تعالى فى كونه أن جعل الخير فى النهاية ، وجعل الآخرة خيرا من الأولى ، والنهايات أكمل من البدايات . وهو سبحانه القائل لرسوله المصطفى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ .

***

- عقولنا التى نتيه بها اليوم وكل يوم ، وندعى فى الغالب أننا نعتمد عليها فيما تنتهى إليه ما زالت مجرد خدم مستخدمة لإرضاء عواطفنا وشهواتنا المستبدة المتحكمة فينا .. فى إرادتنا وقراراتنا وتصرفاتنا واختياراتنا وعلاقاتنا الخاصة والعامة . كل آدمى استخدم ويستخدم وسيستخدم عقله وعقل غيره إن احتاج ، ولكن يستحيل أن يخضع ذاته للعقل فى جميع الأحوال دائما أو غالبًا .. لأن خضوعه الدائم أو الغالب لعقل غيره ، معناه أنه فقد ذاته ، وخضوعه الدائم أو الغالب لعقل نفسه معناه أنه فقد آدميته بفقد عواطف آدميته فلم يعد بشرًا !
- من الحكم العطائية : «كيف يحتجب الحق بشىء ، والذى يحتجب به هو فيه ظاهر ، وموجود حاضر ؟!» .
- بئس من يذكرك بالسوء فى غيابك ، ويلاقيك بالبشر والثناء !
- لا جدوى من معاتبة المَلول ، فإما تغير ما بينكما ، أو حل التكلف والتصنع محل ما كان يجمعكما من مودة !
- مَنْ لا يقدر على الصفح ، ندر أن يبقى له صديق !

***

- العقل من نعم الخالق جل شأنه التى يميز بها البشر على الحيوان والنبات بإمكانية النمو المتواصل فى اليقظة والإدراك والفهم والمعرفة والارتقاء

للفرد فى الجماعة وفى تطوير الحياة نحو الإنسانية الكاملة .. وهو كغيره من النعم مؤهل أيضًا لينقلب أداة لانتكاس وانحطاط وسقوط الآدميين المقدر عليهم ذلك ! إذ هى نعم يقابلها الآدمى ويدركها ويلمسها فى مراحل رقيه ، مثلما يقابل الآدمى حتمًا الحد الحاد لكل منها فى ظروف وعوامل ودواعى انحداره ..

- من الحكم العطائية : «لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور ، فربما قبل من العمل مالم تدرك ثمرته عاجلا» !
- قال حكيم من الزمن الأول : جالست الناس خمسين سنة ، فما جالست أحدًا إلاّ وهو يحب أن تنقاد الناس لهواه ، وإن الواحد منهم ليخطئ ، فلا يرضيه إلاّ أن يخطئ الناس جميعا !
- لا تأمن لواشٍ نمّام ، فمن نقل إليك نقل عنك . وقديمًا قال شاعر حكيم :

من نَمَّ فى الناس لم تُؤْمن عقاربه على الصديق ، ولم تُؤْمن أفاعيه !
فالويل للعهد منه ، كيف ينقضه والويل للودّ منه . كيف يفنيه !

- لا تسع لخطب ود من يزهد فيك ، فهذا من عماء البصيرة وقصر الهمة !

***

- نحن جميعًا إلى اليوم وإلى مستقبل لم نفطن إلى غرابة أننا نعيش غالبًا فى سلام ، ونموت فى ظل أوهام ألفناها .. هى أوهام السلطة والمقام والمكانة والأصالة والنفوذ والغنى فى ظل أوهام مقابلة ألفناها أيضاَ هى مصطلحات العامة والأوساط والعاديين والجمهور وأهل الحرف والعمالة ، وقد يضاف إليها أهل الافتقار والحاجة ! ذلك لأننا جميعًا لا نريد حتى الآن وإلى مستقبل ، ولا نقبل

برضاء تام وإخلاص كامل أن نسلم بأننا متساوون كأناسى حتمًا وأصلًا وماضيًا ومستقبلًا قبل وبعد أن نفترق هذا الافتراق الخيالى إلى سادة وعبيد أو إلى خاصة وعامة .. فهذه التفرقة جهالة من الجهالات التى كان على النوع البشرى أن يمر بها منذ بدايته إلى أن يبلغ كمال الوعى بإنسانيته فيحرص على حمايته وحفظه بكل ما لديه إن كتب له هذا الكمال إتمامًا لتمييزه عن أنواع الحيوان والنبات !!

- من الحكم العطائية : «لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته ، فليس المراد من السحابة الإمطار ، وإنما المراد منها وجود الأثمار» !
- قال أحد الصوفية فى الزمن الأول : ما يقف البشر على بُعد غَوْر قول الله تعالى : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ [طه] .. فإن فى هذه الكلمات ما لا يُبْلَغ كنهُه ، ولا يُنال آخرُه . ولو أن أرق الناس لسانا ، وألطفهم بيانا ، أراد أن يسبر حقيقة هذا القول لعاد حسيرًا ونكص مبهورًا وبقى عاجزًا .
- أحيانا ما لا تصيب سهام السم إلاّ راميها !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٠٦)

- أغلب أهل الأديان بعد البداية الأولى المليئة بالتصديق والإخلاص والحماس والتضحية قد فضلوا لظروفهم وما زالوا يواصلون تفضيل التعصب للدين مع الالتفات إلى الدنيا ! وهذا التعصب المطرد ، لا يحتاج لذلك الإيمان العميق ، كما لا يحتاج إلى الرحمة أو الإنسانية الملازمة للتدين الصادق ، والتى هى جوهر كل دين حقيقى وأساس وجوده الفعلى فى دنيا البشر!
- من الحكم العطائية : «النعيمُ وإن تنوعت مظاهره إنما هو لشهوده واقترابه ، والعذابُ وإن تنوعت مظاهره إنما هو لوجود حجابه ، فسبب العذاب وجود الحجاب ، وإتمام النعيم بالنظر إلى وجهه الكريم» .
- سأل رجلٌ أحد الحكماء من الزمن الأول عمن يجدر به الجلوس إليه وائتمانه على أسراره ، والثقة فيه ، فقال له :

« من إذا لم تكن لنفسك كان لك ، وإذا كنت لنفسك كان معك ، يجلو صدأ جهلك بعلمه ، ويشذب مادة غيّك برشده ، وينفى غش صدرك بنصحه . اصحب من إنْ قلت صدَّقك ، وإنْ سكتّ عذرك ، وإن بذلت شكرك ، وإن كففت عنه برّك ووصلك بخيره» .

فاستدركه الرجل سائلًا : مَنْ لى بمن هذا نعتُه (وصفه) ؟

قال الحكيم : كنْ أنت ذاك ، تجدْك على ذاك ، ويجدْك مثلُك على ذاك ، كأنك إنما تحب أن يكون غيرك لك ، ولا تحب أن تكون أنت لغيرك !

- قد تكون العداوة كامنة فى نفوس لا تظهر أحقادها إلاّ إذا وجدت مادة تهاجم منها !

وقديمًا قال شاعر :

كم مِنْ عدوٍّ أخى ضِغْنٍ يجاملنى   يخفى عداوته أن لا يرى طمعًا !

***

- التعصب للدين ، ينشد أولًا وأخيرًا الاستناد إلى الاقتدار والقوة وبسط السلطان والنفوذ والغنى وكل نشاط وغرض دنيوى عام أو خاص على سواه فى زمانه وعصره ! ولم يلبث شيوع هذا التعصب وتفضيل المتدينين إياه اعتيادًا والتزامًا أن شل حيوية الدين كل دين وامتصها ، فحال بينه وبين أن يساير تقدم البشر خطوة بخطوة ، وأن يواكب تطورهم جيلًا بعد جيل فى حياتهم على نحو فعال مثمر .. فاختفت خلال ذلك التقدم والتطور الدنيوى ، أصوات الرحمة والإنسانية ، وتغلبت عليها تمامًا وأسكتتها نداءات وإغراءات ومطامع العظمة والسؤدد والقوة والمقام والجاه والمغانم والمكاسب ، بلا تفريق بين مصادرها ووسائلها !
- لا تبك على من يظهر محبته ويتحين الفرص المواتية لإظهار ضِغْنه .. فلا خير فى صداقة متكلفة ، ولا أمان من كراهة دفينة !!

وقديمًا قال شاعر حكيم :

إذا المرء لم يُحببك إلاّ مُكرها   بدا لك من أخلاقه ما يُغالب

فدعه ، فصرم المرء أهون حادث   وفى الأرض للمرء الكريم مذاهب

- من الحكم العطائية :» ما تجده القلوب من الهموم والأحزان فلأجل ما منعته من وجود العيان» !
- يبقى الود ما بقى العتاب .
- لا توجد نار أبلغ فى إحراق أهلها من نار الغيظ !

***

- الحياة بشرية وغير بشرية ، محض احتمالات وظنون وآمال ومخاوف ، يكاد يتساوى فيها ما يصدق بها لا يصدق فعلًا . وتعرضها للأخطار دائم ، لأن انتظار السلامة فيها غير محقق .. وهذا الحكم أزلى شامل للجميع ، وإن كنا ما زلنا نخال أنه يمكن للآدمى أن يتفادى كل الأخطار أو معظمها إن تحققت له السلطة أو العزوة أو الثروة أو المهارة أو القوة كائنة ما كان مصدرها ، ولذا كان يتعين على كل آدمى أن يعنى كل العناية باليقظة ، أى بالجد فيها وعدم التهاون فى إفلاتها ..
- إن الكون العظيم الهائل إذا فتحت أبوابه للبشر ، سيكون أوسع ملايين ملايين المرات من مساحة أرضنا التى تضيق علينا وبنا كلما زدنا فى العدد ، وعندئذ يتحول الآدمى من المخلوق المحصور المقتر عليه رزقه إلى إنسان حر منطلق يسير مع عقله فى العالم خارج أسوار هذه الأرض وأستارها .
- من جوامع الدعاء : اللهم إنى أعوذ بك من حاكم جائر ، ونديم فاجر ، وصديق غادر، وغريم ماكر، وقريب ناكر ، وشريك خائن ، وحرَّيف كاذب ، وولد جاحد ، وحاسد موارٍ ، وجار متطفل ، ورفيق كسلان ، ووكيل ضعيف ، وزوجة مبذرة ، ودار ضيقة !
- أعجز الناس رأيًا ، وأخطؤهم تدبيرًا ، وأجهلهم بموارد الأمور ومصادرها من أمل أو ظن أو رجا أن أحدًا من الخلق يصلح له ضميره أو يصح بخلاف ما دبرهم الله عليه .

***

- البشرية الآن ربما دون أن تدرى ، تعانى برغم التعلم والتحضر من قلة الحيلة فى شئون أشخاصها وفى شئون جماعاتها ، كما تعانى تبعًا لذلك من ابتعادها الذى قد يشعر به معظمهم عن الاستمساك بالاعتدال والفطنة

والجد ، وتعانى من تهربها الذى كاد يكون شاملًا للكل ، ومن مواجهة الحياة مواجهة حقيقية تواجه يوم الآدمى وغده بيقظة وجد ومسئولية فعلية غير شكلية أو كلامية ! وهم بذلك لا يريدون أن يعترفوا بأنهم جميعًا أغنياء متوسطون وفقراء قد اتجهوا وانحازوا بحماقة شديدة إلى التعلق بالترف ، وآثروا هذا التعلق على كل ما هو جاد مجد فى حياة الآدميين ذكورًا وإناثًا !!!

- تقدم خصمان إلى المغيرة بن شعبة ، فقال أحدهما : إنَّ هذا يُدِلُّ عليَّ (يباهى) بمعرفته بك . قال : صدق ، وإنها لتنفعه . قال كيف؟ أتميل فى الحكم وتجور ؟! قال : لا ، ولكن أنظرُ ، فإن كان الحق معه أخذته له منك ، وإن كان الحق لك عليه ، قضيت عنه إليك . إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور ، فكيف عند الرجل الحر ؟
- قال بعض الصوفية : إن سكن الله تعالى فى قلب عبده المؤمن ، ومعناه : سكون الذكر فى القلب . فإن الحق سبحانه وتعالى منزّه عن كل سكون وحلول ، وإنما هو أى السكون إثبات ذكر وتحصيل .
- من لا يردك ، فلا ترده !
- لا توجد تجارة أكثر خسرانا ولا أخف ميزانا من معاداة العاقل العالم !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٠٧)

- لا غرابة فى أن أغلب الناس الآن أقل صبرًا وأسرع مللًا ، وأكثر حركة وتنقلًا ، وأشد ميلًا للتغيير والتبديل، وفوق ذلك كله أقوى نهمًا وشغفًا بالمال ، خاصة المال الذى فى أيدى الآخرين!!
- تساءل أحد العارفين عن سطوة الدنيا بأهلها ، وخداع الأمل لأربابه ، وتملك الشيطان وقياده للنفوس ، وانعقاد الغلبة للنفس الأمارة ، فقال : « كيف يسلم من له زوجة لا ترحمه : وولد لا يعذره : وجار لا يأمنه : وصاحب لا ينصحه : وشريك لا ينصفه : وعدو لا ينام عن معاداته ، ونفس أمّارة بالسوء ودنيا متزينة ، وهوى مردٍ ، وشهوة غالبة له ، وغضب قاهر ، وشيطان مزين ، وضعفٍ مستولٍ عليه» ؟!

قيل : ينجو من يتجه إلى ربه ، ويتولاه ﷻ برحمته ، فتنقهر له كل هذه المهلكات !

- من البر والمودة ، أن تنادى الناس بأحب الأسماء والألقاب إليهم .
- العاقل من يعرف أن مراد الأمور عواقبها لا عواجلها !

***

- من ماضينا الغابر إلى اليوم ، تبرز وتتكاثر وتتسع وتتعاقد عاداتنا وتتراكب على وحداتنا الاجتماعية ، منها أولوياتها التى ما زالت توجد معنا لأنهاغريزية فى الأغلب الأعم ، ومنها ما وجد لدينا ويوجد

وسيوجد مما بنى ويبنى وسيبنى على المنافع والمصالح المادية المقصودة ، ومنها ما أقيم ويقام وسيقام على الاشتراك هنا وهناك فى أغراض ومقاصد وغايات وأمنيات غير نفعية دينية واجتماعية وإنسانية وفنية وعلمية وأدبية .

- قال ابن القيم الجوزية :

« العمل بغير إخلاص ولا اقتداء ، كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه . فإذا حملت على القلب هموم الدنيا وأثقالها ، وتهاونت بأوراده (أخذ نصيبك من القرآن والذكر) ، وهى قوته وحياته ، كنت كالمسافر الذى يحمل دابته فوق طاقتها ولا يوفيها علفها (طعامها) فما أسرع ما تقف به» .

- من الحكم العطائية : «من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ، ويمنعك ما يطغيك» !
- من أقوال أفلاطون : عمر الدنيا أقصر من أن تطاع فيها الأحقاد !
- أضعف ما يكون العزم عن التصرف أضعف ما يكون الحزم !

***

- الجماعات البشرية قديمًا وحديثًا جماعات بالغة التركيب ، شديدة التعقيد .. كبيرها وصغيرها ، غنيها وفقيرها ، بدائيها ومتطورها .. وقد تاه ويتوه فى كل زمان ومكان أكثر الآدميين إنْ لم يكن جميعهم فى إدراك كل بل معظم مضامين تلك التراكيب إدراكًا سليما موفقًا ، فظلت متاعبهم تتأرجح بين التزايد والتناقص ..
- أنشد الشبلى إمام الصوفية يقول :

ذكرتك ، لا أنى نسيتُك لمحةً وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهام على القلب بالخفقان فلمّا

رآنى الوجّد أنهك حاضرى　　شهدتك موجودًا بكل مكان
فخاطبتُ موجودًا بغير تكلّم　　ولاحظتُ معلومًا بغير عيان

- قال أحد الحكماء : «صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار» !
- قيل لبشار بن برد : ماذا تقول فى العتاب ؟ قال : هو من الرجال خير ، ومن النساء شر !
- العجول يخطئ وإنْ ظفر ! فكيف به إذا أخفق ؟!!

***

- حقيقة ما نحن عليه إلى اليوم ، برغم تقدمنا الجزئى فى حياتنا الخاصة والعامة ، أننا لم نعبر قط إلى مرحلة الاتزان الثابت ، لأننا جميعًا لم نتفطن إلى ضرورة الاستمرار وتطور جنسنا ، إذ هو وحده الكفيل ببقاء البشرية وتخليصنا جميعًا من متاعب وخسائر الخلافات والمشاكل والأزمات والثورات والمعارك والحروب والنكبات التى كابدتها البشرية وكابدها كل منا معها ، ومازلنا نكابدها بصورة أو أخرى ، لأن هذا الاتزان المنسى الذى لا يبالى به أحد يكفل إنْ تحقق أن ينتفع كل آدمى فى أى مكان بكل استعداداته وملكاته ومواهبه ، ودون أن يجور بعضها على بعض ، هذا الجور الذى نراه حاصلًا واقعًا الآن نعانيه فى نفوسنا وفيمن حولنا !
- من الحكم العطائية : «ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه» !
- قال سعيد بن وهب : دخلنا مع سلمان الفارسى على رجلٍ من كِنْدة نعوده ، فقال سلمان : إن المسلم يُبتلى ، فيكون كفارة لما مضى ومستعتبًا فيما بقى . وإن الكافر يُبْتَلى ، فمثله كمثل البعير أُطلِق فلم يدر لم أُطْلق ، وعُقل فلم يدر لم عُقل !
- ما دام لكل شىءٍ موضع ، فلا يوجد شىء يصلح فى كل موضع !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٠٨)

- نحن نحب ونحرص ما استطعنا على أن نأخذ لأنفسنا ولمن هم فى حكم أنفسنا أكثر مما نعطيه لغيرنا .. وهذه قاعدة وأصل لكل صور التعامل النفعى المباح بين البشر منذ أن عرفوه تجارةً أو زراعةً أو صناعةً أو حرفًا أو مهنًا أو عمالةً أو نقلًا أو اتصالًا أو انتقالًا أو نشرًا أو إذاعةً أو إعلانًا ، وهذا أصل لكل ثراء أو غنىً ، ولكل تملك أو كسب وربح ودائنية ، أومرتب وأجر وأتعاب .. وهو أيضًا أصل لكل خسارة ومديونية وافتقار وإعسار .. استقرت هذه الأنانية المباحة . ومازالت فى البشرية جذور وسيقان وفروع ، أفرادًا وجماعات ، بلا مراجعة ولا تلطيف ، وأثر ذلك فى سلطانها وتسلطها اللذين تشعر الجماعات البشرية الآن بفداحة عبئهما بسبب الكثرة السكانية الهائلة ، وشيوع الغش والاحتيال فى كل جماعة ، وقصور وفساد المراقبة الإدارية ، مع انتشار الغش والاحتيال فى الجماعات الكبرى ..
- من أقوال الصوفية : ذكر الله بالقلب سيف المريدين ، به يقاتلون أعداءهم ، وبه يدفعون الآفات التى تقصدهم ، وأن البلاء لا يقع إلاّ إذا أظل العبد ، فإذا فزع بقلبه إلى الله تعالى يحيد عنه فى الحال ما يكرهه .
- قال شاعر من المحدثين :

عينُ الرضا عن كل عيب كليلة   وعين السخط تبدى المساوى

وكان الشاعر روح أبو همام من الزمن الأول قد قال :

عين السخط تبصر كل عيبٍ   وعين أخى الرضا من ذاك تَعْمَى

- دوام الحال من المحال ، لذلك فصاحب الجدّ فى بلاءٍ ما كان فيه ، وصاحب المزح فى رخاءٍ إلى أن يخرج منه !

***

- الفقراء برغم غالبيتهم العددية المتفوقة فى كل جماعة أنانيون أيضًا ، لكنها أنانية وجلة خائفة جائعة دائمة الالتهاب والاشتهاء والالتفات إلى الغير والتحسر، لأن أفراد هذه الأغلبية الفقيرة تمضى أعمارهم طالت أم قصرت وهم يعانون ويكابدون ، ولا يصيبون من معنى الحياة المعقولة إلاّ أقل من عشر معشار ما يغنمه منها الموسرون الأنانيون الفعليون الذين لا يشبعون ! وهذا فى عين كل آدمى عاقل منصف إنكار فعلى لوجود العدل أو شبهة العدل بين الفريقين .. غياب العدل فجوة فاغرة جدًا لا يوجد لها نظير فى أنواع الحيوان أو النبات قديمة فى دنيا الناس منذ الأزل ، مازالت تزداد عمقًا واتساعًا وتهديدًا لأمان وسلام البشرية فى كل زمان ومكان !
- من الحكم العطائية : «إن أردت ألا تُعْزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك» !
- قال شاعر حكيم من الزمن الأول :

إذا قَلَّ مال المرء ، قَلَّ صديقُه   وضاقت عليه أرضه وسماؤُهُ
وإذا قَلَّ ماء الوجه ، قَلَّ حياؤُهُ   ولا خير فى وجه إذا قَلَّ ماؤُهُ

- إنما يتشاغل الناس بما يتشاغلون به ليعودوا ليفرغوا ، ويجدّوا ليهزلوا ، ويكدّوا ليستريحوا .

***

- قضية البشرية هى أولا وأخيرًا قضية جماعات متدرجة من أبسطها وهى الأسرة ، إلى الأمة أوالشعب ، وليست قضية هذا الفرد أو ذاك وحده

فى أى زمان ومكان ، لأننا كأفراد نستقى خيرنا وشرنا ممن هم معنا وحولنا طوال أعمارنا .. وقلما يؤثر الأفراد منفردين منفصلين مفككين متباعدين فيمن لا يشعرون بهم ممن حولهم ، ولكنهم يؤثر بعضهم فى بعض بتجمعهم وصحبتهم وحديثهم وتداولهم واقتناع وامتثال بعضهم لبعض وظهور اتجاه جامع معروف يجمع بينهم خيرًا كان أو غير ذلك !

- قيل فى الذكر : هو الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف ، وشدة الحب له .
- لو ذكر الإنسان كلَّ ما أُنْسِيَه لشَقِيَ ، ولو جدّ فى كل شىء لانتكس !
- لا معنى لوصالٍ قوامه الملق والنفاق !

***

- الاستهتار العام الذى يتبدى الآن لوظيفة الجماعة حماقة كبرى ترتكبها الكثرة الكثيرة بلا مبالاة بتناولها الواسع جدًا لمعنى الحرية ومعنى الإرادة الحرة ومعنى الاستقلال الفكرى لكل منا ، وهو ما عصف عصفًا شديدًا بالأصول والقواعد والأسس والسنن والأعراف والعادات والتقاليد التى تنقلها الجماعات إلى أفرادنا جيلا بعد جيل .. لا يحدث ذلك غباءً أو تجمدًا ، ولكن لتهيئة محيط معنوى مستمر يعيش فيه من يولد منا مع من جاء قبله ويتركه لمن سيجىء !
- من الحكم العطائية : «إن رغبتك البدايات زهدتك النهايات : إن دعاك إليها ظاهر نهاك عنها باطن»
- قال ديوجانس للإسكندر الأكبر لما آل إليه الملك : أيها الملك ، إنى كنت إلى اليوم أخًا ، فصرت اليوم تابعًا .. وشتان بين الأخ والتابع !

فقال له الإسكندر : الأخوة قبل اليوم كانت أنعم بك ، وهذه الحال اليوم

أرفع لك . وإذا كنت تضمر لى ما عهدناه قديمًا من مودتك ، فلن يضرك أن يكون ظاهرك السعى إلى استدامة أُنْس الحديث بيننا !

- قد يكون بعض المَزْح خيرًا من بعض الجدّ ، وعامة الجدّ خيرًا من عامةِ الهزل !!

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٠٩)

- كل منا يعلم أن الآدمى لا يطيق الحياة منقطعا كلية عن أمثاله ، إذ معظم احتياجاته وأغراضه وحركاته وعواطفه وأفراحه وأحزانه ، محتاجة احتياجا ضروريا إلى المشاركة التى يستحيل أن يعيش طويلا بدونها ، هذا فضلا عن إحساسه الدائم فيما بينه وبين نفسه بالنقص فى جانب أو أكثر يدعـوه لأن يعثر على تكملتـه لدى غيره إن أمكنه .
- من أقوال ذى النون المصرى : من ذكر الله تعالى ذكرًا على الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شىء ، وحفظ الله تعالى عليه كل شىء ، وكان له عوضًا على كل شىء .
- تظل المرأة وفيّة لحبها الأول ، إلى أن تجد حبّا ثانيا !!
- من آفات الميراث ، أن أرملة المورث الغنى تبكى بعين ، وتفرح بالأخرى !
- ليس كل صامت عن حجته مبطلًا فى اعتقاده ، ولا كل ناطق بها لا برهان له محقاً فى انتحاله !

***

- ليس فى مقدور أى فرد مهما يكن مقامه ، أن يعزو لنفسه وحده إقامة هذا الكيان الحضارى أو ذاك ، وليس من حق فرد شارك بكثير أو قليل فى إيجاد مقصود حضارى لم يكن موجودًا من قبل أو فى تعميره أو تطويره ، أن يحوله عن طبيعته وحقيقته وينسبه إلى خلقه وصنعه منفردًا !

- خير للحاسد أن يعلو بهمته وعمله ، من أن يتمنى زوال نعمة من يحسده !
- من الحكم العطائية : «إنما جعلها محلا للأغيار ، ومعدنا للأكدار ، تزهيدًا لك فيها» !
- قيل فى العشق إنه داءٌ لا يمكن دفعه ، يصيب الروح وينضح على الجسد ، وصعوبة دوائه تأتى من اختلاف عِلله من وجوه شتى !!

***

- الحضارة والمقصود الحضارى مشوبان دائما بالزهو الراجع إلى غلبة الإحساس بالذات لدى هذا أو ذاك من البشر، لأن الزهو من الدوافع الغريزية فى الآدمى .. قد يدفعه إلى العمل كما قد يدفعه إلى الادعاء ، وهذان الأمران يمتزجان لدى معظمنا منذ القدم حتى الآن ، ولم يعن بالفصل بين كل منهما إلاّ أقل القليل سيما فى مجرى الحياة اليومية المألوفة فى ممارستنا للحضارة كما نتخيلها بلا إمعان . فمعظمنا إلى الآن كما فى كل عصر! لايعنى إطلاقا بالتدقيق فى صحة ما اعتاد عليه مما يعتقده أو يتصوره أو يقبله ، أو مما ينكره ويأباه ويرفضه !
- لا تتكلم إلاَّ عما تعرفه ، ففضول الكلام خيرٌ منه السكوت ! ناهيك بالكذب والادعاء وقول الزور !
- يخرج من جميع الأوزان والأعراف ، من ساوى الهفوة الصغيرة بالجريرة الكبيرة ، والخطأ بالعمد ، والهنة بالمعصية ، ولم يفرق بين الأعالى والأسافل . ومن خرج على ذلك فى باب العقاب حل به مثله فى باب الثواب !
- بئس من غطى لديه بخار الشهوة على عين البصيرة !

***

- البشر المتحضرون الآن فى أى موقع ، لايمثلون ويستحيل أن يمثلوا حضارة خالصة نقية من الأغاليط والأوهـام والخرافات الجماعية والفردية ، فنحن حتما فى كل جيل نحمل بعض ما تركه ونقله إلينا من سبقونا من صحيح وباطل ، ومعقول وغير معقول ، وراجح ومرجوح ، وواقع وخيالى ، وخير وشر مما لم نعن جديًا بتنقيته إلا فى حدود لا تنسينا اتصالنا الوثيق بآبائنا ، ولا تجعلنا ننفض ماضينا كله ونعيش بلا تاريخ نذكره ونحافظ عليه !
- قال عبد الله بن المقفع : ثلاثة لا صديق لهم ! قيل من ؟ قال : الميت ، والفقير ، والمحبوس !
- من الحكم العطائية : «علم أنك لا تقبل النصح المجرد ، فذوقك من ذواقها ما سهل عليك وجود فراقها» !
- الأرحام مولعة بالتحاسد ، لهجة بالتقاطع . والتلاقى على وفاق من الطبيعة ، أبعد من التفاسد والتعادى ! وسبب التعادى عَرَضٌ فى طبائع الغرباء ، وجوهر فى طبائع الأقرباء !!

***

- معارفنا مهما تعلمنا وتعمقنا وقرأنا وألفنا ورصدنا وكشفنا وابتكرنا واخترعنا هى معارف غارقة فى السطحيات والبدائيات التى تسود وتقود حياة كل منا .. لأن الآدمى منذ خلق حتى اليوم ، مثقفًا أو غير مثقف ، مجربًا واعيًا فى جانب من جوانب حياتـه أو خلاف ذلك لا ينظر قط إلى حياته ككل متكامل يجمع بين أولها وماضيها إلى حاضرها ومستقبلها ، ولا يهمه قط أن يتعقب بالتفات واعٍ مسارها إبان عمره ، ولذلك كانت حلقات حياته ومراحلها متباعدة جدًا فى وعيه الحالى وفى ذاكرته .

- من الحكم العطائية : «تطلعك إلى بقاء غيرك دليل على عدم وجدانك له ، واستيحاشك لفقدان ما سواه دليل على عدم صلتك به» !
- قال بعض الصوفية :

حال الدنيا فى نظر المحصور فيها كحال امرأة بغيّ ، لا تثبت مع زوج ، إنما تخطب الأزواج ليستحسنوا عليها فلا ترضى بالديانة .

ميزت بين جمالها وفعــالها فإذا الملاحة بالقباحة لا تفى
حلفت لنا أن لا تخون عهودنا فكأنها حلفت لنا أن لا تفى

إن السير فى طلب الدنيا سير فى أرض مسبعة . والسباحة فيها سباحة فى غدير تمساح ، المفروح به منها عين المحزون عليه ، آلامها متولدة من لذاتها وأحزانها من أفراحها !

- من أقوال سقراط : مما يدل على عقل صديقك ونصحه ، أنه يدلك على عيوبك ولكن ينفيها عنك ، ويعِظك بالحسنى ويتعظ بها منك ، ويزجرك عن السيئة ، وينتهى هو عنها رعايةً لك .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١١٠)

- نحن بصفة عامة لا نقدر أهمية وجود الجماعات لبقاء الجنس البشرى ، ولا نتصور حقيقة أنه لولا الجماعات ما وجد آدميون على الإطلاق ونحن لهذا الغباء لا نلتفت التفاتًا جادًا إلى حياة الجماعات والمحافظة عليها والاهتمام بتمكنها من أداء دورها الحيوى الهام الهائل فى حياة كل منا انتظامًا وسلامًا وتربيةً ونموًا وتقدمًا وتطورًا فى جميع الاتجاهات البشرية الجادة .
- لا تدرج فى باب الأصدقاء من لا يعرفك إلاَّ عند الحاجة إليك ، ويتجاهلك عند الاستغناء عنك ، ويتجنبك يوم تحتاج إليه !
- لا توجد تضحية فى أن تأتى أو تفعل ما تحب ، وإنما أن تتركه وتدعه استجابة لقيمةٍ أعلى ومعنًى أبقى .
- إن الخير فى أيام كثرته قليل ، فما ظنك به فى أيام قلته ؟!
- سلوك الفرد فرع على طبعه !

***

- الجماعة أو الجماعات لا قبر لها ، لأنها لا تترك جيفة كما يترك الآدمى جيفته إذا مات ، وزوال الجماعة هو انقطاع وظائفها نهائيًا بعجزها التام عن القيام بمهامها فى جمع الآدميين الذين كانوا ينتمون إليها ، إما بزوالهم جميعًا وهذا نادر ، أو بموت البعض وتفرق الباقين للعيش فى جماعات أخرى قائمة .. ويبدو أنه من المحال استعادة الجماعة بعد انقطاعها أو

زوالها من الوجود .. فليس فى الإمكان أن توجد بنفس المكان جماعة جديدة من شتات أو أفراد متفرقين يفضلون تاريخًا أو دينًا الاجتماع فيه للحياة معًا بنفس الاسم القديم ، أو باسم جديد يحمل معنى القديم ، ليكونوا أمة جديدة متطورة تعتز بذلك التاريخ القديم الذى انقضى باندثار جماعته !

- من الحكم العطائية : «العلمُ النافع هو الذى ينبسط فى الصدر شعاعه ، وينكشف به عن القلب قناعه» !
- من أقوال الجاحظ فى كتاب « التربيع والتدوير» :

« مَنْ حَرَّم المزاح وهو شُعبة من شُعب السهولة ، وفرعٌ من فروع الطلاقة . وقد أتانا رسول الله ﷺ بالحنيفية السمحة ، ولم يأتنا بالانقباض والقسوة ، وأَمَرَنا بإفشاء السلام ، والبِشر عند الملاقاة ، وأمرنا بالتواد والتَّصالح والتَّهادى» .

- من الجهَّال من يعد ويحصى ويردد أسماء الكتب ولا يفهم معانيها ، ويحسد العلماء من غير أن يتعلق منهم بسبب ، وليس فى يده من جميع الآداب إلاّ انتحال اسم الأدب !

***

- لم يعد الآدميون فى زماننا يعنون العناية القديمة بداخل كل منهم ، فلا يبقى للآدمى إزاء فراغ داخله إلاّ أن يتشبث بأحكام معتقده ونداءات ضميره وواجبات ذمته .. وربما تكون قد وهنت لدينا مكانة العقائد والضمائر والذمم والأخلاق والفروض والالتزامات ، وبات يمكن للآدمى أن يتخفف أو يتهرب أو لا يبالى كلية أو بالقدر الكافى بتلك القيم بعضها أو جميعها .. والسؤال الحائر عندئذ إن كان ذلك حادثا

هو كيف يبقى تماسك المجتمعات البشرية صغيرة أو كبيرة ، متقدمة أو متأخرة ، وعلى أى أساس آخر يمكن أن يحدث هذا التماسك ؟!

- قال بعض الصوفية : الصبر مع الله وفاء ، والصبر عن الله جفاء .
- من أقوال ابن القيم الجوزية : أسعد الناس بالصواب فى طلب الحق والعرفان به ، من تلقى ذلك من مشكاة الوحى المبين ، ورغب بعقله وفطرته وإيمانه عن شطحات المتنطعين وتشكيكات المشككين ، واستمطر الهداية من كلمات أعلم الخلق برب العالمين .
- يسلم قلب من خلصت عبوديته لله تعالى : إرادةً ومحبةً ، وتوكلًا وإنابةً ، وإخباتًا وخشيةً ورجاءً .. وخلص عمله لله تعالى .

***

- لعل ما يشاهد فى عصرنا، خاصة فى الجماعات المتقدمة ، من أعراض التحلل والتفكك وانتشار التشاؤم وضعف الآمال فى المستقبل راجع فيما يرجع إليه إلى المجازفات بحياة عموم الناس ، كما فى التجنيد الدورى الجبرى لكل جيل بلغ سن التجنيد تحسبًا من الحكومات لما تسميه التعبئة العامة للشعب لحربٍ تتوقعها تعرِّض الشعوب للهلاك والدمار كما حصل فى كافة حروب المعمورة ، فضلًا عن الفقر والجوع والإنهاك والضياع !! هذا التحلل والتفكك راجع فيما يرجع إليه إلى اضطرار الأحياء للحفاظ على بقائهم إلى الإذعان للهوان والمهانة وبيع الأعراض والذمم وقبول كل منكر دائم ، وفوق ذلك فقد الثقة والأمان فى العالم كله أحياءه وأمواته ..
- لا صبر أبلغ من صبر من يصبر مع محبوبه الذى لا حياة له البتة بدونه .. كما أنه لا زهد أبلغ من زهد الزاهد فيما أعد الله لأوليائه من كرامته مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

- قد تزول أو تشفى أمراض القلب العضوية ، بالدواء والعلاج .. أما الأسقام الروحية فلا شفاء لها إلاَّ بالأدوية الإيمانية .
- لا إخلاص لقلب من اتبع هواه !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١١١)

- ليس بمستغرب أن يشعر الإنسان العادى فى البلاد الغنية المتقدمة الآن ، أن جماعاتها لم تعـد فى أعماقها تحفل كثيرًا بالإنسانية ولا بالأخلاق والأديان ، يحدث ذلك لكثرة ما تحت يد حكامها من أدوات التدمير وأسباب الهلاك التى لا تميز بين الجانى والبرىء ، والطالح والصالح ، والوحش والإنسان ، وكذا لكثرة ما تحت يد ماليبها والمهيمنين على اقتصادها من سلطان طاغ فى توجيه البنوك وبيوت المال الرئيسية وكبرى الشركات الصناعية والتجارية وشركات النقل والاتصال والبورصات والأسواق العامة وأجهزة الإعلام والإعلان .. هذا السلطان لا يبالى فى خطواته وخططه ومشاريعه ومغامراته ومؤامراته وصراعاته المعلنة والمستورة فى الداخل والخارج .. لا يبالى إلاّ بمقاصده ومصالحه وأغراضه وأغراض أصحابه وملاكه والقائمين عليه !
- الجهل مرض شفاؤه العلم والهدى ، والغى مرض شفاؤه الرشد . من هذين الداءين نزه القرآن المجيد النبى المصطفى عليه السلام ، فقال عز من قائل ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم] .
- لا رجاء فيمن أوقف قلبه على رغابه وشهواته ولذاذاته ، غير مبالٍ بسخط ربه وغضبه . فمثله يكون الهوى إمامه ، والشهوة قائده ، والجهل قائده ، والغفلة مركبه !
- لا يخبت القلب السليم إلاّ للحق ، به يطمئن ، وإليه ينقاد .

***

- فى زماننا بولغ مبالغة شديدة التأثير والتهويل فى الإعلانات والإذاعات بكل ما يمكن تخيله من الحيل والوسائل، وفى كل اتجاه أو هدف يمكن تصوره.. ولا يُرجى فى ذلك الطوفان اعتدال أو توقف، لأن أهل زماننا الحالى بعامة غنيهم وفقيرهم حضريهم وريفيهم أكثر خفة وقلقًا ورغبة فى التغيير والسطحية ممن سبقوهم، وهم ربما يكونون أكثر شغفًا وعشقًا لما هو وقتى مما يرى أو يحكى لهم عن محيطهم بل عن العالم الذى بات فى متناولهم كما يتصورون ويتوهمون صباح مساء بفضل سعة وتوالى الإذاعات والإعلانات التى لا تنقطع!
- الصبر المحمود نوعان: صبر لله، وصبر بالله. فى الصبر بالله قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل]، وفى الصبر لله، قال عز من قائل: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور٤٨].
- من أقوال ابن القيم، إن للفعل وجهين:

وجه قائم بالرب تعالى وهو قضاؤه وقدره له وعلمه به.

ووجه قائم بالعبد هو ما يصدر عنه من أفعال.

والعبد له ملاحظتان:

ملاحظة للوجه الأول وملاحظة للوجه الثانى، والكمال ألا يغيب بإحدى الملاحظتين عن الأخرى!

- يا ويل من أغلق بابه أمام كل نُصْح أمين، واتبع كل شيطان مريد، لا يرى غير الدنيا، فهى وحدها التى تسخطه وترضيه، ولا ينظر إلى الله والآخرة إلاّ من مكان بعيد!

***

- نحن إلى اليوم أسرع كثيرًا لما نشتهى ، وأبطأ كثيرًا لما ينبغى من التؤدة والتريث والتعقل والمشورة فحضارتنا الحالية هى حضارة حماقاتنا فى الأغلب الأعم .. لا يكف الكل عن تغذيتها وتشجيعها لأنها أيضًا مصادر هائلة للأرزاق والمكاسب ، ولم يعد أحد يفكر جادًا فى إعلان اعتراضه على هذا العنصر الهام الذى بات لازمًا للحياة الحالية التى باتت أكثر احتياجًا إلى الهزل والعبث واللعب من الاحتياج إلى الجد ، وقد باتت مشغولة بذلك كله حريصة على بثه إلى كافة الإذاعات والإعلانات والصحف فى كل بلد ، كما باتت الحكومات والجامعات والمدارس والنوادى والجمعيات مشغولة بتشجيع ذلك وإعانته !
- يكون صبر العبد بالله ، على قدر نصيبه من معيّة الله فمن كان الله معه ، أتى من الصبر ما لا يمكن أن يأتيه سواه . وقال أحد الصوفية : «فاز الصابرون بعز الدارين ، لأنهم نالوا من الله معيّته » . قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة].
- آية مرض القلب ، الحسد والكبر والعجب والخيلاء ، وحب الرياسة والعلو والفساد فى الأرض !

لا يشفى القلب المريض بالظلم والباطل ، وإنما شفاؤه فى هداية الضمير والتزام الحق .

***

- البشر ينسون فى حاضرهم معظم أمسهم وماضيهم ، ويزيد النسيان كلما ابتعد الماضى ، وتختفى من الذاكرة بدايات ما هم عليه من التطور أو التغير كما تختفى طفولة الآدمى من مراحل رجولته وكهولته وشيخوخته ، ونحن بغير أن نشعر نجمع تلك المراحل المختلفة المتعددة فى مصطلحات عامة نتداولها اقتصادًا فى المجهود وتعلقًا بالراحة والتبسيط !

- الصبر لله غناء ، لأن الصبر لله يكون بترك حظوظ الدنيا ومرادها لمراد الله ، وهذا أشق شيء على النفس وأصلبه ..
- يالبؤس وغباء وجهالة من يحتجون من أعداء الله بمشيئته وقدره على إبطال أمره ونفيه !
- ليس بين القلب السليم وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه ، فإن فهمه وأدركه ، قبله وانقاد له .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١١٢)

- موازين البشر عرضة باستمرار للتغير عبر تغير الزمان أو تغير المكان ، لكنها لا تتغير جميعها معًا لدى الكافة ، وهو ما أتاح ويتيح بقاء بدائيات فينا وفيمن يخلفنا .. أما لماذا بقاء هذه أو تلك من البدائيات برغم تغير سواها مرات ومرات لا حد لها ؟! فسؤال لا نُسْأل نحن عنه لأنه جزء من صراط الخليقة يتجاوز المعرفة البشرية ، ويكفى أن نعرف مرتبتها وأنها محض بدائيات فقط ، وليست أحكامًا تطاع .. قد توجد فى النفوس والاستعدادات كما قد توجد فى الأجهزة وأجسادها !
- من الحكم العطائية : "لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها ، وأودعت أسرارها ، فلك فى الله غِنًى عن كل شىء ، وليس يغنيك عنه شىء" .
- من الناس من يبذلون الود بالكلمات ، ويضنّون فى بذل العون بالأعمال !
- من الناس من يبذلون الود للأباعد وإن نأوا ، ويضنّون به على الأقارب وإن دنوا .. وفى هؤلاء قال شاعر من الزمن الأول :

ألا رُبّ منْ يغشى الأباعد نفعُهُ
ويشقى به حتى المهات أقاربُه !

وفى القرآن المجيد : ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة ٢١٥] .

***

• كمال الخير والسعادة فى الحياة والنور . يقول الله تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام] بالحياة تكون قوته ، وسمعه وبصره ، وحياؤه وعفته ، وشجاعته وصبره ، وسائر أخلاقه وسجايا محبته للحسن ، وبغضه للقبح .

وبالنور : تحدث الإضاءة والإشراق ، وتتبدى هداية معالم الطريق ..

• لم يعد يوجد فى حضارتنا الحالية فى البلاد المتقدمة أو التى فى طريقها إلى التقدم خدمة أو مصلحة أو نصيحة أو خطة أو تصميم أو رأى يُبذل بالمجان أو من باب الصدقة أو المروءة ، ولا يوجد من أهل المعرفة أو العلم أو الفن أو الكفاية أو الدراية والخبرة من يتبرع بشىء من ذلك لوجه الله والوطن بلا أجر يناسب قيمة ما يؤديه !

• من الحكم العطائية : «خير العلم ما كانت الخشية معه» !

• لله در من جمع الله له جمال الصورة وحميد الخلق .

***

• لا يسوغ الخلط بين مدلول الجماعات البشرية وبين مدلول الحضارات ، فإن هذه نشوات تقصر أو تطول على الجماعات .. تدخل تعديلات وتغييرات عليها ثم بعد زوال الحضارات تترك بقاياها فى البشر وعاداتهم ومشاربهم ومعتقداتهم ، وهذه النشوات كانت فى البداية على أيدى الكاهن ، ثم لم يلبث أن شاركه الجرىء شديد الثقة فى ذاته وقوته والذى حوّل المشاركة إلى انفراد مع احتضان الكهانة لكى يضمن بالكهانة ولاء وسكينة العامة الجاهلة ، ففى أساس كل الحضارات ومنها حضارتنا الحالية تكمن الجرأة والثقة بالذات وبقدرتها على تنفيذ الأعمال والآمال

وعلى الاجتذاب والتهدئة والتسكين وتوجيه الجماهير وقيادتها .. وهذه كلها اندفاعات عنيفة من ذات الآدمى إلى خارجه لتحقيق ما تشتهيه من خارجه وليست أمواجًا ليقظات تدفعه بقوة وفطنة إلى داخله لإنارته واستقامته واتزانه الذى يضمن بقاء الجنس وسلامة تطوره !

- كثيرا ما تخطئ الحواس أو تكذب ، وما الحكم القاطع والاستبانة الصحيحة إلاّ للعقل .
- أبدان الأشرار قبور لقلوبهم ! ويا لبؤس من ماتت قلوبهم وقُبرت فى أبدانهم !!
- من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذكر.

***

- يبدو أننا نعيش الآن فى حضارة هشة مخلخلة ليس لها دعائم ثابتة ، وإنما هى تخدع أهلها بالإذاعات والإعلانات والاجتماعات والمؤتمرات والمفاوضات والمباريات والإرهابات ، وتصرفهم عن فساد قادتها وعامتها وعجز الجميع عن الإفاقة لحجم الأخطار بل الكوارث التى تحدق بها وبهم !!
- وإذا كانت الحضارات تقاس بأعمارها وحجمها وانتشارها ، فإن الحضارة الحالية التى تكاد تغطى المعمورة هى بالنسبة لحجمها وانتشارها لا تزيد من حيث أمارات الشيخوخة والانحدار والنهاية عما سبقها بالنسبة لحجمه وانتشاره ! بيد أن إشكالها المحير جدًا ، هو انعدام وجود مكان آخر جديد على الأرض .. بكر لم يجرب بعد .. صالح لأن يؤدى دوره فى النهوض والتفتح وحمل راية التحضر لحضارة شابة مليئة بالحماس والعزيمة والتفاؤل تتسلم ما بقى سالمًا حيًا من سالفها لتبث فيه

شبابها ونضارتها وروحها المتوثبة وإمكاناتها التى لم تختبر بعد !

- الفتن التى تعرض للقلوب ، هى أسباب مرضها .. وهى فتن الشهوات وفتن الشبهات ، وفتن الغي والضلال ، والمعاصى والبدع ، وفتن الظلم والجهل ! فهى إما مفسدة للقصد والإرادة ، أو موجبه لفساد العلم والاعتقاد !
- اعلم أنك لا تزال فى وحشة ومنها إلى وحشة ، وفى غُرْبة ومنها إلى غُرْبة ، حتى تجد من تشكو إليه بثَّك ، وتفضى إليه بذات نفسك !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١١٣)

• لم يَعُدْ يملأ أعين الناس أو يهز قلوبهم التلويح بقدرة البلاد المتقدمة والتذكير بعظمة قادتها وجيوشها ونظام مدنها ورقى زراعاتها وصناعاتها وعلومها وفنونها وآدابها ومؤتمراتها وقراراتها ، أو حداثة ما عرفته من جهة العمق والغرابة مما لم يسبق له نظير عن أسرار الأبدان والأجسام والقوى والطاقات فى الأرض وفى الفضاء .. ولم تَعُدْ تهز قلوب الجماهير هزًا عنيفًا صادقًا الاحتفالات بالذكرى السنوية لأحداث قوية عامة ، فقد باتت هذه تخفى جهالات وحماقات لم يكن لها موجب ، ومع ذلك تواصل الحكومات تلك الاحتفالات التى باتت أعيادًا تقليدية وطنية عامة انفصلت عن دواعيها الأصلية وأعفت الكل من التفكير فى تلك الدواعى الشائكة !

• قال الشاعر القديم :

لا يعجبنّك صاحبٌ حتى تَبيّنَ ما طباعُهْ
ماذا يضن به عليك ، وما يجود به اتّساعُهْ
أو ما الذى يقوى عليه أو ما يضيق به ذراعُهْ
وإذا الزمان رمى صفاتك بالحوادث ، ما دفاعُهْ
فهناك تعرف ما ارتفاعُ هوى أخيك ، وما اتِّضاعُهْ

- من أحب الدنيا فليوطن نفسه على تحمل المصائب . فمحب الدنيا لا ينفك من ثلاث : هَم لازم ، وتعب دائم ، وحسرة لا تنقضى .. فهو لا ينال إن نال منها شيئا إلاَّ طمحت نفسه إلى ما فوقه !
- من فرح بذكر ربه تنعَّم .

***

- اعتادت الحكومات والشعوب على الإسراف الشديد فى الإنفاق على ما هو ثانوى وقتى لمجرد أننا تعودنا إنفاقه فى أوقاته الماضية .. هذا التعود والذى مضى برغم قلة الموارد وإلحاح الحاجة إلى الاقتصاد والانكماش ، راجع فيما يبدو إلى أننا جميعًا بحكم الاعتياد قد ألفنا الخيال والظن ودوام الحال ، وألفنا كذلك وبلا دليل إخفاء الواقع .. ثم ألفنا عودة طيبة للأمور الطيبة .. نخدع بذلك أنفسنا ويخدع بعضنا بعضًا نتيجة نسيان وهجر طويل لالتزام الذمة والأمانة والضمير والصدق ! وكلنا شركاء بدرجة أو بأخرى فى أسباب ونتائج ما عانيناه ونعانيه ، وشركاء فى تشويه حضارتنا وتعريض مسارها للعثرات بالثورات والفتن والمذابح والمجاعات والأزمات هنا وهناك !!
- المعاصى درجات ، أقبحها نسيان الرب سبحانه وتعالى ، فمن نسى ربه ، عاش فى وحشة جدباء مقفرة ، لا رجاء فيها وفيه .
- لا سعادة لقلب عبد ، ولا نعيم ولا صلاح له ، إلاَّ بأن يكون الله هو وحده إلهه ومعبوده وغاية مطلوبه .
- الصبر بالله بقاء ، لأنه إذا كان صبر العبد بالله هان عليه كل شيء ، فيتحمل الأثقال دون أن يجد أو يشعر لها ثقلًا ، ولأنه إذا كان بالله لا بنفسه ، كان لقلبه وروحه وجود آخر .

***

- من الحكم العطائية : «العلم إن قارنته الخشية فلك وإلاّ فعليك» !
- من أقوال الحسن البصرى : «تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء : فى الصلاة ، والذكر، وقراءة القرآن، فإذا وجدتم، وإلاَّ فاعلموا أن الباب مغلق » .
- الصبر فى الله بلاء، لأن البلاء فوق العناء، والصبر فيه فوق الصبر له وأخص منه ، ذلك أن الصبر فيه بمنزلة الجهاد فيه ، وهو أشق من الجهاد له .
- والصبر مع الله وفاء ، لأن الصبر معه هو الثبات معه على أحكامه، ولا يزيغ القلب عن الإنابة ، ولا الجوارح عن الطاعة ، فتُعْطى «المعيّة» حقها من الوفاء بها . قال تعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم] .
- الزاد من الدنيا تركها ، والغنى فيها فقرها .. فهى تذل من أعزها ، وتفقر من جمعها !

***

- جاء فى الخبر أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ : «إن الله تعالى يقول « أعطيت أمتك ما لم أعـط أمةً من الأمم» ، فقال : وما ذاك يا جبريل ؟ فقال قوله تعـالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ : لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة» .
- من الحكم العطائية : «متى آلمك عدم إقبال الناس عليك ، أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك ، فإن كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعد قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم» !!
- الصديق الحق من اعتبرك جزءًا من نفسه ، ووسعك بخلقه ، وآنسك بنفسه ، وواساك بقليله ، يرعاك فى رضاه عنك وأيضا فى سخطه على بعض عملك ، لأنه يقدم النصيحة على المقت ، ويفتديك بنفسه !
- لا قيمة لإرادة لا تحب الحق وتؤثره على الباطل .. القوام هو محبة الحق ، فهى بمحبة الحق طالبة له ساعية إليه .

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١١٤)

- قال حكيم من الزمن الأول : إذا دَمِىَ الإنسان شم الذئب منه ريح الدّم ، فما أقل أن ينجو منه وإن كان أشد الناس بدنًا وقلبًا ، وأتمهم سلاحًا ، وأثقفهم ثقافة .. حاله عندئذ كحال الببر إذا ضعف أو دَمى تجمعت حوله السباع والضوارى لتنهشه . أو هو كحال من عضه كلب فتجرأ عليه الفأر !!
- من الحكم العطائية : «إنما أجرى الأذى على أيديهم كى لا تكون ساكنا إليهم ، أراد أن يزعجك عن كل شىء ، حتى لا يشغلك عنه شىء» !
- قال أحد الحكماء من الزمن الأول : ليس الفتوة أن تربح على صديقك . ناهيك أن تخونه وتطعنه فى ظهره !
- الرضا الحق ، المحصل للمقصود ، هو الرضا بعد وقوع القضاء .
- دار بالرفق واللين مرض قلوب الحاسدين !
- كمال الإنسان فى أن يكون عالما بالحق ، متبعًا له ، داعيا ، مرشدًا إليه .

***

- قيل فى الفتوّة أن أصلها السعى فى أمر الغير ، وفى القرآن المجيد وصف أهل الكهف بقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف] . وقيل : الفتوة : أن لا ترى لنفسك فضلا عن غيرك .. وقيل : هى كف الأذى وبذل الندى .

وقيل : هى الوفاء والحفاظ .

وقيل : هى فضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها .

وقيل : هى أن لا تهرب من السائل ، ولا تحتجب من القاصدين ، وهى على الجملة اتباع السنة .

• من شعر ابن السكيت :

وما صُدُود ذوات الدلِّ أَمْرَضنى
لكنما الهجر عندى هَجْر إخوانى
فإن صَدّفْتُ بوجهى كى أجازيه
فالعين غضبى ، وقلبى غير غضبان

ومن نظم بيرم التونسى الذى غنت به أم كلثوم فى الحب كده :

وأوريه الملام بالعين وقلبى عالرضا ناوى

• من الناس من يدعى النوم وهو يقظان ، ويدارى ما يضمره بنوم الثعالب وبمكر وخداع القنافذ المتخفية فى الرمال !

***

• من عجائب المخلوقات أن بعضها يغار ولا يتزاوج كالجمل والفرس ، وأن بعضها يتزاوج ولا يغار كالحمام ، ولكنْ اجتمع للقرد ما اجتمع للإنسان ، فقد اجتمع لهما الزواج والغيرة وهما خصلتان حميدتان ، واجتماعهما من مفاخر الإنسان على سائر الحيوان .

• يبدو أن الصلة بين الحلال وعاطفة الأمومة جسرٌ حىّ ، فقد ترى الجفاء للأولاد شائعا فى اللواتى حملن من الحرام !

• قال عبد الله بن عباس : ما من غِرّة (غفلة) ، إلاَّ إلى جانبها عَرّة (عيب قبيح) ، وما الذنب فى فريسته بأسرع من ابن عمٍّ دنىء فى عرضِ ابن

عمٍّ سوى من الفتوة الستر على عيوب الأصدقاء ، وحمايتهم من شماتة الأعداء !

- الوَحْدة إذا ملكت الكثرة نفت الخلاف وأورثت الائتلاف .

***

- من الناس من يتابعون الأحوال ، إذا أقبلت اقتربوا وداهنوا وتزلفوا ، وإذا اكفهرت ابتعدوا وأعطوا ظهورهم !

وقديما قال الشاعر :

تحالف الناس والزمان : فحيث كان الزمان كانوا !

- من الحكم العطائية : «إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده» !
- من أشد العذاب فى الدنيا : تشتيت الشمل وتفريق القلب !
- من علامة الفتوّة الصفح عن عثرات الإخوان .
- أخسر الناس صفقةً من اشتغل عن الله بنفسه ، وأخسر منه من اشتغل عن نفسه بالناس !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١١٥)

- من الملاحظ تأثر أمزجة الآدميين بالرواج والكساد ، فعلى قدر انتعاش الآمال مع الرواج ، فإنها تهبط وتخبو الحماسة والعزائم مع الكساد ! وإذا طال أمد الكساد اعتاد القوم على قلة الأشغال وضيق أبواب الرزق فتتضاءل أشواقهم للعمل وما يصحبه من جد وتصميم ويغمرهم حزن دفين مصحوب بنزق واستخفاف وعدم مبالاة بما يجرى حولهم لأنه لا يعنيهم بقاؤه أو زواله !
- من الحكم العطائية : «من أثبت لنفسه تواضعًا فهو المتكبر حقا : إذ ليس التواضع إلاّ عن رفعة ، فمتى أثبت لنفسك تواضعا فأنت المتكبر حقا» !
- فى الحديث الشريف : «لا يزال الله تعالى فى حاجة العبد ما دام العبد فى حاجة أخيه» .
- ربما كانت الصلة الحقة فى إظهار نقيضها ، وكان بادى الجفوة أبقى على الصلة وأحرص عليها !
- أولى الناس باتقاء شرهم : العدوّ القوى ، والصديق المخادع ، والحاكم الغشوم !
- من عرف كمال قدرة الخالق وعزته وكمال مغفرته وعفوه ورحمته ، وكمال ستره وحلمه وتجاوزه وصفحه لن يستعظم ذنبا على رحمته وغفرانه .

***

- قال بعض الصوفية : كفى بالله ناصرا ، أنت ترى عدوك يعصى الله فيك وأنت تطيعه .
- أكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا : جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا ، فمن جاهد هذه الأربعة فى الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته ، فهو سبحانه وتعالى القائل : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .
- من الحكم العطائية : «جعله لك عدوا ، ليحوشك به إليه ، وحرك عليك النفس ، ليدوم إقبالك عليه» !
- الصبر على شدة الدواء ، خير من طول البلاء !
- القلوب كالأودية .. تسع بقدرها !
- قد يأتى الوداد من النازح النائى ، ويعز بين الأقربين !

***

- تجوع الشريفة ولا تأكل بثدييها ، عبارة تجرى فيما بيننا مجرى الأمثال احتراما لكل شريفة لا تسترخص شرفها ، ولا تفرط فى عرضها مهما كانت حاجتها واحتياجها وفقرها وجوعها .. راودتنى هذه المعانى وأنا أقرأ قصة شابة مدرسة فى كلية طب الأسنان ماتت قتيلة دفاعًا عن شرفها ألا يمس وعن عرضها ألا يخوض فيه خائض، ركبه جنون شهوة عمياء أراد بها أن يغتال بالقوة والعنف ما ليس له ، وأن يدنس عرضًا ملك صاحبته ليس له عليه حق ولا سلطان !
- قيل لرجلٍ من الزمن الأول : من الصديق ؟ قال : من سلم سرّه لك ، وزين ظاهره بك ، وبذل ذات يده عند حاجتك ، وعف عن ذات يدك عند حاجته . إن ضللت هداك ، إن ظمئت أَرواك ، وإن عجزت أعانك .

فقيل له : أما الوصف فحسن ، وأما الموصوف فعزيز .

قال : إنما عز هذا فى هذا الزمان حين خبثت الأعراق ، وفسدت الأخلاق ، واستعمل النفاق فى الوفاق ، وخيف الهلاك فى الفراق !

- لا تشتر مودة ألف بعداوة واحد !
- قد تعرف الأشياء بأضدادها : فمن عرف الحُسْن تجنب القُبح ، ومن امتلك الحلم عاف مرارة الخراقة والجهالة !

***

- ماذا حدث للمصريين ؟! شىء مفزع انفجار حوادث التحرش الجنسى وهتك العرض والاغتصاب ! لم يعد يمضى أسبوع إلاّ وتفجعنا حادثة من هذه الحوادث التى طفقت للأسف تشكل ظاهرة جديدة على برّ مصر !
- لا يمكن أن تمر هذه الظواهر مرور الكرام .. هناك مستجدات أدت بالتأكيد إلى هذه الانفلاتات الجامحة الغريبة على موروثنا الدينى والأخلاقى . هذه المستجدات تستوجب من المفكرين وعلماء الاجتماع وأساتذة الطب النفسى أن يبحثوا ويتدارسوا لمعرفة الجذور والأسباب لتدارك الأمور قبل أن تستفحل ونحن مشغولون عنها بتوافه الأمور !
- قال حكيم من الزمن الأول لابنه : يابُنىَّ ، لا تصاحب فاسقا ، فإنه بائعك من أجل أكلة فما دونها !! سأله ابنه : وما هو دونها ؟! قال : يطمع فيها ثم لا ينالها !!
- حاذر من ظلمته ، فالظلم لا يولد إلاّ العداوة والانتقام !
- قال شاعر حكيم من الزمن الأول :

من نكد الدنيا على الحرّ أن يرى : عدوًا له ما من صداقته بدٌّ !

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١١٦)

- يبقى من قبل ومن بعد، أن العقائد فى باحة الاعتدال، قوة معطاءة، تقود مسيرة الشعوب، وتفتح آفاقًا للعقل والمعرفة، وتصل الأفراد بالمعنى الكلى الجامع، حيث يحس الفرد بقيمته لجماعته وأمته، وبمعنى وأهمية وجوده ودوره فى الحياة التى لا تكف عن الدوران!
- من الحكم العطائية: «ليس المتواضع، الذى إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع»!
- من يزرع الشوك، من المحال أن يحصد عنبًا!
- قيل: لا تصاحب أحمق، فإنه من حيث يريد أن ينفعك يضرك!

***

- هل يمكن أن تعود الإنسانية فى حاضرها المعاصر إلى أحبولة «اللص الشريف»؟! إن كثيرًا مما نشاهده الآن فصول تكاد تكون معادة ولكن بأثواب مختلفة لظاهرة اللص الشريف، مشاهيرها لصوص سرقوا المال أو أفسدوا وأمعنوا فى الإفساد، ثم ارتدوا مخادعين ثوب الشرف والعطاء العام فانطلى أمرهم على الغافلين، وأفسحوا لهم المجال، وربما أقاموا لهم الميادين أو أطلقوا أسماءهم على الشوارع والطرقات والأماكن!

هل يوجد أشر وأدعى للرثاء من هذه المشاهد المجهولة التى غاب فيها العقل وغابت الفطنة وأصيبت العيون بالعماء؟!

- قيل فى الأمثال : الوِحْدة خيرٌ من جليس السوء ! قيل : لم ؟ قال : القائل لأن أسرار الفتى يخرجها جليسه ، ولذلك قيل « رب امرئ جاسُوسُهُ أنيسُهُ !
- ظنى أن وزارة الداخلية مطالبة بتكذيب أو تبرير ما نقلته بعض صحف القاهرة صباح الاثنين ١٧ يناير ٢٠١١ عن المتهم بمذبحة قطار سمالوط بالمنيا من أنه كان قد عُرض على المجلس التخصصى بهيئة الشرطة ، وتحرر بشأنه تقرير طبى من المجلس أكد فيه أنه بجلسة ١٦/ ٤/ ٢٠٠٦ أى قبل خمس سنوات وتحت رقم ١٣ ، شخصت حالة المتهم بأنه مريض باضطراب نفسى ، وقررت اللجنة التوصية بأن يتم تقليد المريض عملا إداريا مكتبيا دون تخفيض عدد ساعات العمل ودون حمل أى أسلحة !!

فإن لم يكن الخبر كاذبا ، فمن المسئول عن التصريح له بحمل سلاح ، فضلا عن تعيينه على إحدى الكنائس ؟!!!

- قيل لحكيم من الزمن الأول : ما آفة الحلال ؟ قال : كثرة الإدلال !

***

- جُبِل الناس على حب المنافع ، ودفع المضار ، وبغض ما كان بخلاف ذلك . هذا فى النفوس طبع مركب ، وجبلّة مفطورة . والنفس فى طبعها حب الراحة والدَّعة ، والازدياد والعلو ، والعز والغلبة ، والاستطراف والتأنق ، وجميع ما تستلذه الحواس من المناظر الحسنة ، والروائح العبقة ، والطعوم الطيبة ، والأصوات الجميلة ، والملامس اللذيذة . وفى طبع النفس كراهة أضداد ذلك وغيره . لذلك كان الترغيب والترهيب عدة الحديث إلى الناس وإقناع المكابر .

- من الحكم العطائية : «التواضع الحقيقى هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته ، وتجلى صفته» !
- كثرة الغدر توجب الخصام والهجر !
- كما أن للحب آيات ومشاهدات ، فإن للبغضاء علامات وأمارات .
- قال بعض السلف : من علامات العاقل بِرُّه بإخوانه ، وحنينه إلى أوطانه ، ومداراته لأهل زمانه .
- إذا صحت النية ، وتوكدت الثقة ، سقطت مؤونة الحذر والتحفظ !

***

- منذ خصصت الدول العظمى فالكبرى ، ميزانيات هائلة لارتياد الفضاء ، والاعتراضات تتزايد أن ينفق الأغنياء هذه الأموال الباهظة بينما يعانى أكثرية أهل الأرض من الفقر المدقع ! أليس فقراء أمريكا أو روسيا أو غيرهما ، أولى بهذه النفقات ؟! وهل فرغنا من أسرار الأرض وما فيها وفى باطنها ، حتى نستكشف أسرار السماء ؟!
- لا يجتمع التعلق بالدنيا والغفلة عن آيات الله إلاَّ لدى من لا يؤمن بالميعاد ولا يرجو لقاء ربه.
- قيل لعيّاب لا يفتأ يعيب غيره : أَبْطِئْ عن عيب من لو كان حاضرًا لسارعت إلى مدحه !
- من مواقف النِّفَّرى : من وقف بين يدى ربه ، لا يرى غيره.

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١١٧)

- مع اليقين بأن حياة الآدميين جميعًا واعية أو غير واعية وكل حياة أخرى فى الوجود من أول الزمان إلى آخره مصدرها الخالق وعنايته ورعايته ﷻ ، فإن واقع الآدمى قد يخلو من الالتفات لهذا اليقين بالانشغال أو بالنسيان لأن ذكره لله سبحانه وتعالى ربما صار آليًا باللسان أو بالتمتمة ، دون أن يكون التفاتًا حيًا فى وعيه وواقعه ، فيكون من نتيجة ذلك حرمانه من هذه النعمة الكبرى .. هذه النعمة التى يتعين أن تكون حاضرة فى وعينا فيما نؤديه من الفرائض والنوافل .. العبادات لا تتغيا ذكرًا متفرقا فى أثناء أداء الفرائض والنوافل ، ينقطع ويتصل لينقطع ، وإنما تتغيا حضورًا دائمًا فى واقعنا الواعى ، صريحا لا ضمنيا ، أصيلا مقصودا لا عرضيا ! فالمؤمن مدعو إلى ذكر ربه كثيرا بالعشى والإبكار ، وفى نفسه تضرعًا وخيفةً وبالغدو والآصال .. هذا الذكر هو الذى به يتصل الآدمى بربه اتصالا يكون واقعًا حاضرًا دائمًا فى وعيه ، هذا الحضور الدائم بالذكر هو الذى به تطمئن القلوب : ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد] .. هذا الذكر الذى فيه قال القرآن المجيد : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥] .
- من الحكم العطائية : «لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف» .
- المجتمعون على الشر كشجرة النار يُحرق بعضها بعضا !
- من يؤمن بالله ، لا يعترض على مشيئته ، ولا يضيق بقضائه وقدره .

***

- الحياة كلها ، وهذه حكمة الخالق ، فى صيرورة دائمة ، لا تتوقف قط .. الواقف فى هذه الصيرورة على نظام « محلك سر » يتخلف عن ركب الحياة ، ويحاصره الجمود والبلادة . بلا يقظة ، يفقد الإنسان قدرته على الرؤية وعلى الحلم .. القدرة على الحلم دليل حياة ، وخاصية مانحة . إلى الحلم وما يشعله من خواطر ويحركه من سواكن ، تعود الإنجازات أو الطفرات أو النجاحات فى حياة البشر !
- من الحكم العطائية : «المؤمن يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكرا ، وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا» .
- من رمى أخاه بذنب أقلع عنه وتاب منه ، ابتلاه الله به !
- من مواقف النِفَّرى : من رأى الله وجب عليه حقه ، ومن وجب عليه حقه لا يتجه إلى سواه.
- على قدر الرغبة فى الدنيا والرضا بها يكون التثاقل عن طاعة الله وطلب الآخرة !

***

- لقد تغولت الثروة وترعرعت فى بر مصر ، واستشرى وتفشى فيها الفقر والفقراء ! ومن الغريب اللافت أن الثروة لا تتفطن للخطر القادم من الفقر والإملاق ! لو تفطنت الثروة للغضب المنحبس فى الصدور ، لاعتدلت وارعوت قبل أن يأتى طوفان لن يميز بين الغنى والفقير !!!
- لا تشاور فى الرأى عاطلًا أو متبطلًا !
- رب صديق صَدَّ وأغضى عن عيوب أصدقائه ، وأحل النصح محل اللوم والعتاب !
- من التزم بما ألزمه الله صار من أوليائه.

- قد لا يأتي الزلل من إرادة المعصية ، ولكن من غلبة الطبع وتزيين النفس الأمارة وإغراء الشيطان وقهر الهوى !

***

- في تحقيق أهدافنا الكبيرة ، نحتاج إلى التصميم والإصرار ، ولذلك نحرص عليهما ، أما في حياتنا اليومية فلا نحتاج كثيرًا إلى التصميم والإصرار ، ولذلك فلا نهتم بتنمية أو تعليم التصميم والإصرار . وأحيانًا نتبرم بهما إذا صادفناهما في غيرنا على شاكلة تبرمنا بالغباء أو التصلب أو الجمود !

فحظ الكثرة الكاثرة من القدرة على التصميم والإصرار ضئيل جدًا . وهذا يجعل مقاومتها لمن أوتوا قدرة عالية على التصميم والإصرار تكاد تكون مستحيلة إن لم تكن معدومة !

- لا تجادل ولا تنصح من يظن أنه مستغن بنفسه عن آراء الناس .
- قال حكيم من الزمن الأول :

" لا تحمل المتستر بالصداقة على المكاشفة بالعداوة ، مادام يصلح ظاهره ويداري أو يتصنع سرائره» !

- من رأى الله بقلبه ، لم يحجبه عنه حجاب .
- شراب الهوى حلو ، ولكنه يورث المرارة !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١١٨)

- كل مجتمع يحاسب مخطئيه أو مجرميه حسابًا إجماليًا يقف عملًا عند ثبوت أو عدم ثبوت ماديات الحدث ومرتكبه أو مرتكبيه والقضاء بالعقوبة أو البراءة ! لا يريد أى مجتمع أن يجد ويدرس ويتمعن ولا أن يتكلف ماديًا ومعنويًا على نحو جاد أكثر من هذا القدر الرسمى الذى اعتاد عليه استسهالًا وتحاشيا للجهد والعناء ، وهو يترك للقالة العامة عملية التلطيخ أو التطهير بناء على نفس الرؤية البسيطة البدائية التى أخذها بالظاهر دون تأمل أو دون تأمل كثير ، فيفترس بعض الناس سيرة الآخر وسمعته ، ويشيد بعضهم به وبشرفه ، وبين هؤلاء وأولئك يتوه المدقّق الذى يريد التزام الحياد ووزن الأمور عن بصيرة وتفطن !
- من أدرك أن العظمة لله وحده ، تعاظمت نفسه ، ولم يداخله عُجب ولا خيلاء !
- من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الأنس ، أورثته المودة ندمًا !
- إذا خالفت النفس هواها ، صار داؤها دواءها .

***

- يبدو أن الموهبة شأنها شأن العقل فى مصدر طاقتها ، وفى نشاطها وهبوطها ، فى سلسلة يومية من الحركة إلى أن تنضج ويتم نضوجها ،

ثم هى تنزل من قمتها إلى أن تنضب أو تنتهى أمام زحف السنين وطول العمر ، إلاّ قلة تحتفظ بومض الموهبة خصبة فائقة إلى سن بالغة التقدم .

- يبدو أن الرجاء تطلع ملازم لحياة الآدمى الواعية .. لأن حياته تمتد امتدادًا يستهدف الوعى .. له دائما أحوال أفضل فى هذه الدنيا أو فى حياة أخرى عند من يرجو قيامه بعد الموت .. حتى المنتحر ينتحر على أمل الراحة من حياة شقية تعسة لم يعد يحتملها ، والمريض بمرض قاتل لا ينقطع أمله كلية فى تكذيب يأس اليائسين من شفائه ، والمحكوم عليه بالإعدام لديه أمل فى النجاة من الموت فى آخر لحظة ، والفدائى فى إقدامه على الموت الراجح أو المؤكد يأمل فى المجد وحسن الأحدوثة .. لا يفقد الآدمى كل رجاء فى كل اتجاه إلا إذا أيقن أنه قد سدت أمامه كل الأبواب .. عندئذ يمزقه اليأس تماما ما لم يكن معه بقية من دين!
- العتاب حدائق المتحابين .
- من كانت قبلته إلى الله ، لا يرغب فى شىء من الدنيا والآخرة سواه ، ويفرغ نفسه لله تعالى ، ويقبل بوجهه وعمله عليه .. لا ينشد غيره .
- آفة العبد : رضاه عن نفسه بما هو فيه.

***

- الاختلافات والفروق فيما ينتجه الفرد الآدمى ، ليس مردها فقط إلى نقص أو زيادة فى معارفه وخبراته ، بل مردها الأهم إلى ما تعكسه من حقيقة حياته ، وتورى بأنه كائن حى تختلف كل لحظة من لحظات حياته عن الأخرى اختلافا لا يدركه هو ، ولكنه يشعر به ويتحمله ويحمل عواقبه مخلوطة فى شعوره .. فهو وحياته مركب من التغير والاختلاف المتواصل ، وليس خليطا من الثوابت والجوامد .. فلا يمكن للإنسان

مهما حرص وانضبط أن يكون محض آلة صماء لا تحس ولا تشعر ولا تتغير !

- من الظواهر المؤسفة ، أن بوصلة الإعلام بعامة تبدو ضالة حائرة فى هذه الأيام ، تاه منها أن الأصل الواجب هو التوجيه والإصلاح والتنوير ، وغرقت معظم قنواته فى هاوية « المسايرة» التى ترضى غرائز الناس ، وتثير أشواق النميمة ، وتستجلب زيادة التوزيع ، حتى وإن بثت الحول والعماء ونشرت مدركة أو غير مدركة عوامل الفساد والإفساد !
- لا تنتظر من المدبر أن يبذل لك الود ، وقد حجبه عنك أيام أن كان مقبلًا عليك ؟
- الطريق إلى الله سبيله قطع بادية الوجود بقدم الصدق !
- من عرف الله تعالى ، لا يخفى عليه شيء.

***

- إن الآدميين مهما تطوروا وتعلموا وتقدموا وعرفوا ، لا يستطيعون أن ينتجوا مباشرة إلا ما تتعاون عقولهم وأبدانهم على إنتاجه .. هذا الإنتاج يخرج حاملًا حتمًا طابع بداهتهم ومهاراتهم ومواهبهم وإلهاماتهم ، مثلما يحمل معايب وأخطاء وضلالات وأوهام عقولهم وأبدانهم وقت الإنتاج !
- قراءة القرآن الكريم قراءة متأنية مثابرة آية آية أو جملة جملة مع الاجتهاد فى تصور الجو والظروف والحالة بالنسبة للأشخاص عندما كانت الملة فى بدايتها دعوة وليدة تلتمس من يصدقها وينضم إليها ويؤيدها ، ويقاوم الواقع الغامر السائد الذى يعاديها لأنها تحاول تغييره وتشتد عداوته لها ومحاربته إياها كلما زاد عدد المصدقين والمنضمين والمؤيدين !

هذه القراءة للقرآن الحكيم شيء يختلف اختلافًا كليا عن القراءة المقصود بها التعبد أو المقصود بها التفقه أو المقصود بها التفطن لما فيه من البلاغة والفصاحة المعجزة غير العادية مع الحكمة والعمق . فهذه كلها تجريدات جزئية واشتقاقات فرعية لا ترى الواقع الأول للقرآن إلاّ من بعيد .. رؤية جزئية جدا تخفى حجم وحقيقة واقعه الأول ، أى حقيقة وماهية حياة الدعوة على مدى ثلاثة وعشرين عاما .

هذه القراءة المصحوبة بتصور الجوّ والظروف والحالة بالنسبة للأشخاص عند كل آية أى عند كل جملة تحمل « شحنة » مصدرها الجوّ والظروف والحالة هذه القراءة هى وحدها التى تعطى القارئ حجم وحقيقة واقع القرآن .

- أقرب شيء إلى مقت الله ، الانحصار فى النفس وأحوالها.

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١١٩)

• من الظواهر التى يلاحظها المتأملون فى شئون الحياة وطبائع الناس أن المجتمع يحاسبنا على ماضينا الذى لا يعرفه إن عرفه إلاّ معرفة ناقصة وقد تكون مبهمة أو مشوشة أو مبتورة ، وقد يعاقبنا على هذا الماضى بعقوبة مادية أو أدبية تستوفى من حاضرنا ومن مستقبلنا بطريقة ما ، وحتى الآن يرى المجتمع أن الحساب والعقاب على هذا النحو ميزانان لا بد منهما لبقاء المجتمع . وقد يعرف المجتمع حاضرنا وأحواله ، ولكن هل يعرف المجتمع مستقبلنا الذى تصيبه وتنزل به العقوبة على ماضينا الذى سلف ، وهل مستقبلنا فى جميع الأحوال ثمرة هذا الماضى أو غرسه كما يجرى التصور ، وهل الأحداث المرفوضة أو المحظورة بفرض حصولها عن عمد فى ماضينا معناها بالضرورة أن حياتنا الماضية كانت حياة شريرة خاطئة ؟!

هذه أسئلة تبدو معقولة ومشروعة ، ولكن المجتمع لا يشغل نفسه بها ولا يطرحها على نفسه بأية صورة جادة ، لأنه ما زال يستعمل باطراد موازين ومقاييس جامدة بدائية لقياس حظ الناس من الشرف والأخلاق والفضيلة .. هذه الموازين الجامدة ورثها عن الذين من قبله من دهور وأحقاب ، وهى مقاييس لا تقبل المراجعة لأنها مبنية على رؤية للعالم قديمة بسيطة بدائية !

• من تمام الإيمان ، أن يدرك المؤمن أن الله تعالى هو المتفرد بالربوبية والمُلك

والتصرف فى خلقه .. وأنه لا رب غيره ولا إله أو معبود سواه . فإثبات القدر والمشيئة من تمام حجته البالغة وأن الأمر كله له سبحانه وأن كل شيء ما خلاه ﷻ باطل ..

- من معرفة الله حق معرفته ، بعد معرفة ذاتـه وصفاته أن يوقن العارف أنه لا موجود حقيقةً ، ولا فاعل مطلقا إلاّ هو ﷻ .

***

- لا يستغنى العقل البشريعن الطاقة التى يستمدها من قوة البدن ، لكنه مع ذلك لا يزيد بزيادة القوة البدنية مثلما لا ينقص بنقصها ، اللهم إلا إذا بلغ النقص أو الخفوت البدنى حدًا لا يسمح بنشاط العقل ونشاط الحياة البدنية معًا .. وهذا يحدث كل يوم على مشارف النوم وعند المرض المستحكم أو الضعف الشديد ويحدث أيضا فى حالة الإغماء أو النزع الأخير .. كما قد يحدث عند الإسراف فى النشاط العقلى كثافة أو مدة ، فتستهلك بسرعة الحصة المخصصة للعقل من الطاقة ، ويشعر الإنسان بأنه لم يعد قادرًا على التفكير!
- مهما كبر الإنسان ، أو تقدم به العمر ، أو ارتفعت المكانة يحتاج دوما إلى مرفأ .. يأوى إليه حينا أو يلقى همومه ، أو يضع رأسه على كتفه ليبكى ويغسل أحزانه ، أو يستمد التشجيع والثبات والثقة ، أو ينشد النصيحة ، أو يتلقى العون والمدد .
- من عرف الحق بالحق ، أمن الشبهات .
- من أعظم النعم : الخروج من النفس . فهى أكبر حجاب بين العبد وربه ﷻ !

***

- ربما اعتاد الآدمى لسبب أو آخر على الاستمرار فى نشاطه العقلى رغم استهلاك حصته المخصصة المألوفة من الطاقة ، فينسى بالاعتياد مقاومة جسمه لذلك النشاط مقاومة لا يعطلها هذا النسيان ولا ينقصها ، بل لعله يزيد فيها أو يضاعفها .. وتتعرض الوحدة والتعاون الوثيق الأصيل بين البدن وبين العقل للتفكك والتحلل ولمفاجآت زحفهما التى يصعب أو يستحيل تداركها !
- الناس على الدوام أسرى للعادة وما يعتقدون ، أعداء ما يجهلون .. يخافون التوغل فى الأعماق مخافة التصادم مع الأفكار والمعتقدات ! وتجنبا لاتهامات السطحيين الذى لا يفكرون ولا يتأملون !
- إخوان السوء يتفرقون عند المحن والنكبات ، ويُقْبلون مع النعم والخيرات !
- ما عُبِدَ الله تعالى بشىءٍ مثل مخالفة النفس والهوى !
- من وقر فى قلبه النور الإلهى فهنيئا له الثبات .

***

- من أقوال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «لا أبالى أصبحت على ما أحب أو على ما أكره .. لأنى لا أدرى الخير فيما أحب أو فيما أكره» !

ومن أقوال الحسن بن على رضى الله عنهما : «لا تكرهوا النقمات الواقعة والبلايا الحادثة ، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ، ولربّ أمره تؤثره فيه عطبك» !!

يقول تبارك وتعالى : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة] .

- حين تلمح اللغو الذى ساد ، والهدير الصاخب ، وغياب العقل ، وترك الحجة إلى السفسطة والجدال لا تملك إلاّ أن تتأمل فى قول الله ﷻ : ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ۝٥٤﴾ [الكهف].
- قال أحد الصوفية : لقلْع الجبال بالإبر أيسرُ من إخراج الكبر من القلوب !
- صلاح القلب وسعادته وفلاحه فى عبادة الله ﷻ والاستعانة به ، وشقاؤه وهلاكه فى عبادة المخلوق والإيكال إليه .
- لا تأتى المنفعة الخالصة الخالية من الغرض أو المضرة ، إلاً من الله ﷻ ..

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٢٠)

• اعتادت الناس أن تلتفت إلى مكانة الشخص فى المجتمع ودورها فى حسابه عما يقع منه بالذات أو بالواسطة .. فمكانة الشخص إذا كانت مصحوبة بسلطة فعلية أو مفروضة تعطيه هيبة وأهمية وخصوصية فى نظر مجتمعه ، وتحد من إقدام الناس على إغضابه أو إسخاطه ، بل قد تحملهم على تجاهل علمهم بما يأتيه مما يغضب أو يستوجب المساءلة والمجازاة ! وربما حالت مكانته إذا بلغت القمم العليا فى نظره ونظر الناس ، دون توجيه الملامة والمساءلة إليه ، لأن هيبته تختلط بهيبة الدولة وتغطى أخطاءه وخطاياه ، ولذلك لا يبالى المغامرون بإتيان أى فعل يصل بهم إلى الحكم أو يساعدهم على الوصول إليه ، لأنهم بوصولهم إليه يصبحون فى مواقع السلطة بمنجاة من مساءلة مجتمعهم لهم ! فكيف يحاسبهم أو يلاحقهم بعد أن دان لسلطانهم ؟!

ما أكثر ما ارتكب بختنصر وفيليب المقدونى والإسكندر الأكبر ويوليوس قيصر وأكتافيوس ولويس الحادى عشر وفردريك الكبير ونابليون وهتلر وموسولينى ، وما أوضع ماضى الإمبراطورة تيودرورا والقيصرة كاترين الأولى ، وما أعظم خطايا القيصرة كاترين الثانية ، وما أشد ولاء واحترام رعايا هؤلاء لهم أحياءً وأمواتًا !!

يجرى هذا دون أن يتفطن عامة الناس إلى ما فى هذا وذاك من مفارقات تورى بأن البوصلة تتوه منا فى كثير من الأحيان ، وأن حكمنا على الأشياء

والناس كثيرا ما يلابسه الغرض أو الهوى أو الانبهار أو الفهم الملبوس ، وكم فى حياتنا من ملبوسات ؟!!

- من الصوفية من يحذر إظهار العبادة ، مخافة مظنة الرياء المخل بالإخلاص ! فمن استغرق فى ذات الله تعالى ، لا يخطر الخلق بباله ، فلا يعنيه إظهار الأعمال لهم ولا إخفاؤها عنهم !

***

- المهاجر ينفصل فى البداية عن واقعه ومحيطه الذى عاش فيه ، فإذا استقر فى مهجره ، أصبح مهجره هو واقعه الجديد ، ويخرج بلده الأصلى خارج إطار هذا الواقع ، وهو حين يذكره ويحنّ إليه إنما يذكره كصورة ثابتة ، اختفت منها الأجزاء التى تتعلق بعواطفه وأفكاره وما كان يطمع فيه أو يكابده ويتوق للخلاص منه قبل الهجرة ، لكنه فى مهجره يعانى واعيا أو غير واع قدرًا من المعاناة من محدودية وانحصار واقعه الحالى فى واقعه الجديد برغم اكتسابه جنسية المهجر ، لأن أشياء كثيرة حوله لا تكف عن تذكيره بأنه غريب على محيط وعلى قوم لا يزالون بالنسبة له غرباء ، ولهذا يلوذ عادة بأمثاله من المهاجرين من بنى وطنه أو من أبناء جنسه ليحس معهم بالألفة والأنس فى وحشة المهجر الذى لم يتكيف فيه بعد !
- من أقوال ذى النون المصرى :

« ما أَعزَّ اللهُ عبدًا بعزٍّ هو أعزّ له من أن يدله على ذُلِّ نفسه ، وما أَذَلَّ اللهُ عبدًا بذلٍّ هو أذلّ من أن يحجبه عن ذلّ نفسه» !

- أحيانا ما يأتى الضر مما يتصور الآدمى أن فيه المنفعة .. وكم من مخذول أتاه الخذلان ممن أمل فى عونه ونصره .. وكم من أناس صدفوا عن الله تعالى واتخذوا من دونه بعض العباد سندًا وعونا يوكلون إليه .. فى مثل

هذا الجنوح قال رب العزة : ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ [مريم] .. وقال جل شأنه : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس] .

***

- قيل إن طلاب الآخرة أربعة :

الزهاد ، والفقراء ، والخدام ، والعبّاد .

فأما الزهاد فطائفة شاهدوا جمال الآخرة بنور الإيمان والإيقان ، فالتفتوا إليها ورغبوا عن زينة مزخرفات الدنيا .

والفقراء طائفة تركوا أسباب الدنيا لطلب الفضل والرضوان .. رجاءً أو خوفًا أو توقعًا لفضل الثواب . هم فيما أرادوا محجوبون عن نظر الأغيار ، يحسبهم أهل الظاهر من أهل الرغبة ، وجمال حالهم مستور عن نظر الأغيار .

أما الخدام فطائفة اختاروا خدمة الفقراء وطلاب الحق ، ونظرهم فى الأخذ والعطاء إلى الله .

وأما العبّاد فطائفة يصرفون الأوقات كلها فى عبادة الله تعالى ، لنيل ثواب الآخرة ، أو مبرئين من شوائب العلل والأغراض .

- حال العاشق للدنيا المريض بها الغارق فيها ، كحال العاشق الفانى فى حب معشوقه .. كلما رام قربًا منه نأى عنه !!!
- من هداه الله تعالى ، أبصر الحق والباطل عيانًا بقلبه ..

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٢١)

• في النبوة المحمدية ، فضلا عن عنايتها الجمة بجانب الروح والنفس فيها اعتراف جاد بالعالم المادى الظاهر ، وأنه واقع ضرورى لا يجوز تجاهله وليس منه مفر لأى حى أو غير ى ، لأن الحى وغير الحى جزء موجود من العالم المادى لا محالة .

وفى النبوة إيمان فطرى بأن ذلك العالم بما فيه من أحياء ، محكوم بحكمة خالصة .

وفى هذه النبوة إيمان فطرى بأن الفارق الجوهرى بين الآدمى وبين غيره ، أن الآدمى مسئول أمام خالقه عن الإفساد والفساد الذى يقع بقصد أو بغير قصد أو باختيار الآدمى ، فهو الوحيد أى الإنسان الكائن المكلف المسئول عما يفعل وعما يدع وعما يحسن وعما يسىء .

وحياة نبى القرآن عليه الصلاة والسلام يميزها عن حياة غيره ، كونها مركزة على هذه المسئولية بدعوة داخلية قاهرة ملازمة ، لا يستطيع أن يهرب النبى من «صوتها» فى نهار أو ليل فى أى مكان أو زمان .

• من الحكم العطائية : «لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلاّ فى غيب الملكوت ، كما لا تظهر أنوار السماء إلاّ فى شهادة الملك» .

***

• فى حياتنا الواعية العادية يشعر كل منا وباستمرار بذاته كذات فاعلة مالكة متصرفة مريدة مختارة . وهذا هو طابع عالم اليقظة لكل منا ..

هذا العالم الذى يتميز عن النوم وعن الأحلام التى نراها فى المنام .. يتميز بالشعور المستمر بالوعى المريد المختار المتصرف المالك الذى يُبنى ويرتكز عليه كل ما نسميه بالواقع .

فعالمنا الواقعى هو عالم الذات فيه هى أهم شىء فى عين نفسها ، لأن كل شىء آخر خلافها هو بالنسبة لها موضوع لنشاط وعيها المريد المختار المتصرف المالك مباشرة أو بطريق غير مباشر .

وكما نقول إن الأمة مصدر السلطات ، فإن هذا أكثر واقعية وتعبيرا عن الحقيقة فى عالم الذات .. ففى هذا العالم الذات هى فعلا مصدر السلطات ومقر السيادة .. تضرب عملة تعاملها باسمها وتحسب كافة المكاسب والخسائر لها وعليها .. ويمسك الوعى بحساب ذلك كله ابتداء وافتتاحا وانتهاء وإغلاقًا .. فوعى الذات هو المحاسِب والمحاسَب .. تقيده الذات إن قيدته لنفسها دائنة ، ومدينة إزاء نفسها !

- يجب أن نجل كل الإجلال ما بين أيدينا من المعارف والعلوم وخاصة العلوم الوضعية .. هذه العلوم التى تقربنا بقدر استطاعتها من معرفة الكون الطبيعى ، لكنها فيما يبدو تغمرنا غمرًا شديدًا وتلفتنا إليه وحده التفاتا ينسينا أنفسنا كآدميين .. فنحن لا نصبح أكثر آدمية ومعرفة بأنفسنا إذا أهملنا محاولة معرفة ماذا نكون ؟ وبماذا نختلف حقيقة عن باقى مكونات الكون الطبيعى ؟ وكيف حدث هذا الاختلاف.؟ وماهى معقباته الحاصلة والمحتملة ؟!
- لا يكون غريبا من كان له مع الله أنسٌ ومودة .

***

- إننا نخدع أنفسنا دائما بأننا وحدنا الذين نعى ونعرف على هذه الأرض ، ونخدع أنفسنا حين نتصور أننا نعرف بالضرورة أكثر ممن سبقونا من جنسنا .. وهذا التصور تصور صحيح جزئيا ! ربما لو كان معنا على هذا الكوكب جنس آخر يعى ويعرف لهتف للإنسان ورفع رايته ، ولكن من الذى يهتف لنا وقد تقطعت الروابط والصلات الآدمية والإنسانية وتضاءل الإحساس بهذه الروابط لدى جميع الناس ، فلم يعد يهم أحدا تقدم وتطور العلوم والمعارف ، ولم تعد إنجازات العقل تعنى إلا من وفقوا إليها من الباحثين والعلماء الذين يعكفون فى صمت لمعالجة هموم البشر !
- قال حكيم من الزمن الأول لابنه : يا بنى ، اصحب الملك بشدة الحذر كما تصحب السبع الضوارى والأفعى القاتلة .. واصحب الصديق بلين الطبع والتواضع .. واصحب العامة بالبر والبِشر واللطف باللسان .
- السكون ، وطن الغرباء ، وكنز المفلسين ، ومع المحبين والمخلصين والموحدين .

***

- الاختلاف بين المواطن فى المهجر وبين المواطن المقيم ، اختلاف بين واقعين .. فالمهاجر ينظر إلى بلده الأصلى من بُعد مكانى ونفسى وفكرى ملىء بالافتراضات وإن كان حافلا بالإخلاص والمحبة وحسن الاستعداد والنوايا ، والمواطن المقيم يرى المهاجر من بُعدٍ أشد حتى وإن كان من بلده أوابنه أو أخيه أو قريبه أو صديقه ، لأنه مشغول بواقعه الغامر الذى يستغرق اهتمامه ، ولأن مصلحة المهاجر دائما مصلحة فردية معنية بذاته ومن فى حكم ذاته ، وليست مصلحة قومية ذات

أصداء قريبة وبعيدة يشترك فيها بشكل أو بآخر كل مواطن صالح أيا كان ، وفى أى بلد .. كما أنه يستحيل على المواطن المقيم أن يحيط بظروف المهاجر ويعرف من قرب متاعبه ويحس بمخاوفه وهمومه ومصادرها التى لا يمكن أن يدرى بها إلا المعايش الذى مرّ بأمثالها وكابد دروسها وسلّمت أعماقه بوجودها وبضرورة احترام أعرافها وأحكامها !

- من الحكم العطائية : «ليس المحب الذى يرجو من محبوبه عوضا ، أو يطلب منه غرضا ، فإن المحب من يبذل لك ، ليس المحب من تبذل له» !
- التجنّى رسول القطيعة ، وسبب السُلوّ ، وأول التجافى ، ومنزل التهاجر !
- الهموم والأحزان والغموم ، تغسل القلوب !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٢٢)

- الكل من قديم الأزل مشغول مطهوم حتى النخاع يحاول جمع المال وتكديس الثروة أو السلطة التى تؤدى إلى تكديس الثروة .. يزين له هذا الانشغال أنه ضمان يرى أنه سيعفى به ذريته من المسئولية عن حاجاتهم والسعى من أجلها ويجعل لقوة المال أو السلطة تدبير احتياجاتهم ومسئولية غيرهم من الأجراء أو الأتباع !! فى كل مجتمع بشرى تحيا طائفة فى سعة ورغد وترف وفراغ ، وكلنا ينسى فى تيار هذه المحاولة التى لم تنقطع أن نمو الشعور بالمسئولية الشخصية عن الحياة وحاجاتها ، ضرورى لحياة أبنائنا وبناتنا حياة مليئة وموفورة ، وضرورى لارتفاع نسبة الجد ودرجة اليقظة ومستوى الثقة والتساند فى الجماعة ككل !
- حاذر مَنْ إن ضحك لك ، ضحك منك . فإن لم تتخذه عدوا فى علانيتك ، فلا تجعله صديقا فى سريرتك !
- للشاعر الزاهد محمود الوراق (ت ٢٢٧ هـ) :

تعصى الإله وأنت تظهر حُبّه   هذا وربِّى فى القياس بديعُ
لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن أحب مُطيعُ

- قيل لأحد الصوفية : إنى أريد أن أحج على التجريد.

فقال له : جرد أولًا قلبك عن السهو ، ولسانك عن اللغو ، ثم اسلك حيث شئت.

***

- هل يمكن أن تنعكس الآية وأن تتغير أعماق الإنسان العادى فيرى أن الكدح نعمة عظيمة تحفظ عليه قوته البدنية والمعنوية ، ويدرك أن الشعور بالمسئولية الملازمة عن تصرفاته كلها هو قمة القمم لأنه قمة إنسانيته كإنسان فى كل الظروف والأزمنة والأمكنة ، ويعرف أن الفراغ نقمة هائلة .. يذوى بها عقله ويضمر ضميره ويتقلص شعوره بإنسانيته ومسئوليته ، وأن الترف وطلب الترف قلة نضج وطفولة ورخاوة وتعلق بالأشكال والقشور وإدمان معيب للاعتماد على الآخرين ، وتمسك بتميز سطحى ظاهرى يستر خواء أو وهنًا يرتكز على مصطلحات ومعتقدات قد تسقط إذا قامت ثورة أو اندلعت حرب فيجد المترف الفارغ نفسه فى حضيض الحضيض !!
- قال بعض الخواص :

من ترك شهوة فلم يجد عوضها فى قلبه ، فهو كاذب فى تركها !

- قال حكيم من الزمن الأول فى إحدى رسائله :

تعهد الإخوان بإحياء الملاطفة .. فإن التارك متروك .

وتعهد إخوان الإخوان ، فإن إخوان الإخوان من الإخوان .

وتعهد المتشبهين بالإخوان ، بالصبر عليهم .. فقد يسفر الصبر عن صديق ، إن لم تتق به سوء الحديث !

- من عبد الله لخوف أو لطمع ، لا محبة ولا طاعة ، فقد عبد نفسه !!

***

- يبدو أن الآدمى سيبقى لمدة طويلة يمقت فى أعماقه الكدح والشعور بالمسئولية ، ولا يرى طريقه الصحيح ..لا لأنه لم يسمع به أو لم يلفت نظره إليه ، ولكن لأنه لايزال قليل الثقة بالعقل حائرا بين شهيته السانحة

المتعجلة وبين الراحة المتبصرة المتأنية التى ينادى بها عقله . والعمران الحالى كالعمران السابق عليه والأسبق يلتفت إلى النجاح فى مغالبة الطبيعة من حوله وإلى إخضاعها لمشيئته ، لكنه لم يحاول جادًا مغالبة طبيعـة الآدمى ذاته وإخضاع شهيتها البدائية لحكم البصيرة والعقل !!

- من الحكم العطائية : «لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ، إذ لا مسافة بينك وبينه ، حتى تطويها رحلتك ، لا قطعة بينك وبينه ، حتى تمحوها وصلتك» !
- من أقوال العارفين : «أعطى الله المحبين ثلاثة أشياء : الحلاوة ، والمهابة ، والمحبة» .
- لا يمحو الشهوات من القلب إلاَّ خوف كامل أو شوق قوى !

***

- إن أساس الحضارة الحالية النفسى هو هو أساس الحضارات الماضية ، والعمران الحالى يتعرض لنفس التفكك الذى تعرّض له العمران البشرى فيما مضى .. فالإنسان الآن ليس أقل من آبائه اشتهاءً واستعجالًا للراحة واحتفالًا بميوله البدائية وفرارًا من الشعور بالمسئولية الشخصية وشغفًا بالبطالة والفراغ فى ضيقه بالكدح .. لا يدرك فى إخلاده إلى هذا الفراغ أنه لو نجح أغلب الناس فى الإقلاع عن ذلك ومقاومته واعتباره نقصًا وعيبًا وطفولة وصغارًا لوجدت حضارتنا الحالية نفسها على الطريق الصحيح الدائم ، الذى ينتقل بها من تقدم إلى تقدم أكبر وازدهار متتابع ليس لتجدده نهاية !
- قال أبو سليمان الدارانى: من أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره .. ومن أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله ..

ومن صدق فى ترك شهوة كُفى مؤنتها ..

والله أكرم من أن يعذب قلبًا ترك شهوة لأجله.

- سئل معروف الكرخى عن المحبة ، فقال : «المحبة ليست من تعليم الخلق ، وإنما هى من مواهب الحق وفضله» .
- لا تضع زمامك فى يد الهوى ، فإنه يقودك حتمًا إلى الظلمة !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٢٣)

• الأعياد فى حياة الأمم والشعوب عادة جارية متبعة ، تبدو كواحات وسط هجير الحياة ورتابة الأيام وربما لهيب الأحداث .. لا تخلو أمة من الأمم من أعياد دينية ، وأخرى قومية ، ووطنية ، واجتماعية ، وموسمية ، ومناخية .. فتحتل هذه الأعياد مساحة عمرنا كأفراد وجماعات ، وحفاوتنا نحن المصريين بالأعياد ، حفاوة ملحوظة .. تتخلل كأحواض الزهور أيام عمرنا المتراوحة بين الرتابة والسخونة أو العواصف ، الحافلة بالكدح والمفاجآت وأحيانا بالأهوال .. تختلف أشواقنا إليها تبعـًا لمناسبة العيد ونوعيتـه ، مثلما قد تختلف طقوس أو أساليب وصور وأشكال احتفالنا بها .. تأتى هذه الأعياد على اختلافها كواحات وسط هذا الخليط الذى تمتلئ به أيام العمر ..

• الذين استطاعوا الخروج من عالم الذات ، هم فقط الرسل والأنبياء والقديسون وأفذاذ وقمم العلم والفن الخالصة المخلصة .. لن تصبح هذه القمم الرفيعة النادرة أنماطا شعبية فى أى مستقبل معقول . عسير إن لم يكن محالا أن تحاكيها من جهة قدرتها على الحياة خارج عالم الذات أنماط شعبية يمكن أن تقع عليها العين فى أى مكان يغشاه آدميّون .

• قال أحد العارفين فى شفاء القرآن ، إن ما تضمنه من العلم واليقين ، يتجلى فى الإثبات كما يتجلى فى النفى ..

ففى الإثبات : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] .

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] .
وفى النفى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] .
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۝١١٠﴾ [طه] .
وقال العارف : ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى .

***

- الأعياد مجددات لنشاط ونفسيات الأفراد والجماعات ، لا تستغنى عنها جماعة من الجماعات ، بما يصاحب أيامها وساعاتها من بهجة ورخاوة ، ومن انطلاق واسترخاء يحتوى الجماعة كلها ويخفف من بعض قيود الحياة اليومية المعتادة .. تعلن هذه الأعياد عن نفسها بما يغمرها من تقاليد وزيارات وهدايا ومآكل ومشارب وملاعب وملاهٍ .. يراعيها معظم الناس ، ولا يتجاهلها إلاّ المتصنع المتكلف ، أو المريض المعتل بعلة معوقة ، أو الأجنبى الغريب المتغرب عن الجماعة الذى يأنف أو يستحيى من الاشتراك معها فى أعيادها !
- من الحكم العطائية : «جعلك فى العالم المتوسط بين مُلْكه ومَلَكُوته ، ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته، وأنك جوهرة ، تنطوى عليك أصداف مكوناته» !
- يتغذى القلب من الإيمان والقرآن ، بما يزكيه ويقويه ، ويؤيده ويفرحه ، ويسره وينشطه ..
- جلاء البصيرة ينقش فى القلب صورة المنظور ، والقلب كعبة لا تقبل مزاحمة الأصنام لجلال المعبود .

***

- الأعياد من لوازم وجود الجماعة المطردة الدائمة .. لا تنقطع وقلّما تتغير

مواعيدها وأماكنها ، وقد تتغير أسماؤها وبعض سماتها مع تغير عقائد الجماعة أو تغير أفكارها أو حضارتها .. ذلك لأن الأعياد تواجه آليا تغيرات الجماعة بما يتناسب مع حالها وظروف المكان والزمان ، فتزدهر الأعياد فى أوقات الرخاء والأمن والسلام ، وتنكمش فى زمن الفقر والأزمات والاضطراب والحرب !

- إن مستقبلنا هو آمالنا وليس إلا آمالنا التى نرجو أو نطمع فى تحقيقها .. فحياة الآدميين لا تتكرر فى قوالب وأنماط ثابتة إلا إذا أصبحت آمال الآدميين سلبية محصورة فى إبعاد واستبعاد ما يكذب ما معنا من الحاضر وفى استمرار إقناعنا بأنه ليس فى الإمكان إيجاد شىء أفضل مما كان .
- جماع الزكاة ، وهى النماء والزيادة فى الإصلاح ، فى أمرين : الطهارة والزكاة جمعهما ﷻ فى قوله : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] .
- قال بعض الصوفية : «المعرفة بساط لا يطأ عليه إلاّ مُقرب ، والمحبة نشيد لا يطرب عليه إلاّ محب مغرم .

***

- قضية العيد ذاته عند أفراد الجماعة من المسلمات التى لا تناقش ، وإنما الذى قد يناقش هو كيفية الاستجابة لها والاستعداد والترتيب اللازم للاحتفاء بها .. فتجاهل الأعياد يكاد يكون فى نظر الناس عيبا أو ظلمًا لا يغتفر، يصحبه حزن عميق يغمر من يحرمون فرصة العيد وبهجته . وكثيرا ما ترتبط كسوة الأهل الدورية بالأعياد ليزيد الكساء الجديد فى بهجة العيد ، وكثيرا ما تستعمل مواعيد الأعياد فى التأريخ وتحديد موعد الزواج ، وفى معرفة متى ولد المولود أو مات الميت أو حدث الحدث .

- نحن نعيش أغلب الوقت دون أن نهتم بالحكم على حياتنا وقيمتها تحت فرض أنها قيّمة على كل حال مهما كانت .. وهذا قد يفسر إنفاقنا لها كيفما اتفق بلا حساب ولا عناية وترك الآخرين يدلفونها إلى إنفاقها بلا عناية ولا احتمال .. كأن فكرة الجدوى غير أصيلة بالنسبة للحياة .. ولكن الخلط بين الجدوى وبين العناية غير معقول بالنسبة للحياة .. فالحياة تستلزم العناية بها .. وإذا كانت الجدوى سؤالًا لا تسأله الحياة الطبيعية ، وإنما يسأله عقل الإنسان فقط فإن العناية تتطلبها الحياة والطبيعة فى أدق الأشياء وأكبرها !
- البصيرة العمياء تجزع من صبر ساعة !
- إذا رأيت أحدًا يشترى الخسيس بالنفيس ويبيع العظيم بالحقير ، فاعلم أنه سفيه !!

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٢٤)

• لا يعنى ظهور وبروز أصحاب التيجان ولا حاملى عصى الصولجان ، أنهم بالضرورة هم صُناع المجد .. فواقع الأمر أن صفحات التاريخ من صنع البسطاء فى أغلب الأحوال .. هم الذين يدفعون الثمن بينما القادة هم الذين يضعون أكاليل الغار .. كل ذكر أو سمعة أو مجد بنى ويبنى وسيبنى ، إنما كان فى الواقع على أكتاف الآدمى العادى كثير العدد الموجود فى كل مكان وزمان . الآدمى العادى بالنسبة لذكر المذكور وسمعة المشهور ومجد الماجد هو الأرض والسماء والماء والهواء والزرع والضرع والكون والوجود والعدم والأولى والآخرة . لأن الذكر هو ذاكرة الناس والسمعة آذان الناس والمجد بمجيد الناس . وكل مجيد أو مذكور أو مشهور بطلا كان أو قديسا أو ملكا أو زعيما أو فاتحا أو قائدا أو عالما أو فنانا يحيا ويموت فى الناس وبالناس وفى عقول وقلوب الناس .. هؤلاء العاديون العديدون المجهولون فى الغالب الذين يتدفق بهم نهر الحياة والذين يحفرون مجراه ويشكلون أمواجه وتياراته دون أن تكتب أسماؤهم على معابره وجسوره ومرافئه أو على اندفاعاته ودواماته وعربداته !!

• من الظواهر المؤسفة أن يقع الأفراد أسرى جدوى الأكاذيب والخداع .. وأن يظنوا أن المهام والأعمال والإنجازات والحقائق والأدوار تنجز بالدعاوى والمخادعات مهما بلغت من التفاهة والتهافت والتنافر والافتضاح !!

- من الحكم العطائية : «الكائن فى الكون ، ولم تُفْتح له ميادين الغيوب مسجونٌ بمحيطاته ، ومحصورٌ فى هيكلِ ذاته» !
- قيل : الخوف ، قوة العلم بمجارى الأحكام .
  وقيل :هو حركة القلب من جلال الرب .

***

- من المهم أن نتقبل ما فى حياتنا بتلقائية طيبة ، وأن نتمسك بالخصال المعطاءة فى حياتنا الاجتماعية ، وأن نحترم أصل هذه الحياة .. هذا الأصل الذى يعز علينا معرفته كله بيقين .. لا هو ولا تطوره عبر القرون ، كما يجب أن نحاول بلا تعصب تقويم ما نعتقد بإخلاص أنه فى حاجة ماسة إلى تقويمه .. من المهم فى ذلك كله أن نفارق التعصب ، فقد يأتى قابل الأيام بما يدلنا على خطأ ما اعتقدنا صحته ، وصواب ما اعتقدنا خطأه .. صحة السند أو التصور مسألة نسبية ، وليس من اليسير إلغاء «التلقائى» الموجود من قديم فى حياتنا .. الأعياد بطبيعتها متصلة بالشعور والارتياح الطبيعى الذى يشد أشواق الناس وحفاوتهم بعيدًا عن الفرض أو الإرغام .. هذه الأعياد واحات حقيقية تستخرج الإنسان من هجير ومتاعب الحياة ، وتروح عنه ترويحًا يغمر نفسه ويغمر المحيط بصلات وجسور تتجدد يعمرها وفاء المودات والمحبات .
- لا يوجد شيء متعين يفسر نفسه بنفسه .. وكل ما فى الوجود من الأشياء المتعينة صغرت أو كبرت يحتاج أمام العقل إلى مفسر خارجه .. يفسرها أى يفسر وجودها على ما هو عليه .. إذ فى طبيعة العقل طلب هذا التفسير أيا كان مستوى العقل !
- لن يعدو عليك العدو ، إلاّ إذا أدرت ظهرك وأهملت التيقظ له !

***

- الناموس فى عالم الحيوان أن الكائن بعد طفولة قصرت أو طالت يكبر وينفصل عن أمه ويستقل بتدبير معاشه .. والصلة وثيقة جدا بين الكبر وبين هذا الاستقلال أو الانفصال ، وهى صلة تبادلية : الاستقلال يعمل على زيادة النمو ، والكبر يزيد فى الاستقلال ، وليس يوجد إخلال بهذا الناموس فى عالم الحيوان !

على أن هذا الإخلال الغائب فى عالم الحيوان ، موجود من قديم وشائع فى عالم الإنسان .. ربما كان هذا نظرا لسعة مجال الاختيار والمشيئة والخبرات والقدرة على التصور والتخيل والافتراض، وعلى إقامة القيم والعادات والأعراف والأنظمة ، وانفساح ميدان العواطف والرغبات إلى غير حد !

- الخيال هو رحم العقل الخصيب .. وأعجب العجب إنكار أهل الأديان نشاط الخيال عند الأنبياء أصحاب الرسالات .. مع أن هذه الصفة وتلك القدرة من عناصر اصطفاء السماء لهم ، ومن أسباب ومقومات نجاحهم فى حمل وتبليغ رسالاتهم وبقائها حتى الآن حية قابلة للحياة !
- أحيانا ما يكون التناسى أشر من النسيان ، وقديما قال الشاعر :

أتناسْيتَ ؟ أم نسيت إخائى ؟ والتناسى شر من النسيان !

قال الصوفى بشر الحافى : «الخوف من الله ملَكٌ لا يسكن إلاَّ فى قلب متقٍ » .

وقال النورى : «الخائف يهرب من ربه الى ربه » .

وقال الدارانى : «ما فارق الخوف قلبا إلاَّ خرب» !!

وقال ذو النون : «الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف ، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق» !!

***

- كثير من الأعياد دخل مع الزمن فى رحاب الأديان ، حتى وإن كان أصله غير دينى .. ساعد على ذلك مكانة وانتشار الأديان ، وتفرغ كثيرين من

رجالها وتمسكهم بالمواعيد والمناسبات الدينية ، فضلًا عن مكانة كلمة الدين المسموعة بعامة وفى هذا الجانب الرخى المبهج ، ولاشك أن رجال الدين يعطون للعيد مصداقية تزيد فى حماسة الناس له واحتفالهم به ، بينما يعطى الاهتمام بالعيد مزيدا من الالتفات للدين .

- من الحكم العطائية : «إنما وسعك الكون من حيث جسمانيتك ، ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك »
- من أقوال الصوفية : الهمة العلية من استعد صاحبها للقاء الحبيب ، وقدم التقادم بين يدى الملتقى فاستبشر عند القدوم .

يقول رب العزة : ﴿ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ﴾ [البقرة :٢٢٣] .

- إذا تجلى الله تعالى لعبده بصفات رحمته وبره ولطفه وإحسانه ، انبعثت فيه قوة الرجاء وانبسط أمله وسار إلى ربه وحادى الرجاء يحدو ركاب سيره .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٢٥)

- أطماع الآدميين حقيقة لا ينكرها أحد ، ولا مدعاة لإنكارها ، لأن الطمع بعامة يجمع بين الطيب والخبيث .. فمن المؤمنين الأخيار من يدعو ربه خوفا وطمعا .. ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦] .. والمؤمن مأمور بأن يدعو ربه خوفا وطمعا .. ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف : ٥٦] .. وهناك أطماع ملتوية ، وأطماع مرضى القلوب والبصائر .. ﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾. [الأحزاب: ٣٢] .. بيد أن الأطماع فى مفهومها العام هى التى تقود البشر أكثر من أى دافع آخر ، وكلمة أطماع تعنى فى هذا المصطلح ما تشتهيه الأنفس وتسعى له لنفسها ولمن هم فى حكم نفسها مما تتصور أنه يرضيها فى الحال أو فى المآل .. هذه الأطماع تختلف عما تشتهيه النفوس فقط دون أن تسعى له أى سعى .. فهذه محض أمنيات لا تدخل حيز الأطماع فى مفهومها الاصطلاحى !
- ما لا تلتفت إليه الأنظمة العربية الرسمية ، أن عجزها إزاء المد الشعبى ، سوف يكرس الخرق ويوسع الفلق الذى طفق يتزايد اتساعًا بين رؤية وريادة وانتفاضات الشعوب وتراجع وعجز الحكومات . حينذاك سوف تفقد هذه الأنظمة مشروعية وجودها ، وقدرتها على قيادة شعوبها ، وتقدم دون أن تدرى أسباب تخلى الهيمنة الأمريكية عنها !!!

- بئس من تمنحه ودّك فلا يصونه ولا يحفظه !! وبئس من تستودعه سرك فينشره !!
- قيل فى المواقف والمخاطبات للنِّفَّرى : «من كان دليله من جنس حجابه احتجب عن حقيقة ما دل عليه».

***

- « الأطماع » فى عمومها أعم بكثير من كلمة الرضا وكلمة القربى وكلمة الذرية وكلمة الإرث وكلمة الخير وكلمة العدل والحلال والحرام والصدق والحق والرزق والنعيم ومن كلمة العطايا والمواهب ومن كلمة الاصطفاء والاختيار وكلمة الأمان والسلام وكلمة الفوز والانتصار والتوفيق وكلمة الذكر والجاه والسلطة والقوة وكلمة الولاء والأحباب والأتباع !
- لم يكن النفخ الضرير فى عملية سطو تصادف إبان الحرب العالمية الأولى أن كانت على قطار محمل بأسلحة للإنجليز ، سطا عليه وسرقه أدهم الشرقاوى ، مبررًا لجعله بطلا مغوارًا ، تكتب حوله وفيه القصص والتمثيليات ، دون أن تتنبه إلى أن هذا السلاح استخدم فى مزيد من السطو والاجتثاث والقلع والقتل والسلب والنهب والاغتصاب !
- لم يكن هذا النفخ الضرير هو الأكذوبة الوحيدة التى جعلت من القرصنة بطولة شعبية تنطلى على البسطاء ، وتنسج حولها الحكايات والأشعار ، ليتناقلها الناس ويرددوها بلا وعى ولا عقل ولا فهم ! وإنما كتبت تحت عنوان «البطولة»و «الأبطال» سير عديدة شرقية وغربية للصوص أو قراصنة ولجبابرة جعلتهم الحكايات الشعبية والأشعار أبطالًا بلا بطولة ، وروجت دون أن تدرى للقرصنة واللصوصية والجبروت !!

- تأتى الخطيئة من أبواب ، التفطن إليها والحذر منها واجب ..
إياكم والكبر .. فهو الذى حمل إبليس على ألا يسجد لآدم !
وإياكم والحرص .. فإنه الذى حمل آدم على أن يأكل من الشجرة !
وإياكم والحسد .. فإنه الذى دفع قابيل إلى قتل أخيه !

***

- لم يخل قلب لآدمى حتى ولو كان قديسًا أو وليًا أو مقربًا من الأطماع فى عمومها ، لأنها فى عمومها لا تتعارض مع إخلاص المخلصين ووفاء الأوفياء وصفاء قلوب سليمى القلب والسريرة .. فكل منا يطمع فى صحة البدن والعقل ، وكل مؤمن يطمع فى الجنة ومرضاة الله التى تؤهله للمغفرة والمثوبة والإكرام.
- وعى الآدمى هو مرآته للحياة ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها. هذا الوعى تختلف سعته وحجمه على قدر إدراكه لما هو عليه ومعه فى ماضيه وحاضره وتصوره واستشرافه لما سيحدث أو يتمنى أو يخشى حدوثه .. هذا الوعى لا حدّ لنموّه كما لا حدّ لضيقه أو ضموره .. يبدأ فى كل آدمى عن جهالة تامة لأنه يولد لوالدين أو محيطين محكوم كل منهما بنسبة وعيه ، وينمو منذ الميلاد ومع أطوار العمر وما يصادف الآدمى فيها ، ثم ينتهى بانتهاء حياته على قدر ما بلغه فى رحلتها من النمو والاتساع أو الضيق أو الضمور .
- من الحكم العطائية : «أنت من الأكوان ما لم تشهد المكون ، فإن شهدته كانت الأكوان معك » .
- قيل فى المواقف والمخاطبات للنِّفَّرى : «من لم يكن جاذبه هو الله لم يصل إلى الله».

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٢٦)

- كثرة الاحتمالات والغيبيات فى حياة الإنسان محسوب حساب مواجهتها والتعايش معها ضمن تكوين المخ الآدمى ، وضمن الوعى والفهم والذاكرة والمخيلة والعواطف المركبة المعقدة . وهذا المخ هو الوحدة الحقيقية للجنس البشرى التى تجمعه لتفرقه وتفرقه لتجمعه وهكذا دواليك .. لا يشاركه فى تلك الخاصية الفذة الهائلة أى حيوان أو نبات .. فأطماع الإنسان أيًا كان وأيا كان موقعه وعصره ثمار مخه وفهمه قابلة لأن يقومها أو يفسدها ويضلها هذا المخ والفهم ، أيًا كان زمانه ومكانه وجنسه ولونه ودينه ولغته !
- هل التزمنا بحدودنا البشرية وأدركنا كم هو مخيف وضرير أن ننسب الحوادث والكوارث والملمات إلى عقاب إلهى ، بينما لا صلة ولا رابط ولا سببية بين ضحايا الحادث أو الكارثة أو الملمة وبين ما يعتقده المعتقد أصاب أم أخطأ فى أوزار وخطايا آخرين لا علاقة للضحايا بهم أو بأوزارهم !!

هل يستطيع مخلوق أن يستقرئ الإرادة الإلهية ، وأن يرد وينسب إليها ما يريد أو ما يعتقد ؟! أليس هذا تطاولا على المشيئة الإلهية ، ورجما فيما لا يجوز فيه الرجم ؟!

- قال حكيم من الزمن الأول فى الصاحب المخلص : «هو أفصح خلق الله كلامًا إذا حَدَّث ، وأحسنهم استماعًا إذا حُدِّث وأكفهم عن الملاحاة

والشقاق .. يعطى صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة .. هو كالذهب الإبريز الذى يعز فى كل أوان ، والشمس التى لا تخفى بأى مكان ، والبارد العذب للعطشان» .

- فى المواقف للنِّفَّرى : «أظهر الله الخلق فصنفهم أصنافًا وجعل لهم الأفئدة فأوقفها إيقافًا .. فكل واقف فى مبلغه منقلب بحكم ما وقف فيه».

***

- غلبة الأطماع على حياة الآدمى ضرورة فرضتها كثرة الاحتمالات والمجاهيل والغيبيات فى حياته الفردية والاجتماعية ، فهو من لحظة الإخصاب إلى أن يغادر الدنيا يتحسس طريقه الذى لا يعرفه بيقين ، ويتنسم ويخمن ويتأول ويخاطر ويغامر ويقامر ويَخدع ويُخدع ويسلم ويستسلم ، ثم ينتهى وهو صفر اليدين أو يكاد .. لا يترك إلاّ آثارًا ومأثورات لا تقطع باتجاه واحـد ثابت ، ولا تلقن أحدًا من بعده سلوكًا بعينه لا يتغير أو لا يجاوزه الناس ولا يخالفونه !
- منذ أن وجدنا على هذه الأرض يبدو أنه لم يكف بعضنا عن بعض نقدًا أو لومًا أو عتابًا أو عقابًا بشأن وجه أو آخر من وجوه ذلك الاستغراق .. لكنه نقد موجه دائمًا إلى الغير .. لا يشمل قط نقد الناقد لذاته أو لمن هم فى حكم ذاته .. ولذا بقى هذا النقد الذى لا ينقطع قليل الجدوى عديم الأثر !

لم نحاول حتى الآن صرف أو تركيز هذا النقد إلى ذواتنا .. لأننا نخشى أن نتعرى أمام أنفسنا أو فى عيون الناس فتسقط قيمتنا ومهابتنا فى نظر مجتمعنا .. وقد نخشاه ونتجنبه خوفًا على ما لا يزال معنا مما اغتنمناه أو نأمل فى اغتنامه مما يستوجب ذلك النقد المر !!

- كتب الصحابى أبو الدرداء يدعو سلمان الفارسى إلى زيارة الأراضى المقدسة ، فلما لم تتح له الزيارة ، كتب إلى صاحبه يقول :

« إنْ بعدت الدار عن الدار ، فإن الروح قريب ، وطائر السماء على إِلْفِهِ من الأرض يقع» .

- فى المواقف للنِّفَّرى : «فتح الله لكل عارف محق بابًا إليه فلا يغلقه دونه .. فمنه يدخل ، ومنه يخرج ، هو وسكينته التى لا تفارقه».

***

- لم يقلل انتشار العلم الوضعى وآثاره التى لا تحصى فى الاختيارات والأذواق والأعمار والأجناس من المبالغة فى السطحية والخفة فى حياة البشر منذ النصف الأخير من القرن الماضى .. بل ضاعف هذه الخفة وهذه السطحية إلى حدود قل فيها الأمان مع الأنفس والمرافق والأموال .. يجرى ذلك فى المجتمعات كلها .. ما تسمى منها بالرقى والتقدم والتحضر، وما يدعى منها أنه فى طريقه إلى ذلك، وما يوصف بأنه متأخر متخلف .. فلم يعد عالمنا كله يشعر إلاّ بالتشاؤم والقلق فى كل مكان .. كأنه قد فقد اتزانه إلى غير رجعة .. ولم يعد يجد القادرين على إعادته إلى أمانه واتزانه !!!

- من الحكم العطائية : «لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية : إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار : ظهرت فى الأفق ، وليست منه : تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك ، فيردك إلى حدودك ، فالنهار ليس منك وإليك ، ولكنه وارد عليك» .

- قال أحد الصوفية :

لو عرض للمؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف ..
ولو عرض للفاجر شهوة واحدة لأخرجته من الخوف !!

- من عرف الله ، لا عيش له إلاَّ بمعرفته.

***

- بخلاف سائر المخلوقات الحية على المسكونة الأرضية ، فإن الآدمى وحده هو صاحب الأغراض التى لا تنتهى ، ولا تنحصر ، وليس لها ثبات .. ولذا فإن أنماط سلوكيات الآدميين وصورها فى تغير دائب ، ملحوظ هذا فى الجيل الواحد ، وملحوظ أكثر فى مقارنة الأجيال المتعاقبة بعضها ببعض . وهذا يجعل ثبات أحوالهم وعاداتهم وأعرافهم وقوانينهم نسبيا على الدوام .. يتحرك ببطء أو بتسارع مع اشتداد حركة الأفكار والأذواق وتقلب ظروف الزمان والمكان ، ناهيك بتعاقب الأجيال !
- قيل فى المواقف للنِّفَّرى : «السكينة أن تدعو إلى الله .. فإذا دعوت إليه ألزمتك كلمة التقوى، فإذا ألزمتك كنت أحق بها، فإذا كنت أحق بها كنت من أهلها ، فإذا كنت من أهلها كنت من الله تعالى.. فهو سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة».
- قيل فى المِواقف للنِّفَّرى : «إذا قصدت إلى الباب فاطرح ما سوى ربك من ورائك .. فإذا بلغت إليه ، فألق السكينة من ورائه وادخل إلى رحابه .. لا بعلم فتجهل ، ولا بجهل فتخرج».
- العارفون هم أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم ، وهم الأدلاء الهداة إلى معالم الطريق.

***

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٢٧)

- يبدو أننا نعيش الآن حسب الأعم الأغلب حياة ليست لها أعماق وجذور .. حياة غير سليمة بدنيًا أو فكريًا أو عاطفيًا على أرض دائمة الاهتزاز بنا .. فى جماعات مفككة وظروف قلقة مزعجة .. حياة هشة واهية العزائم والآمال تتهددها زوابع وأعاصير وفواجع هنا وهناك !! ونحن فى يقظتنا البليدة المألوفة .. نصف النائمة لا نرغب أن يكمل ويتم صحونا كأننا يزعجنا أن نفيق ونشهد ما لا نطيق أن نشهده ! ومع ذلك فما زال السؤال يجىء ويذهب لدى بعضنا يزلزل داخله : هل نقدر على الإفاقة ونتحمل مواجهة مصاعبها بعيون وعقول صاحية فنتمكن من مواجهتها؟ أم سنمضى فى الاستغراق فيما نحن عليه الآن إلى نهايته نلوذ باللغو واللجاج والتزاحم عليهما !!
- الخوف من الله أمان المؤمنين ، وفى الحديث : «لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى» .. والخوف على مراتب وأنواع :خوف ، وخشية ، وهيبة .. فأما الخوف فمن شروط الإيمان . قال الله تعالى : ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران] .

وأما الخشية فمن شروط العلم . قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] .

وأما الهيبة فمن شروط المعرفة . قال الله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨] .

قيل فى الخوف : إنه سراج القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر .

- قال أبو القاسم الحكيم : الخوف على ضربين : رهبة وخشية .
فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب من المعصية إذا خاف .
وصاحب الخشية يلتجئ إلى الرب ..

***

- الصلة بين الأطماع وبين الحظ وثيقة للغاية .. إذ لا يخلو طمع طامع من افتراض شيء من حسن الظن بالأيام والأحداث ، أو على الأقل من افتراض أنه لن يصادف هو بالذات سوء طالع مفاجئًا ليس فى استطاعته إبعاده .. لأن من يطمع يفترض دائمًا أنه قد أقام مطمعه على أسس متينة محكمة ، وزودها بما يكفيها من عوامل يرجح معها الفوز .. وهو غالبًا ما يبالغ فى التفاؤل قليلًا أو كثيرًا لشدة شوقه وقوة رغبته فى نيل وتحقيق ما يطمع فيه ، وهو حين يفشل يعزو فشله فى الغالب للحظ العاثر والمقادير والمكتوب وتدخل الخصوم والحاسدين الذين لا يغفر لهم قط حسدهم ولا غيرتهم ولا تدخلهم الذى يتوهمه أو يزعمه ويفترض حصوله بدلالة فشله الذى صدمه ، دون أن يكلف خاطره مراجعة لنفسه ورغابه وقدراته وسلوكه وما فعله أو لم يفعله وما اتخذه أو لم يتخذه من تدابير وأسباب منتجة تصلح لنيل ما يتمناه وتحقيق ما يرتجيه فى الحياة !
- لا حياة لمن ينعزل عن واقع الحياة ، وحركة التاريخ .. الحياة فى صيرورة دائمة ، يخسر ويتخلف من لا يمتطى جوادها ويسير بصيرًا متفطنًا فى موكبها الذى لا يكف عن الحركة !
- من الناس من يقبل النصيحة ويجعلها مرعًى يرتاده ، ومنهم من يكابر فيلقيها بعيدا ويشيح عنها !!

- من فارقه العلم لزمه الجهل وقاده إلى المهالك ، ومن لزمه العلم فتح له أبواب المزيد منه.

***

- لو عرف الإنسان طعم ما يقوله أو ما يفعله أو ما يحس به قبل أن يقوله أو يفعله أو يحس به معرفة تامة لأصبح قديمًا ولاستغنى عنه ، ولتوقفت مسيرة حياته بتوقف الجدة والجديد فيها .. وهما ما يحرك ويوقظ رغبة الإنسان فيها وجاذبيتها له . وخوفه من هذا الجهل الجزئى الملازم لكل نشاط نمارسه منذ أن نولد إلى أن نموت هو أساس كل توقع وكل أمل وكل خوف وكل حركة حية وكل سكون حى !
- من الحكم العطائية : «دَلَّ بوجود آثاره على وجود أسمائه ، وبوجد أسمائه على ثبوت أوصافه ، وبثبوت أوصافه على وجود ذاته،إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه ، فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ، ثم يردهم إلى شهود صفاته ، ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه ، ثم يردهم إلى شهود آثاره ، والسالكون على عكس هذا ، فنهاية السالكين بداية المجذوبين ، وبداية السالكين نهاية المجذوبين ، لكن لا بمعنى واحد ، فربما التقيا فى الطريق : هذا فى ترقيه ، وهذا فى تدليه »!!
- بين الله السبل لعباده ، فعرفهم سبيل المؤمنين مفصلة ، وسبيل المجرمين مفصلة .. وعرفهم سبحانه عاقبة هؤلاء مفصلة ، وعاقبة الآخرين مفصلة .. فيقول الله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام] .

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء ١١٥] .

- العالمون بالله وكتابه ودينه ، يعرفون سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين ، فيستبين لهم السبيلان كما يستبين للسالك طريقه ومقصوده.

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٢٨)

• ترى من أين وكيف يظهر النوابغ من أصحاب الرسالات أو القديسين أو الأئمة أو الشهداء ، أو من العلماء والمفكرين والفنانين وكل من يخرج من بحر العاديين ليشكل قيمة متميزة متفردة تبذ وتبرز بنبوغها وتفردها ؟!

ظنى أنه لابد لذلك مما أسميه «فائض إحساس» غير عادى بالصدق والاستقامة لكل صاحب رسالة روحية .. نبيًا كان أو وليًا أو قديسًا أو إمامًا أو شهيدًا .

ولابد من «فائض إحساس» غير عادى بالحقيقة لمن كان عالمًا قديمًا أو حديثًا بعلم أو أكثر من العلوم الطبيعية أو الكيمائية أو الطبية أو الهندسية أو الاجتماعية .

ولابد من « فائض إحساس» غير عادى بالجمال للفنان رسامًا كان أو نحاتًا أو مصورًا أو بَنَّاءً أو ملحنًا أو ممثلًا أو مخرجًا .. شاعرًا كان أو ناثرًا أو قصاصًا .. موسيقيًا مؤلفًا كان أو عازفًا .. إيقاعيًا كان أو راقصًا أو تعبيريا بأى نحو من الأنحاء ..

• دخل الصوفى أبو على الدقاق على الإمام أبى بكر بن فورك يعوده فى مرضه ، فلما رآه أبو بكر دمعت عيناه . فقال له أبوعلى الدقاق : إن الله سبحانه وتعالى يعافيك ويشفيك » .

فقال له أبو بكر : «ترانى أخاف من الموت ؟ إنما أخاف مما وراء الموت» !!

• قال ابن المبارك : «الذى يهيج الخوف حتى يسكن فى القلب دوام المراقبة فى السر والعلانية » .

• روى أبو بكر والـرازى : أنه سمع إبراهيم بن شيبان يقول : «إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه ، وطرد رغبة الدنيا عنه» .

***

• فى زماننا نرى الآلاف فى المدارس والمعاهد يطلبون العلم والعلوم والآداب والفنون ، ومنهم من ينال الشهادات الرفيعة والألقاب العلمية والدينية والفنية ، ولكنهم لا ينالون «الموهبة» لأنها سجية مطبوعة قد تنمى بالدربة والممارسة ، ولكنها لا تخلق ولا تكتسب مهما أنفق الدارس فى قاعات العلم والفن والدراسة .

• تكاتب صديقان عز عليهما اللقاء وطالت وحشة الفراق ، فقال أولهما : «قد قَسَّمك الله بين طرفى وقلبى ، ففى مشهدك أنسى قلبى وفى عينيك لهو طرفى» .

فأجابه صديقه : «وقفت على الفضل الذى به أخبرت ، فسيان عليك رأيتنى أم لم ترنى ، إذا كان بعضك يؤنس بعضًا فتسلو عنى . ولكنى أراك فيخشع قلبى وأغيب عنك فتدمع عينى ، فسيان بين من سلا طول دهره ، ومن حزن غاية ومنتهى عمره» !

• من اشتهت نفسه المعاصى فتركها لله ﷻ قد امتُحِنَ قلبه فى تقواه واستحق وعد الرحمن أن يكون له مغفرة وأجر عظيم.

• قال بعض السلف : «من خلقت فيه قوة واستعداد لشىء ، كانت لذته فى استعمال تلك القوة .

ومن خلقت فيه قوة العلم والمعرفة ، كانت لذته فى استعمال قوته وصرفها إلى العلم .

***

- إذا توارت المواهب أو أزيحت ، جفت حياة الناس وتزايدت مشاقهم فى مجتمع يستغرقهم بعاديات الأمور ويشغلهم بطعامهم وسكنهم وصحتهم وعملهم وأمنهم .. مهددين فى ذلك بمغامرات ومجازفات المستغلين حملة المراتب أو «المواهب الرسمية» الزائفة ! الذين بيدهم مرافق الدولة يديرونها بها شاءوا بلا فائض إحساس بل بلا إحساس وبلا شعور بالمسئولية وبلا محاسبة .. لا يردهم عما اعتادوا إلاّ الخوف إن كان له سبيل !!
- من الحكم العطائية : «وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا».
- من تراوده خواطر الشهوات والمعاصى فيشيح ويرغب عنها ازداد محبة لأضدادها ورغبة وطلبًا وحرصًا على الإقبال على الطاعات.
- قال بعض الصوفية : «يا أيها الأعزل ، احذر فراسة المتقى ، فإنه يرى عورة عملك من وراء ستر وفى الحديث : «اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينطق من وراء حجاب » .

***

- الأخلاق مصحوبة بالطاعة والتسليم أيسر وأسهل من الأخلاق مع الفهم ، ولكنها أقل خصوبة وحيوية وتفاعلا مع الروح والعقل ، لأن الطاعة والتسليم بالأخلاق كمصدقات ، لا بد منها تصديقًا واتباعا ينطويان على موقف إيمانى يتعرض مع الزمن للتجمد والتكلس .. وهذان يخمدان الروح والعاطفة والعقل !
- لله سبحانه على عبده أمر أمره به ، وقضاء يقضيه عليه ، ونعمة ينعم عليه بها ..

والقضاء إما مصائب وإما معائب .. وعبودية القضاء فى المصائب هى فى الصبرعليها ثم الرضا بها وهو أعلى ، ثم الشكر عليها وهو أعلى المراتب.

أما فى قضاء المعائب فعبوديته فى الإقلاع عنها والتوبة منها.

أما عبودية النعم ، فمعرفتها والاعتراف بها ثم العياذ بالله أن يقع فى قلبه نسبتها إلى غير ربه أو إضافتها إلى سواه .. ومن لطائف التعبد بالنعم استكثار قليلها وإكثار الشكر عليها.

- قال بعض الصوفية : «الرياضة والمجاهدة تذهبان الخبائث ، ومن استرسل مع طبعه فهو من جنود الله ، وفى القرآن المجيد " إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ » .
- من لاح له حال الآخرة ، هان عليه فراق الدنيا .
- الصادق إذا هم ، ألقى بين عينيه عزمه .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٢٩)

- هل تأمل أحد فى آيات الحياة الولاَّدة من حولنا !! لو تأملنا بذور الجوافة والتين والعنب ولب الخيار والقرع والبطيخ والشمام وحب الحبوب والبقول لرأينا فيها دليلا ماثلا أمام كل عين على سخاء الحياة وغناها الهائل ، وعلى إصرارها الذى لا يكاد يُغلب...
- ومن يتأمل يرى أن الكائن الحى لا يكف قط عن محاولة الإبذار .. تهيأت تلك اللحظة أو لم تتهيأ .. تحقق التوالد بالإبذار أو بغيره أو لم يتحقق .. لا يستغنى الكائن قط عن هذا الإبذار وما فى حكمه .. لأن الحياة دءوبة وفى صيرورة لا تعرف اليأس ، وإصرارها أبدا لا ينفد .. وليس لها عمر ببداية ونهاية كأعمار الكائنات .. وهى فى ديمومتها واستمرارها وإصرارها تتعامل مع الأحداث والأشياء ومدى روابطها وكيفيتها على أساس لا تبديل له أنها هى الباقية والأحداث والأشياء غير دائمة !
- من الحكم العطائية : «كيف تطلب العِوَض على عملٍ هو متصدقٌ به عليك ؟ أم كيف تطلب الجزاء على صدقٍ هو مُهْديه إليك ؟!» .
- قال الأحنف بن قيس : «إن الدنيا إذا عمرت بالعدل فكذلك تخرب بالجور ..

لأن العـدل يصفو نوره وتـلوح تباشيره من مسيرة ألف فرسخ ..
والجور يتراكم ظـلامه ويسود قتـامه من مسيرة ألف فرسخ»!!

- ما مضى يصلحه الندم والتوبة ، وما يستقبل يصلحه الامتناع والعزم والنية .

***

- أول التزامات المسئول العام ، أن يكون قريبا من الناس ، عارفًا مدركا أنه ما وضع فى مكانه إلاَّ ليكون للناس لا على الناس . هذا الواجب هو جوهر وأساس وعلة ما يُعطى له من إمكانيات وسلطات يجب أن تكون مُسَخَّرة فى خدمة الناس بتواضع حقيقى لا بتفضل ولا مَنٍّ .. من أجل ذلك كانت الولاية ولا تزال أمانة .. هذه الأمانة الثقيلة هى التى دعت رسول القرآن عليه السلام لأن يقول لصاحبه أبى ذر الغفارى حينما سأله ولاية : **«يا أبا ذر .. إنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلاّ لمن أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها» !!**
- أعظم الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعَة : إضاعة القلب ، وإضاعة الوقت.

فأما إضاعة القلب فتأتى من إيثار الدنيا على الآخرة.

وأما إضاعة الوقت فتأتى من طول الأمل وقلة العمل واتباع الهوى!
- من أقوال ابن قيم الجوزية :

من فضل الله تعالى على عباده ، أنه سبحانه يتعرف إلى العبد بصفات الهيبة تارة وبصفات ربوبيته تارة .. فيوجب له شهود صفات الإلهية : المحبة الخاصة والشوق إلى لقائه والأنس والفرح به والسرور بخدمته والمنافسة فى قربه والتودد إليه بطاعته والنهج بذكره والفرار من الخلق إليه ويصير هو وحده همه دون سواه . ويوجب له لعبده شهود صفات الربوبية : التوكل عليه والافتقار إليه والاستعانة به والخضوع والانكسار له ، وكمال ذلك أن

يشهد ربوبيته فى الهيبة والهيبة فى ربوبيته ، وحمده يسبحانه فى ملكه ، وعزه فى عفوه ، وحكمته فى قضائه وقدره .

- قال بعض الصوفية : احترز من عدوين هلك بهما أكثر الخلق : صادٍ عن سبيل الله بشبهاته وزخرف قوله . ومفتون بدنياه ورئاسته !

***

- مع ظهور النقائض تثبت الحقائق وتذهب الأباطيل !

أو كما قال أبو العلاء المعرى فى إشفاقه على الإنسان أن يرجع إلى الطين فيصنع منه إناءً يحمله المرتحلون من بلد إلى بلد :

لعل إناء منه يصنع مرة فيأكل منه من يشاء ويشرب
ويُحمل من أرض لأرض ومادرى فواهًا له بعد البلى يتغرب !

- بالرجاء عيش القلوب ، واستقلالها بما ترجوه من أجر في الآخرة .
- الصبر عن محارم الله ـــ أيسر من الصبر على عذابه !
- من استغنى بالدنيا ، زادت وحشته وفقد الفرح بالله !
- العلم يدعو إلى العمل .. والعمل يذكر برب العلم .. فمن علم ولم يعمل فارقه العلم ، ومن علم وعمل لزمه العلم.

***

- العقل هو هادى الآدمى ودليله ومرشده ، وهو أيضا صمامه ووازعه ، وباب الحكمة وإدراك الصواب ، يسرى ذلك على العقل الجمعى مثلما يسرى على عقول الأفراد ، إليه مناط كل شيء طيب لمن ينشدون الحق والصواب .
- قد تأتي المعصية والجهل من الشبع ، ويأتي العلم والحكمة من الجوع !

وكان أبو سليمان الداراني يقول : «مفتاح الدنيا الشبع ، والجوع مفتاح الآخرة».

- قيل في الصبر إنه ثبات العقل والدين في مقابلة باعث الهوى والشهوة .
- خير المتسأنس ، من جعل أنسه بالله ﷻ .
- إن نشاط الروح هو الذى يعطى الطعم الحقيقى لحركات البشر ، وهو الذى يضمن وجود الجدّة والحدة وليس تغيير الشكل أو تغير الزمان أو المكان .

الجدة تصدرها الحياة ذاتها .. لا توجد إلاّ فى الأحياء .. ولا توجد قط فى الكون الطبيعى المادى ، ولا يستولدها ليفرح وينطلق ويفخر بها إلاّ آدمى .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٣٠)

- فى القرآن المجيد ، بمطلع سورة القلم : ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ .. هذا القسم القرآنى بالقلم ليس عبادة ولا تقديسا للقلم ذاته ، فهو محض أداة جامدة صامتة ، وإنما هو إيماء إلى استخدامه وما يدلى به من « كلمات» .. هذه « الكلمات» مكتوبة بالقلم أو منطوقه باللسان هى مرجع ومرد وهدف وغاية الاهتمام القرآنى ، فى سورة القلم ، وفى غيرها من سور وآيات القرآن .. هذه « الكلمات » هى التى نزل بها وحى السماء ، وهى التى صاغت التوراة والإنجيل والقرآن ، وهى هى التى حملت أحاديث ومواعظ ونورانيات الرسل والأنبياء ، وهى هى التى ترنم بها الشعراء وغنى المغنون ، وأنشد المنشدون ، وألقى الخطباء خطبهم والدعاة مواعظهم ، وهى هى التى صاغت وحفظت أقيم الكتب والمصنفات فى الشعر والآداب والفنون والمسرح والقصة والرواية والعلم والطبيعة ، والفلك والكيمياء والرياضيات والزراعة والصناعة والمهن والحرف وكل ما أنتجته ولا تزال تنتجه قرائح ومواهب وملكات وعقول البشر .. هذه الكلمات هى قوام اللغة التى تقيم أواصر حاضرنا وتحفظ لنا ماضينا ، وهى هى أداة التفكير وسبيل التواصل بين البشر .. بقدر ما تحمله من قدرة على هذا العطاء الناصع المفيد الغامر ، بقدر ما تحمل من قدرة على الإهلاك والتدمير ..
- إذا انجذب الهارب فى مقتضى هواه ، كبحه لجام العلم فيقوم خشيةً بحق

الشرع .

- لو أدرك الآدمى قيمة عقله الذى إليه كل مقاليد ما يفعله أو يأتيه أو ينتهى أو يعف عنه ، لعرف أن لهذا العقل سياجا يجب أن يحميه من أى عكارة تدخل على العقل فتشوش تفكيره ، وتجعل قياده إلى انفعالات تفوت استعمال ملكات العقل وتفسد وظيفته وتعكر صفاء رؤيته ، وتؤدى بصاحبه إلى نقيض كل ما يحترمه العقل ويوجه بوصلة البصير المتفطن إليه !

***

- قليل بل من النادر جدا أن يتأمل أحد فى خطوات وعيه وتوالد أفكاره واختياراته وقراراته قبل ظهورها إن ظهرت إلى حيز التنفيذ . ويبدو لى من تأمل طويل أن جميع الأنشطة الواعية عاطفية أو فكرية .. مثالية أو نفعية ليست فى الواقع إلاّ خطوات وعيٍ .. تسبق وتجهز لعمليات حيوية غير واعية .. تتحقق أو لا تتحقق فعلا .
- كم من مغبوط على أحواله انعكست عليه الحال ، ومنى بأرزاء خالطته فيها أحوال معكوسة ، فبدل بالأنس وحشة ، وبالحضور غيبة !

وروي عن أبي على الدقاق ، أنه كان كثيرًا ما ينشد :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت   ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها   وعند صفو الليالي يحدث الكدر

- سأل معاوية الأحنف بن قيس ، وكان من أحكم حكماء العرب : «يا أبا يحيى كيف الزمان ؟ فقال له : الزمان أنت . إن صلحت صلح الزمان ، وإن فسدت فسد الزمان»!
- من تجرد من الطمع والفزع ، سهل عليه الاتجاه الخالص إلى ربه .

- إن الإنسانية هى أولًا وأخيرا تعبير آدمى عما هو مشترك فى الروح والعاطفة .. إذا اختل وضعف ضعفت الروح والعاطفة ، وإذا اختنق مات الإنسان كإنسان !!

***

- من العادات التى استشرت بين بعض الناس فى مصرنا المحروسة، عادة تقول : «قل ما يعجب الناس ، واصنع ما شئت» ! فالناس ذاكرتها ضعيفة فلا تقارن ما يحدث على ما سبق أن قيل وأعجبها وأرضاها ، وغالبا ما يفتش القائل لو التفت الناس إلى ما سبق أن قيل عن ذرائع تبرر ترك ما قيل وجرت به الوعود ، إلى عكسه ونقيضه الذى جرت به الأفعال والأعمال ! إلى هذه العادة المقيتة تـرجع ظاهرة « الفصام» المرضى بين الكلمة وبين الفعل والعمل والسلوك !
- المحب لمن يحب مطيع ، ومن شهد محبة الله أطاعه ، وأفضل الترك ترك المحبين ، كما أن أفضل الطاعة طاعة المحبين .
- نعم العون لمن صح طلبه لله والدار الآخرة وكانت همّه لما هناك ..
وبئس القاطع لمن كانت الدنيا هى مقصوده وهمته وحولها يدندن !!
- الناس يرفضون الاقتناع حين يخسرون ، ويخشون ترك الماضى ويستمسكون به مخافة ألاّ يجدوه !
- قال بعض الصوفية : لو صحت محبتك لاستوحشت ممن لا يذكرك بالحبيب : وعجبا لمن يدعى المحبة ويحتاج من يذكره بمحبوبه فلا يذكره إلاّ بمذكر ! أقل ما فى المحبة أنها لا تنسيك تذكر المحبوب .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٣١)

- الكلمة فيما يقول القرآن المجيد قد تكون طيبة كالشجرة الطيبة ، وقد تكون خبيثة كالشجرة الخبيثة .. قد تكون صادقة يحق بها الحق ، وقد تكون انحرافا بالكلم والحق عن مواضعه .. حين ندرك ذلك نفهم لماذا قال الحديث الشريف : « ... **وهل يكب الناس على وجوههم فى النار إلاّ حصائد ألسنتهم** ... » وإن أعظمهم خطايا هم أكثرهم خوضا فى الباطل ! ينطق الناطق بالكلمة وقد لا يبالى ، فيكتب بها عند الله صديقا ، وقد يفوه بأخرى فيبوء بها بسخط الله إلى يوم القيامة !! كارثة الكوارث أن الكلمة فى زماننا قد باتت مصابة بأسقام وجموح يدعو ولا يزال يدعو إلى إيجاد توازن منصف وعادل راعته الدساتير .. لا يميز ولا يجور ولا يخلط بين حق الكلمة وبين باطلها ، بين حريتها وبين جريمتها ، التوازن بين الحق والواجب ، وبين الحرية والمسئولية ، هو ضمان الحرية ذاتها وكابحها من التحيف والجور والجموح .. بهذا العدل أقام الله تعالى السموات ، ووضع الميزان !
- قال بعض السلف : «إن على كل شيء زكاة ، وزكاة القلب طول الحزن».
- إن «القيم» باقية خالدة ، ولكن « الصور « المعبرة عنها متغيرة تبعا لتغير ظروف وأحوال واحتياجات الزمان . ومن الوهم أن نتخيل أننا يمكن أن نسترد الماضى بكل ما فيه ، وأن نزهو بتطبيقه حرفيا كما كان ! من الواجب نعم أن يبقى التزامنا بالقيم ، ولكن هناك من الصور الرائعة

فى زمانها ما قد يعد التزامها الآن ضررا محققا وابتعادًا لا شك فيه عن مقتضيات العقل والحكمة !

- ستمضى الأعوام ، وتنطوى الصفحات المرة ، وتفتح صفحات جديدة وضاءة سلاحها اليقظة والوعى اللذان يتوجب الإمساك بهما .. يومها لن تضيع هباءً جهود الذين أخلصوا وجاهدوا وانتصروا للحق ولم يشفقوا مما ينالهم من أذى فى سبيل نصرته وإعلائه !

***

- يفرق العارفون بين اغتيال الشخص وبين «اغتيال الشخصية» CHARACTER ASSASINATION.. قد يعيش المغتال شخصه بضربة خنجر أو رصاصة سلاح يعيش عظيما مكرما فى التاريخ ، ورمزًا يحج إلى عظمته المعجبون بشخصيته التى لم يغتلها قتل شخصه .. انظر إلى الفاروق عمر بن الخطاب ، هل اغتيلت شخصيته يوم اغتال القاتل شخصه ؟! أليس هو الفاروق الذى يتغنى به الشعراء بعد مئات السنين ، وفيه قال شاعر النيل حافظ إبراهيم فيما قال :

أمنت لما أقمت العدل بينهم فنمت نوم قرير العين هانيها

- ثم انظر إلى الإمام على بن أبى طالب ، هل اغتال ابن ملجم شخصيته حين اغتال شخصه بخنجره المسموم ؟! أليس قبر الإمام إلى اليوم مزارا يؤمه الملايين ، وأليست حياته أسوة وقدوة ، وأليست أرواح وأفئدة الملايين تهفو إليه عبر السنين وتترحم عليه وتتأسى به وتتشيع له ؟

- مكتوب على معظمنا أن يعيش حياته كلها قبل أن يفهم شيئا يُذكر عن نفسه أو عما يحيط به لأنه مشغول باستمرار بمطالب العيش ، ليس لديه فرصة للتأمل . والمتأمل إذا أراد الفهم كتب عليه أن يصبر حتى ينمو

فهمه مدة عمره ، وعليه أن يستعين بها فهمه الآخرون أمواتًا وأحياءً حسب ذوقه وحظه وقدر تقبله ، وعليه أن يستكمل القصور ويصحح الخطأ ما وسعه ، وعليه أن يغير الفهم ويعيد تغييره من زمن لزمن إذا دعا الداعى لذلك التغيير .. لأنه يجب أن يستمر فى لهثه وراء معرفة الحقيقة التى لا يعرف الآدميون منها إلاّ جوانب وأجزاء ورؤى ونظريات بشرية .. إذ لا يشارك فى هذا الكون الهائل فى الجرى من أجل الفهم إلاّ بعض الآدميين هم دائما قلة قليلة !! فيا لقوة الأمل عند هؤلاء ويا لشدة الإصرار والمثابرة وعظم الثقة عند المتمسكين بالفهم وضرورته والزيادة المستمرة فيه !

***

- الفرق بين الأنا وغير الأنا هو أمل وعينا .. وإدراك الفرق بين الحي وغير الحي فى المحيط المكشوف لحواسنا درجة أخرى من الوعى والتمييز بين حال الأحياء .. وحال الأموات لا يعرفه نوع معرفة إلا الأحياء من الآدميين وحدهم بفضل نشاط الذاكرة المباشر وغير المباشر الذى يتناول ذكر الماضين وآثارهم وعالمهم .

وإذا انطفأ وعي البشر بانطفاء جنسهم انمحى وجودهم كله بكل ما يميزه .. لأنه لا يحفظه ولا يذكره ولا يفهمه إلا حافظة ذاكرة وإدراك ووعي آدميين فقط .

- من الحكم العطائية : «قومٌ تسبق أنوارُهُم أذكارَهُم ، وقومٌ تسبق أذكارُهُم أنوارَهُم ، وقومٌ تتساوى أذكارُهُم وأنوارُهُم ، وقوم لا أذكار ولا أنوار نعوذ بالله من ذلك !» .
- من قام بقلبه مشهد إجلال الله تبارك وتعالى _ لا يطاوعه قلبه على ارتكاب المعاصي !

- التقوى فى حقيقتها تقوى القلوب ، فإن القلوب إذا اتقت اتقت الجوارح .. وفى القرآن المجيد : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج] .
- المحب يفرح بفضائل حبيبه ، والمبغض يغتاظ !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٣٢)

- في ٣٠ يناير ١٩٤٨ اغتيل العظيم غاندى وهو يؤدى الصلاة بذريعة أنه يضحى بمصالح الهنود لإرضاء المسلمين .. مات غاندى بحساب السنين والأعمار ، ولكن بقيت شخصيته بعناصرها وعطائه إلهامًا حيًا نابضا لحركات الشعوب المقهورة .. لم يسحب الاغتيال رصيد شخصيته التى تشكلت بكدحه وكفاحه الطويل وتحمله الأهوال وعطائه المثمر وتحريكه أمته وترويعه سلطات الاحتلال بغير سلاح إلاّ مقومات هذه الشخصية الفذة التى لم ينجح اغتيال جسدها فى اغتيال شخصيتها!
- قيل فى المواقف : «من عصى النفس إلاَّ من وجه لم تطعه من وجه»!
- أحيانا ما تكمن العظمة فى البساطة ، ويكمن فى الإصرار سر النجاح !
- لا شىء كالذكر فى تعمير القلوب وزراعة اليقين .. الذكر هو الجسر الموصول إلى رب العالمين .. قال فيه القرآن المجيد : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ .. فلا عمل أشرح للصدر وقربة من الله ، إلاّ ذكره عزّ وجل .. ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ .. من اطمأن فى رحاب ربه بحسن ذكره ، هانت أمامه صعاب وهموم وأحزان الدنيا .. فبذكره سبحانه وتعالى تنقشع سحب الخوف والفزع والهمّ والحزن ، وتنزاح الكروب والمنغصات ، ويرتاح الذاكرون وهم بذكرهم فى حضرة ربهم الذى لا تغفل عينه سبحانه ولا تنام .

• إن اليقين من انقضاء الحاضر يفتح أبواب الأمل كما يفتح أبواب القلق .. لأنه ينفتح على المستقبل والمستقبل إما غير مقطوع به ، وإما غيب محض بالنسبة للأفراد وللمجاميع .. يستوى فى ذلك العالم الفذ بالعلوم الطبيعية والإنسان العادى .. كل منهما يتفاءل ويتشاءم ويعيش حياته بين الأمل واليأس فى نفسه وفيمن يحب وفيمن يتصور وما يتصور من العالم حوله . وهذا أكبر شطرى الحياة .. بل لعلّه أغلبها .. لأن كل حاضر كان مستقبلًا محجوبًا تتنازعه الآمال والمخاوف . وكفة الآمال كانت غالبة إلاّ عندما يستحكم اليأس لمرض أو شيخوخة أو مأزق خانق تسد فيه جميع أبواب الفرج فى نظر الآدمي !

***

• الكلمة أمانة كبيرة ، لا يدرك ثقلها إلاّ من يدرك قيمتها إدراكا مجدولا بضمير حى وإحساس مرهف وإيمان عميق بالمسئولية التى إليها صيانة الحرية فى حصن حصين تتوازن فيه الحقوق فى غير جور ولا تحيف !

• تطيب الدنيا بمساعدة الإخوان وتساندهم فى كل باب .

• قيل فى المواقف : «العلم عمود لا يقله إلاّ المعرفة ، والمعرفة عمود لا يقله إلاّ المشاهدة .. وأول المشاهدة نفى الخاطر ، وآخرها نفى المعرفة».

• من الحكم العطائية : «ما كان ظاهر ذكر إلاّ عن باطن شهود وفكر» .

• قد تـوارت فى زماننا مجلات الأدب والإبـداع ، وغلبت السياسة والمصانعات على القلة القليلة التى بقيت شكلا وأجهضت موضوعا ، ولم تعد الصحف تعطى مساحة للأدب ، بينما كنا نرى افتتاحيات الصحف الكبرى للعقاد وطه حسين والحكيم وأترابهم ، وطفا على السطح زبد ورغى ولغو لا ينتمى لأدب الجد ولا حتى لأدب التسلية

وإزجاء الفراغ ، وانعكس ذلك كله على ركاكة اللغة ، وشمل ذلك صناعة الكتابة مثلما شمل صياغة الأحكام والمرافعات ، وصارت اللغة العربية غريبة فى بلادها ، مثلما صار العربى غريبا مستغربا فى بلده ، تائها بين أصوله وجذوره التى زحفت عليها تراكمات الانهزام والتراجع ، وبين ما يرنو إليه حكامه عبر لجج المحيط إلى حيث مصدر النفوذ والثروة ، أو إلى حيث اتقاء ما قد يخل بالاستقرار والرغبة فى استمرار البقاء !!!

- قال بعض الصوفية : الحزن من أوصاف أهل السلوك.

وكان أبوعلى الدقاق يقول : «صاحب الحزن يقطع من طريق الله في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين» .

- من الحكم العطائية : «ذاكرٌ ذَكَر ، ليستنير قلبه ، وذاكرٌ استنار قلبه ، فكان ذاكرا ، والذى استوت أذكاره وأنواره فبذكره يهتدى ، وبنوره يقتدى» .

***

- الإنسانية ، كلمة يكثر تداولها بين العامة والخاصة ، تلوكها الألسن ، ولا تمل من ترديدها ، فما هى الإنسانية التى نتداول الإحالة إليها فى كلامنا الدارج وغير الدارج ، وفى مواعظنا وكتاباتنا بصفة خاصة ؟ يبدو أننا أعنى المعنيين بالبحث والكتابة لم نحاول تبيان معناها بكثير من الإيضاح والدقة ، ولم تحفل أعرافنا على كثرتها بإبراز معالم واضحة حادة للإنسانية تتسم بمعالم محددة لا تخفى على أحد ، مثل معالم الأخلاق والآداب واللياقات والعقائد الدينية والاجتماعية والسياسية .. لم يحدث ذلك لا فى الماضى الطويل ولا فى الحاضر .. ربما لأننا فى حرصنا الغريزى

على ذواتنا نخشى المساس بتلك الأعراف بتقييد حركتها ومن ثم تحديد ميادينها فى مساعينا وأغراضنا وآمالنا وأطماعنا فى دنيانا !

- لا يستطيع مجتمع رشيد أن يغسل يديه غسلا تاما مما قد يحيق بأفراده من جنوحات ربما كان مرد بعضها إن لم يكن معظمها إلى قعود المجتمع عن القيام بواجبه فى التنوير والإرشاد والتقويم والإصلاح !
- الناس فى تعلقهم بالصدق صنوف ودرجات ، وصدقهم مهما صدق صدق نسبى لأنه بشرى .. ونحن نفقد تعلقنا بالصدق حين نكف عن اعتباره قيمة تعلو على أنفسنا ورغابنا وعلى المصلحة والمنفعة .. حين لا ندرك أن قيمة الصدق فيه وأنها لا تتوقف على نفعه لنا ، أو حين تصبح المصلحة هى حد الصدق وتدخل الفوائد والمنافع فى تعريفنا له !
- أخطر من الهزيمة أن تزفها لنفسك أو للناس على أنها نصر !!!

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٣٣)

- إرادة الآدمى هى قصد من جانبه يتجه لديه إلى تحقيق أمر يريده أو يتردد فى شأنه أو يرفضه ، ومصدر ذلك هوى الآدمى أو عقله أو كلاهما معًا .. فى الأغلب الأعم يقود الهوى العقل ، وقد يقود العقل الهوى . ولكن قلما يعمل العقل فينا وحده !
- التوكل قد يكون تارة توكل اضطرار ولجوء ، حين تضيق الأسباب بحيث لا يبدو ملجأٌ إلاَّ إلى الله ، وتارة يكون التوكل اختيارًا مع وجود السبب المفضى إلى المراد . وهو فى هذه الحالة مطلوب أيضًا ، ذلك أنه إن كان السبب مأمورًا به ذم على تركه ، وإن قام بالسبب وترك التوكل ذم أيضًا على تركه التوكل . أما إن كان السبب محرمًا تحرم مباشرته ، توحد السبب في حقه فى التوكل فلم يبق سبب سواه . وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده ، فلا يغيره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها ، كما لا ينفعه إظهار التوكل على الله والاعتماد على غيره!
- قال بعض الصوفية : «من تذكر حلاوة الوصال ، يهن عليه مر المجاهدة » .
- طول الإصغاء من حسن الفطن .

***

- من اللافت الموجع أننا مع استسلامنا بلا عقل للتناسل فى حد ذاته ، دون أى التفات لمقتضيات القدرة على التربية والتنشئة الصالحة ، فإننا

أيضا نعطى ظهورنا للإنتاج ، لأننا نعطى ظهورنا للعمل ، وآية ذلك أنه لا قيمة لدينا لوقت !

فى المجتمعات المتحضرة يقدسون « الراحة » ، لأنهم يقدسون « العمل » .. فالراحة فى استخدامها الصحيح تقابل عملًا وجهدًا منتجًا مبذولًا ، وبغير ذلك تكون الراحة فراغًا ومضيعة للوقت وتغليقًا لكل أبواب الإنتاج ، فكيف إذن يكون التناسل والتكاثر ، بينما الإنتاج يتراجع بتراجع العمل وقيمة الوقت حتى إن الإجازات تصل لدينا فى المرة الواحدة إلى أسبوع ، والمحصلة لهذه الحماقة هى تزايد الفقر لا القوة ، وشيوع البؤس والتعاسة لا الرضا أو السعادة ..

- من الحكم العطائية : «أكرمك بكرامات ثلاث : جعلك ذاكرا له ، ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك ، وجعلك مذكورا به ، إذ حقق نسبته لديك ، وجعلك مذكورا عنده ، فَتمَّمَ نعمته عليك» .

جمع الله للمؤمنين بين النور والحياة ، كما جمع لمن أعرض عن كتابه بين الموت والظلمة.. فيقول عز من قائل : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الانعام] .

- الحصيف من لا ينسى ما كان عليه ، إذا أقبلت عليه الدنيا !

***

- نحن نعتقد أحيانًا أن إرادتنا تحتاج إلى هداية من مصدر خارجى عنا ، وقد يوجد هذا المصدر أو لا يوجد ، وقد نبحث عنه فلا نجده فيما قد يواجهنا من مآزق أو حيرة أو أخطار ، وقد تدعونا شدة الاحتياج إلى أن ندعوه أو نلجأ إليه أو نلوذ به يمنحنا الهداية . ذلك أن وعينا بحقيقة أسباب ومكونات كل منا ، هو وعى ناقص جدًا شديد الخفاء .. خاف علينا للآن وربما لمستقبل

يطول ، فليست الحياة فى أيدينا كما نتصور أحيانًا فى نوبات المغالاة بإحساس كل منا بالقوة والمقدرة .. إذ يبدو أن حياة جميع الأحياء من الإخصاب إلى فناء كل فرد طاقة (وليست مادة) تتخلل جميع الكائنات الحية تؤدى فيها وظائف معينة لا يمكن للوعى البشرى أن يحصرها حتى الآن !

- قال بعض الصوفية : « لله ما أحلى زمان تسعى فيه أقدام الطاعة على أرض الاشتياق . لما سلم القوم النفوس إلى رائض الشرع ، علمها الوفاق فى خلاف الطبع ، فاستقامت مع الطاعة .. كيف دارت دارت معها» .
- انظر إلى غارس جنة من الجنات ، خبير بالفلاحة ، غرس الجنة وتعاهدها بالسقى والإصلاح حتى أثمرت أشجارها ، فأقبل عليها يفصل أوصالها ويقطع أغصانها ، لعلمه أنها لو تركت على حالها لم تطب ثمرتها .. هكذا حال الصالح مع أعماله ، لا يفتأ يواليها ويغذيها ويتعهدها لتعطى ثمارها وتونع زهراتها.
- تقفر الدنيا من الأصدقاء فى وقت الشدة ، ويفرون كما تفر الجرذان من السفينة الغارقة !

***

- يبدو لبعضنا أحيانًا أن الحياة كلها ذات أغوار سحيقة جدًا خشنة جاهلة فى نظرنا ، وأنها ذات سماوات رقيقة لا حد لرقتها وسموها ، وأن الأحياء لا تعيش إلاَّ على الأحياء .. نباتها وحيوانها وشجرها . وخلال ذلك الذى نظنه توحشًا وقضمًا وهدمًا واختلاسًا ونهبًا وغزوًا وافتراسًا ، نبصر معالم كثيرة لا تحد لحنان وعطف وفهم متزايد وفطنة نامية واحتمال

ورحمة وعفو لا يعرف الحدود . وهذا الخليط دائم إلى اليوم ، لكنه يتغير كثافة بين الخير والشر فى دائرتى المكان والزمان ، فيغلب خيره حينًا ، ويسود شره أحيانا ! وربما كان هذا الخلط المستمر هو الذى عوق وعطل انتشار الإنسانية بين الآدميين وأخَّر تخلصها من قسوة الأنانية وجشعها وغرورها وصلابتها فى تفضيل الذات ومن هو فى حكمها على كل غاية أو غرض غيرها !

- لم يذق طعم الإيمان من لم يرتض بالله تعالى ربًّا ، وبقضائه وقدره تسليمًا.
- كل علم لا يضر الجهل به ، فإن العلم به لا ينفع ! لذلك كانت الاستعاذة فى الدعاء النبوى من علم لا ينفع .
- من العماء الضرير أن يخطئ الأفراد أو المجتمعات تجاه التقدم ، فإذا بهم يرجعون إلى الخلف والوراء، بدلًا من أن يتقدموا إلى الأمام !!

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٣٤)

- كلما زادت السلطة مالت إلى الانفراد وهانت فى عينها أقدار الآخرين، واستهانت بالتالى بآرائهم وإرادتهم، فى الوقت الذى تستطيب ويحسن عندها المتزلفون والموافقون والمسايرون .. وكثيرا ما يتنامى مع ذلك سخط مكتوم يسرى فى الخفاء، ولا تهمل السلطة قياس نبضه وحركته ومحاولة تفريغه أو محاصرته أو إخماده بالمسكنات تارة، أو بالدهاء تارة أخرى، وبالبطش إذا لزم الأمر !

لذلك فأمثال هذه السلطات تصطنع الأعوان والأنصار اصطناعا يطرد بقدر معدلات الضيقأو السخط .. وتدخل السلطة وأدواتها الرقابية والرصدية فى تناسب طردى يزداد إيقاعه كلما ابتعدت ممارسة السلطة عن استبصار الواقع وقياس كنهه قياسًا حقيقيا .. فتستعير بمنطق النعامة رؤية المتزلفين المزخرفين المزينين، وترتاح إليها تجنبا لإزعاج الخاطر الذى لا يريد أن ينشغل بما يثيره أو يقلقه، متصورة أو واهمة أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان !

- من الحكم العطائية : «أشهدك من قبل أن يستشهدك، فنطقت بإلهيته الظواهر، وتحققت بأحديته القلوب والسرائر» .
- منَ المأثورات : لن يستطيع أحدٌ أن يمتطيك إلاّ إذا كنت منحنيًا !!
- الرضا جنة الدنيا ومستراح العارفين !

***

- ظنى أنه يجب على كل منا أن يتذكر دائما أن العقل أداة جوهرية دقيقة جدًا يفسد دقتها الهزات والانفعالات والاندفاعات ، وأن يتذكر أن الآدمى يعتاد على هذه الاضطرابات وتأثيراتها إذا تكررت .. يعتاد على عدم المبالاة بارتكاب الأخطاء وعدم الاهتمام بالنقص أو القصور أو قلة الإتقان والدقة ، ويصحب ذلك كله اعتياد على الترخص ونقص فى الإحساس بالمسئولية ، وعلى نقل ذلك ومحاكاته عن الآخرين من طريق التقليد الإرادى وغير الإرادى .. وقد يتوافر ذلك فى المجتمع ويكتسب تواتره قوة الإلزام ويصبح من المعتقدات والمصدقات والقيم وأصول السلوك !
- لا تتم الرغبة فى الآخرة إلاَّ بالزهد فى الدنيا ، ولا يستقيم الزهد فى الدنيا إلاَّ بالنظر فى سرعة زوالها وفنائها وألم المزاحمة عليها ، والنظر فى الآخرة وإقبالها ومحبتها ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات .
- من أقوال بعض الصوفية : يرتفع من غلب شهوته وهواه .
- من المأثورات : من كسا بالحياء سلوكه ومظهره ، ستر عيبه عن عيون الناس !

***

- يجب أن نتذكر إن أردنا الخير لأنفسنا ولمن نسأل عنهم ، أن قدرتنا على الانتباه فى حالة اليقظة محدودة فى حدود الآن والحال الراهن ، وفيما يمكن أن ينتبه إليه ويقع عليه ويعيه التفاتنا ويقظتنا وفى الأغلب اهتمامنا الشخصى ! ونحن فى العادة نضيف إليه ما تزودنا به الذاكرة أو حصاد القالات التى نسمعها أو الاطلاعات التى نقرأها ، ونحن فى ذلك كله عرضة للمبالغة أو للتقصير والحذف ، وفى الاستيعاب والفهم .. وهذا

الذى يحتاج إلى التأنى والاحتياط فى تحديد ما وعيناه ، ويحـول دونه عادة ميولنا الحيوانية إلى العجلة والاندفاع الحيوانى الذى لا يزال فينا بآثاره فى سلوك معظمنا إلى يومنا هذا واعتاد أغلب الناس من قديم الزمان عدم المبالاة بأضراره وعدم التفكير فى مقاومته ومحاولة التخلص منه !!

- قال سفيان بن عيينة ، وكان من حكماء زمانه : «صحبت الناس خمسين سنة ، ما ستر لى أحدٌ عورة ، ولا ردَّ عنى غَيْبة ، ولا عفا لى من مظلمة ، ولا وصلنى حين قطعته» !!
- كثيرًا ما تتبين الأشياء بأضدادها.
- لبعض الناس قدرة عجيبة على لىِّ الأشياء ، وتسميتها بغير مسمّاها فتقلب المعانى والقيم إلى أضدادها ، فتعتبر الخديعة أو الخيانة شطارة ، وقد تعد السطو فروسية ، أو تصم الحذر من الخيانة بأنه جاسوسية ، وتخلط المبادئ بالسياسة والسياسة بالمبادئ ، لتختار حين تريد المسمّى الذى تريد !
- من الحكم العطائية : «رُبّ عُمْرٍ اتسعت آماده ، وقلت أمداده ، ورُبّ عُمْرٍ قليلةٌ آمادهكثيرةٌ أمداده» !
- فوت الحاجة أهون من طلبها من غير أهلها !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٣٥)

• الإنسان العاقل المفكر لا يتوقف عن قياس وتقييم الحياة والأحياء ، بيد أننا حين نقيس الحياة كلها لكل الأحياء بمقاييس أزمنتنا نظلمها ونظلم البشر . ذلك أن الحياة أقدم منا ومن وجودنا بكثير جدًا .. وتطورات حياتنا التى نعيشها بأعمارنا المحدودة أقصر عمرًا جدًا من ماضينا بمراحله الماضية التى لا نعرف معظمها بل وربما جهلناها أو جهلنا بعضها جهلا تاما .. وأما ما لدينا الآن فى زمننا وبين أيدينا مما يستوجب الإصلاح والتقويم والالتفات التام فلم يعد يمكن السكوت عليه ، ذلك أن النقص الذى نعانيه هو اختفاء الإنسانية الفعلية اختفاءً يكاد يكون عامًا فى جميع الطبقات ، صاحبه ومن زمن عدم المبالاة بها حتى كأملٍ وغاية .. فلم نعد نقوى الآن وقد خبت أشياء كثيرة على محاولة جادة لتحقيق هذا الأمل وهذه الغاية ، فكل خطوة منا إلى الأمام يعقبها خطوتان إلى الخلف !! فهل عجزنا حتى عن الأمل الجاد فضلًا عن المحاولة الجادة لتحقيقه ؟!!

• يجب أن نلاحظ دائما الفارق بين أشواقنا كآدميين وبين معارفنا .. والأصل أن الأشواق دائما تسبق المعرفة أى معرفة حتى فى حالات الإعادة والتكرار ، وأن وجود الأشواق يستتبع استمرار زيادة المعرفة ، وإذا توقفت الأشواق تراجعت المعرفة أو توقفت ، وتوقف معها كل شىء هام فى حياة الإنسان !

- لم تقنع أو تشبع أشواق الإنسان إلى المعرفة قط .. ولا يمكن أن تجد ما يقنعها أو يشبعها إلا لأمد .. لأن هذه الأشواق يصحبها دائما وأبدا اشتهاءات لواقع آخر جديد مأمول أرحب وأفضل وأصدق من أى واقع حاضر . بغض النظر عن مبلغ نجاح أو صدق ذلك المأمول .
- حياة الغرقى التى يحياها البشر الآن ، ليست حياة أحياء حقيقيين واعين يقظين فطنين مصممين عاملين منفذين ، لأننا بتنا أطيافًا تسبح بلا جدوى فى بحر غامض هائل لا يؤبه بهم !
- قد تكون النعمة فتنة لا كرامة !!

***

- إن تقدم عصرنا المبهر ، بما امتلأ به من الأنانية والانتهازية وعدم المبالاة والجشع ، قد خاض بالبشر بحور العمى والصمم والقسوة والتخريب والتدمير ، وأبعدهم عن السداد مسافات هائلة جعلت إصلاح أحوالهم بعيدًا غاية البعد عسيرا غاية العسر !لا تجدى فيه كثرة الاجتماعات والمقابلات والمفاوضات والبيانات والقرارات والمؤتمرات والمعاهدات والقوانين والأنظمة والمجالس والهيئات والجمعيات والنقابات مع موالاة الأنباء ووسائل النشر والإذاعات من الأرضيات والفضائيات طوال النهار والليل بغير انقطاع !
- لو تأمل المتعجلون فى المحاكمات الجنائية الجارية أو الأمور المستورة التى تكشف كل يوم ، لأدركوا أن المفضوح الجارى المساءلة عليه الآن كان بالأمس فى طىّ الكتمان محجوبا عن عيون الناس .. ظن حاجبوه أنه فى حرز حصين لن يصل إليه مخلوق ، فإذا هو اليوم متداول « على عينك يا تاجر » كما يقولون !!

- ماذا يساوى ما يؤخذ من كرامة الإنسان وشرفه ، وماذا يساوى أصحاب العجلة حين تنحسر عنهم الهالات فيبدون للناس ، وأمام أنفسهم ، بلا شرف ولا كرامة ؟! وماذا سوف يجنى من تعجلوا الكسب الحرام ، أو فرطوا فى واجب الشرف والصدق والنزاهة ، أو باعوا ضمائرهم ، أو تاجروا بولائهم ، أو طعنوا أوطانهم وناسهم ، أو تسابقوا فى مواكب الزيف والضلال والبهتان ، وأعطوا ظهورهم للحق ولبلدهم وناسهم ، واشتروا العاجلة بالآجلة ، فلا العاجلة بقيت ودامت لهم ، ولا الآجلة أفسحت لهم أو التفتت إليهم !
- من الحكم العطائية : «من بورك له فى عمره أدرك فى يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ، ولا تلحقه الإشارة» .
- من نفى مشيئة الله بالكلية لم يثبت له سبحانه مشيئة !

***

- إن المعرفة اليقينية لكل شيء كان ويكون وسيكون من المستحيلات .. لأن الإنسان جزء فقط من الكون .. وهذا ما لا تسلم به أشواق الآدمى .. لأنه مجرد طاقة تدفع غريزته إلى الفهم والمزيد من الفهم ، ولأن المعرفة التقريبية أو الإحصائية وهى كل ما فى استطاعتنا من الواقع الذى يعرفه أو يمكن أن يعـرفه الإنسان لا تكفى لإطفاء أشواقه .. لأنها معرفة لا تنفى الغيب والمجهول والجائز والمحتمل والمتصور والمتخيل ، ولا ينقطع معها وجود المستقبل وانتظاره وتعلق الآمال والمخاوف به . فلن تنقطع أشواق الآدميين للمعرفة والمزيد من المعرفة قط . ولن يُشْفى غليلهم منها أبدا ، ولن يكفوا عن الالتجاء للآمال والأمانى والأحلام والتصورات والمخاوف والأوهام قط .

- قد تكون الابتلاءات ظاهرها محن وباطنها نعم .. جعلها الله سببا لسعادة المبتلى فى الدنيا والآخرة .. ألم يكن ذلك ما امتحن به يوسف عليه السلام من مفارقة أبيه وإلقائه فى الجب ثم فى السجن حين كادت له التى أبى مراودتها له عن نفسه .. ثم صار من بعد الحارس الأمين على خزائن مصر.
- روى الصوفى أبو يزيد البسطامى الكبير ، فقال : «رأيت الله فى المنام ، فقلت (ياربى) كيف يكون الطريق إليك ؟ فجاءنى فى المنام : «إذا انقطعت عن نفسك وصلت».
- من وقف فى رحاب ربه أفرغت عليه سكينة هى مردود كل شىء طيب .. فالصبر من السكينة ، والحلم من الصبر ، والرفق من الحلم.
- قال بعض العارفين : الملول لا صديق له !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٣٦)

- تورّمَ فى التاريخ أشخاص لو درست تاريخهم بموضوعية وإمعان ، لعرفت أن كلاً منهم مارس كل أنواع التفاهة والخداع والديماجوجية والانتهازية والتغرير واللعب بالإعلام وبمشاعر البسطاء ليصل إلى السلطة التى قفز عليها ، فلما وصل إليها لم يستطع أن يكون عظيمًا عظمة حقيقية تواكب مقتضيات ولوازم السلطة فانتهت حياته نهاية مأساوية ! لأنه ظل فى جميع ممارساته مشدودًا لما اعتاده من أساليب وإن خدعت وفتحت الأبواب لركوب السلطة ، إلاّ أنها لا تصادف ولا تصادق العظمة الحقيقية الضرورية الواجبة لممارستها وحسن إدارة وتصريف الأمور !
- من الحكم العطائية : «ما الشأن وجود الطلب ، إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب» .
- من معالم السالكين : الأنس بذكر الله ، والاستغناء به عما سواه .
- فى مواقفَ النِّفَّرى : لا يعرف ربه من عرف قُربه بالحدود ، ولا يعرفه من عرف بُعده بالحدود .
- ما دخل التنافس والتحاسد والشك والتمارى والتلاحى فى علاقة إلاّ أفسدها !

***

- لا أعرف متى وأين سئل نابليون بونابرت ، لماذا لا نجد «عظماء» فى

السلطة ، ولكنى أعرف أنه أجاب بأن السبب أن التفاهة المطلقة هى اللازمة لكى تحصل على السلطة ، ولكن العظمة الحقيقية هى الواجبة لممارسة السلطة .. وأعرف أيضا أن هذه العبارة «واقعية» برغم ما فيها من مرارة صادمة .. قلائل بل نادرون من استطاعوا أن يجمعوا بين النقيضين : التفاهة ، والعظمة !!

- قال شاعر حكيم من الزمن الأول :

أراك مع الأعداء فى كل موطنٍ وقلبك من ضِغْنٍ علىّ مريضُ
وما بىّ من فقر إلى أن تحبنى وما ضرّنى أنّى إليك بغيضُ

- قد يُؤْتى المرء من مأمنه !
- من أقوال لقمان الحكيم لابنه : لا تعرف ثلاثة إلاّ عند ثلاثة : الحليم عند الغضب ، والشجاع عند الحرب ، والأخ عند الحاجة إليه .
- من تفكر فى عجائب آيات الله ، دفع عنه وساوس الشيطان .

***

- إننا نلهو ولا يفارقنا اللهو حين نَجِدّ ، وهذا من مصادر بلائنا! نكتفى فى الغالب الأغلب بالمريح السهل ، نقبل عليه دون أن نتأكد من صحته ، وربما نقدم عليه برغم مؤشرات واضحة لبطلانه ، ولكن يصرفنا عن التوقف عندها أو يغرينا بتجاوزها وعدم الاتعاظ بأخطارها أن عوادمها وأضرارها لن تظهر إلاّ بعد أن نختفى من الوجود ! فميولنا الموروثة من الآباء والأجداد بمحبة العافية والراحة وإيثار السلامة ، قد قللت قدراتنا على المثابرة والإخلاص ! وإلى اليوم لا يزال شعورنا بالعافية يسبق عقلنا.. العقل قد يخدم العافية ، وقلما يقودها ، ولكنه نادرًا ما يسودها!

- الصداقة كالأخوّة مشوبة منذ بدء الخليقة بالحسد ، مكدرة بالحقد ، مهددة دائما بالخيانة !! وما قصة هابيل وقابيل ، وقصة إخوة يوسف عليه السلام ،إلاّ توكيد واضح ناصع لهذا الواقع المر!!
- من علامات أمراض القلوب ، مجافاتها لما ينفع ، وإقبالها على ما يضر !
- من حسن الخلق احتمال المكروه بحسن المداراة .
- الصمت يغنى عن تبرير ما لا مبرر له !

***

- كلمة أو تعبير «المزاج» تعنى فى اللغة ما أُسِّس عليه كيان الآدمى بدنًا ونفسًا من أحوال واستعدادات وميول واتجاهات ، لأنه خليط مشترك .. تشترك عناصره تتلازم وتتساند ويستدعى بعضها بعضًا ، وتجعل لكل فرد فرديته ؛ لأنه يشعره باختلافه اختلافًا بينًا عن غيره وحتى عن أقرب الأقربين ، ويمكنه من تنمية شخصيته وفقًا لاهتمامه بتنميتها .. وهذا لا ينفى قط تشابه القرابات العرقية والبيئية عند تفطنها لهذا التشابه وتعلق أفرادها وشدة غيرتهم عليه .. ومن هذا الخليط أو المزيج منشأ الجماعات والأمم ، وعصبية الأسرة والبطن ، بين الذين ينتمون إلى أصل واحد حقيقى أو ظنى تجتمع لديه الفروع والبطون والأسر فى القبيلة !
- من الحكم العطائية : «الغافل إذا أصبح ينظر : ماذا يفعل ؟ والعاقل ينظر : ماذا يفعل الله به ؟».
- قال بعضَ الصوفية : «يحتاج المسافر فى سفره إلى أربعة أشياء : علم يسوسه ، وذكر يؤنسه ، وورع يحجزه ، ويقين يحمله » .
- قيل إن العلم لا يُعرف إلاّ بالعمل ، والعمل لا يُعرف إلاّ بالإخلاص ، والإخلاص لا يُعرف إلاّ بالصبر ، ولا يُعرف الصبر إلاّ بالتسليم ..
- تقفر حياة من طوى نفسه على الحقد والغيظ ، ولم يبذل المودّة إلاّ اصطناعًا وادعاءً وتكلفًا !!

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٣٧)

- فى هذا الزمان ، زماننا ، لم يعد أحد يصبر على طلب العاجلة إيثارًا للآجلة وإن كانت أكرم وأفضل وأعظم وأبقى .. يتساقط الرجال وأشباه الرجال كأوراق الخريف طمعًا وجريًا وراء منصب أو موقع أو ترشيح أو مغنم أو سبوبة ، مع أن ذات هذا الزمان الذى نعيش فيه ، يرينا كل يوم مآل من تسابقوا وأسرفوا على أنفسهم وكرامتهم وعلى وطنهم وعلى الناس ، وماذا صار بهم الحال حين غربت النجومية المصنوعة أو المصطنعة ، وانحسرت الأضواء ، وأحاط بهم السكون المطبق بلا مدد يعوضهم بذكريات تبل الخاطر ، إلاَّ سكاكين الندم والخذلان .. تقطع فى أحشائهم وتبرهن لهم بعد أن فات الأوان ، أن الآجلة لو فهموا وتفطنوا كانت خيرًا لهم وللوطن .. وأبقى !!
- من الحكم العطائية : «الفكرة سير القلب فى ميادين الأغيار» .
- من العاشقين من يقدمون رضا المعشوق على رضا الله وحبه ، ويتقربون إليه بما لا يتقربون به إلى الله ، وينفقون فى مرضاته ما لا ينفقون فى مرضاة الله !!!
- قال الصوفى يحيى بن معاذ :

« انكسار العاصين أحب إلى الله من صَولة المطيعين» .

- صدق المحبة ، العمل بطاعة المحبوب .

***

- يبدو للمتأمل أن معظمنا الآن يستخف بالقيم الموروثة دينية وأخلاقية وعلمية ، ويؤثر عليها معارف وأذواق وآداب وفلسفات ومذاهب العصر المسايرة اليوم لتتابع تقدم العلوم والكشوف الوضعية والفنون الجديدة مما لم يعرفه السابقون ، وهذا الاستخفاف بالموروث والإقبال على معطيات العصر بأنواعها ينطوى فى الواقع على مبالغة ومجازفة وربما مخاطرة زادت وانتشرت معالمها فيما هو مألوف وسائد فى عالمنا اليوم من غلبة التشاؤم وكثرة القلاقل والمشاكل !
- الأزمة الحقيقية للملوك والحكام ، هى فى انعدام الصداقات الحقة !
- لا تستعن بمن لا يعين ولا نفع له ولا رجاء فيه !
- الله تبارك وتعالى هو وحده المحبوب لنفسه وذاته ، المستعان به بنفسه .. لا يُحَب سبحانه لغيره، ولا يُستَعَان بسواه ..
- من سكن إلى العبارة نام ، فلا بالحياة ظفر ، ولا بالعبارة استفاد !

***

- هل حلت أو يمكن أن تحل التفاهة مكان القدرة والكفاءة والعظمة الحقيقية ؟! لا يحدث ذلك إن حدث إلاّ فى العدسات اللامة لعيون ضريرة بلا رؤية ولا بصيرة .. ولا ينطلى إلاّ على تعاريج نفوس ضامرة ملهية بالأضغاث مخدورة بالخدع والأحابيل .. من المؤسف أن أحدًا لم يعد يتعظ من دروس التاريخ ليستمر التأرجح الدائم فى لعبة السلطة ، بين التفاهة السهلة الشائعة ، والعظمة العزيزة النادرة !!!
- قال الصوفى أبو سعيد الخراز : «فى بداية الإرادة كنت راعيا فى السياحة . فيوما قال لى محمد بن منصور الطوسى : يا ولدى ! الزم مقام إرادتك حتى يفتح الله لك باب كل خير وبركة » .

• قال بعض العارفين إن الخشوع هو قيام القلب بين يدى الحق سبحانه ، فى همة وإخبات .

أما الخاشع ، فمن خمدت نيران شهوته ، وسكن دخان صدره ، وأشرق نور التعظيم فى قلبه ، فماتت شهوته ، وحيى قلبه ، فخشعت جوارحه .

• سئل الجُنيد عن الخشوع ، فقال : تذلل القلب لعلاّم الغيوب.

• لا يشفى غليل الحاقد ، سوى نعيق البوم !

***

• اكتمال النضج والتبصر والخبرة الذى أمكن وجوده لدى قليلين من البشر، لا يبعد أن يتكاثر إن صادف ظروفًا مواتية مناسبة ، حينئذ يمتد هذا الاكتمال المفقود أو شبه المفقود ويشمل أغلبية البشر ، وتحل عادات البشر السوية السليمة محل العادات الراهنة المليئة بالأحلام المخدرة والأوهام والطمع والجشع والأحقاد والثارات !

سبحان القائل فى قرآنه المجيد : ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ [المرسلات] .

• من الحكم العطائية : «الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ، ثم لا تتوجه إليه ، وتقل عوائقك ، ثم لا ترحل إليه» !

• قال بعض السلف الصالح : البلاء يصبر عليه المؤمن ، وقد يصبر عليه الكافر .. بيد أنه لا يصبر على العافية إلاّ الصديقون . ومن أقوال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : ابتلينا بالضراء فصبرنا ، وابتلينا بالسراء فلم نصبر !

• من تفكر فى زوال الدنيا ، جعل زاده إلى دار البقاء ..

• من أقوال الصوفى أبو سليمان الدارانى :

«من أظهر الانقطاع إلى الله ، فقد وجب عليه خلع ما دونه من رقبته » .

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٣٨)

• فى عوارف المعارف ، أن للتوحيد مراتب : أولها التوحيد الإيمانى ، وثانيها التوحيد العلمى ، وثالثها التوحيد الحالى ، ورابعها التوحيد الإلهى .

التوحيد الإيمانى تصديق بوحدانية الحق ، بموجب الآيات القرآنية والأخبار الصحيحة . بما يقر فى القلب ، وبإقرار اللسان .

والتوحيد العلمى ، يستفاد بعلم الباطن ويقال له : «علم اليقين» .. بألاّ موجود حقيقيًا ولا مؤثر مطلقًا فى العالم إلاّ ذاته تعالى سبحانه وتقدس .. كل صفة أثر من صفاته ، وكل علم وقدرة من آثار قدرته وإرادته .

وأما التوحيد الحالى ، فهو الذى يصير وصف ذات الموحد لازمًا له ، تشع معه إشراقات نور التوحيد ، فيتلاشى نور توحيد العلم فى نور توحيد الحال .. ووجود الموحد فى هذا المقام ، فى مشاهدة وجود الواحد مستبعدًا كل وجود سواه . فمنشأ هذا التوحيد نور المشاهدة ، ومنشأ التوحيد العلمى نور المراقبة .

أما التوحيد الإلهى ، فهو الذى يتجلى فيه أن الله تعالى موحد بنفسه لا بتوحيد غيره ، فهو سبحانه على الدوام بوصف الوحدانية ونعت الفردانية موصوف .. ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص] .

• تجرى الأقلام والكلمات ، والحكم والمواعظ ، من مئات السنين على المقابلة بين الدنيا والآخرة ، ووصف الدنيا بأنها الغرورة الفانية ، والآخرة

بأنها الحقيقة الباقية .. ونظرًا لأن أحبال صبر المتعجلين لاتستطيع انتظار الآخرة ، فتتعجل الدنيا وتقع فى حبائلها تطور الخطاب ليضع الآجلة مقابل العاجلة ، على اعتبار أن الآجلة أقرب من الآخرة ، ويمكن أن ترد فى الدنيا ، فتعوض الصابر الصبور ، المتمسك بالحبل المتين ، عن مكاسب العاجلة التى يمكن أن تكون سرابًا قصاراه أن يذهب بالمندفع إليها إلى فوات الاثنتين : العاجلة والآجلة ، أو إلى زوايا النسيان ، أو إلى مزبلة التاريخ !

***

- نوايا الناس تذهب بهم أشتاتًا ، ما بين الطيب والخبيث ، والمستقيم والمعوج ، والظاهر والخفى ، وتتعدد هذه النوايا تعددًا يستعصى على الحصر ، وأحسب أن أى مجتمع من المجتمعات بدائيًا أو متحضرًا لا ينعدم فيه وجود نوايا طيبة صادقة ، بيد أن وجود تلك النوايا لا يؤثر تأثيرًا اجتماعيًا إلاّ إذا كان مصحوبًا بحماس غير عادى يمكنه أن يجتذب ذوى النوايا الطيبة المتفرقين الغارقين ضمن الكثرة السبية ! هذه الكثرة التى لا تهتم بالتعرف على النوايا وصدقها ، ويغريها ويقتادها فى الغالب الأعم ذوو النوايا السيئة المغرضة الأنشط حركة والأكثر مقدرة على خطاب المصالح الخاصة والأهواء الشخصية !!
- من أقوال ابن القيم الجوزية : «الوصول إلى المطلوب موقوف على هجر العوائد وقطع العوائق. فأما العوائد فهى السكون إلى الدعة والراحة واعتياد الرسوم والأوضاع كأنها بمنزلة الشرع المتبع .. أما العوائق فهى أنواع المخالفات ظاهرها وباطنها ، فهى تعوق القلب عن سيره إلى الله وتقطع عليه طريقه ..

- سئل الصوفى إسرافيل المغربى ، وهو من شيوخ ذى النون المصرى : «هل يُعَذب الأشرار قبل الزلل « ؟ فقال لسائله : أمهلنى ثلاثة أيام» .. ثم رد الجواب فى اليوم الرابع فقال لسائله : «إن جاز الثواب قبل العمل جاز العقاب قبل الزلل» !
- من أخلص لله تعالى ، لم ينتظر ثناء من مخلوق .
- لكل شىء صدأ ، وصدأ نور القلوب الشبع !

***

- لم يفطن الآدمى الفرد حتى الآن إلى أن إرادته وعقله وحدهما لا يكفيان لتغيير مصيره أو محيطه ، وأن ذلك يستلزم أن يكون محيطه فى حالة خاصة تجعله مستعدًا لقبول هذا التغيير واعتناقه ولو بعد مقاومة قصرت أو طالت ، وأن هذه الحالة لا غنى عنها لكى ينجذب ذوو النوايا الطيبة إلى صاحب الحماس المستبسل غير العادى ليكونوا الجماعة التى منها تبدأ بداية المذاهب أو النهضات . وبدون هذا الاستعداد لدى المحيط لا تنفع سلطة ولا قوة عسكرية ولا تنظيم سياسى أو طائفى لتحقيق هذا الجذب والاجتماع حوله ، ذلك لأن الإعراض الداخلى للمحيط يحول دون وصول التغيير إلى أعماق الناس وإتاحة الفرصة لتغيير تلتف حوله النوايا الصادقة المخلصة لحسن صناعة وترقية الحياة !
- سُئل ذو النون المصرى : من أكثر الناس همّا ؟ قال : أسوؤهم خلقًا !
- أشر الضالين من ضل على علم !
- الصديق الذى يضر قربه ، هو الذى يبغى الوصول إلى الأسرار ، فإذا عرفها أحصى الفلتات ، وعدَّ الهفوات ، ثم جعل ذلك سلاحًا يحمله على صديقه متى تغيرت الأيام !

- لو خشع القلب لخشعت الجوارح .
- من نظر بنور الفراسة ، نظر بنور الحق .
- كذب من ادعى محبة الله ، فإذا جَنَّه الليل نام عنه !

***

- لو تأمل المتعجلون المتدافعون إلى العاجلات ، لعرفوا أن الكون كله فى صيرورة دائمة .. الأرض والشمس والقمر والكواكب والأفلاك والمجرات ، جميعًا تدور فى حركة دائبة لا تتوقف .. وهكذا وقائع وظروف الحياة .. لا يبقى ملك فى ملكه ، ولا حاكم فى سلطانه ، ولا ناعم فى موقعه .. ولعرفوا أن التاريخ وإن بدا فى الحاضر أنه لا يكتب ، إلاّ أنه يخط خطوطه يومًا بيوم ولحظة بلحظة ، وأن ما استتر أمره أو تحصن بيومه ، مآله إلى الانكشاف وفقدان الحصانة باكر .. حين تظهر المخطوطات إلى حيز الوجود بعد تغير الظروف أو زوال الحصانات !
- قال أحد الصوفية من الزمن الأول :

«لأن تردّ إلى الله ﷻ همَّكَ ساعة ، خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس » .

- إعادة الاعتذار ، تذكير بالذنب !
- لا تنازع السفهاء ، ولا تستهتر بالنساء ، فإن ذلك يزرى بالعقلاء !
- ما قاد الهوى إلاّ إلى الهلكة وضياع الحكمة !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٣٩)

- إيثار العاجلة على الآجلة ، نازع يحدث فى الحياة الخاصة كما يحدث فى الحياة العامة .. الفارق أن آثاره فى الحياة العامة أكثر اتساعًا وأعم ضررًا .. ولكنه فى الحالين استسلام لنازع تتراجع أو تنطمر أمامه الرؤية والفطنة والبصيرة ، وتضعف أو تتلاشى إرادة الحق والصواب ، وتحل محلها إرادة النفع وانتهاز الفرص ، والتخلى عن الاتزان والوقار والالتحاف بالمداهنة والرياء والوصولية والنفاق ، والاستسلام للرغاب والشهوات ، وضمور داخل الآدمى بإسكات ثم موات ضميره ، فتتساوى المرئيات ، فلا تميز العدسة بين الكمال والنقص ، ولا بين الجمال والقبح ، ولا بين الحق والباطل .. معيار الرؤية الوحيد يختزل فى ثقب إبرة لا يمر منه إلاّ ما يصادف الهوى ويوافق الأغراض مهما كانت صغيرة أو باطلة !!
- من الحكم العطائية : «الفكرة سراج القلب ، فإذا ذهبت فلا إضاءة له» التجمل مروءة ظاهرة .
- إذا قل أهل الفضل ، هلك أهل التجمل .

***

- إن كل أخبار وآثار الحرب والغزو والنهب والدمار والهلاك والوحشية التى تملأ تاريخ البشر القديم والحديث ما كانت لتوجد لولا عدم المبالاة بمنع أصل الأذى والشر قبل أن ينمو ويستفحل ويتسلط على العباد

والبلاد .. لم يتعلم الناس من تاريخهم شيئًا يذكرونه ويصححون به مسار حياتهم وتاريخهم الحافل بالمآسى والحماقات المذهلة !! فما زالوا يرحبون بتطرف النكرات ويشجعون جرأتهم واندفاعهم وهجومهم على الكبير والصغير وخوضهم العنيف فيما يعرفونه وما لا يعرفونه ، فيفتحون لهم بذلك الصفوف ويتيحون لهم الفرص ! وما زال الناس يطعمون ويسقون صغار المردة والشياطين ينتفعون بهم فى محاربة الخصوم وهزيمة المنافسين واجتذاب الأتباع إلى أن يبرز منهم الأوغل تطرفًا والأصلب عودًا والأقوى شكيمة ، فيتألّه ويتسلط ويتمكن من جميع الرقاب ويبسط يده على كل شيء ويهلك الأخضر واليابس !!

- لسان العاقل وراء قلبه .
- من أقوال الصوفى الحارث المحاسبى :

«من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص ، زَيَّن الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة» .

ومن أقواله أيضا :

« صفة العبودية ألا ترى لنفسك مُلكا ، وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضَرًّا ولا نفعا» .

- الحكمة ضالة المؤمن ، فخذها من أى موطن تراه .

***

- لا مفرّ للعاقل من الإقرار بأن أطماعنا تقودنا أكثر من أى دافع آخر ، والأطماع تعنى ما نشتهيه ونسعى إليه مما نتصور أنه يرضينا فى الحال أو فى المآل . أما ما نشتهيه فقط دون أن نسعى إليه أى سعى فهو أمنية فقط ! و«الأطماع» فى عمومها أعم بكثير من كلمات الرضا والقربى والذرية

والإرث ، وكلمات الخير والعدل والحلال والحرام والصدق والحق والرزق والنعم ، ومن كلمات العطايا والمواهب ، والاصطفاء والاختيار ، والأمان والسلام ، والفوز والانتصار والتوفيق ، والذكر والجاه والسلطة والقوة ، والولاء والأحباب والأتباع .

ولم يخل قلب لآدمى حتى ولو كان قديسًا أو وليًا أو مقربًا من الأطماع فى عمومها .. لأنها فى عمومها لا تتعارض مع إخلاص المخلصين ووفاء الأوفياء وصفاء قلوب سليمى القلب والسريرة .. فكل منا يطمع فى صحة البدن والعقل .. وكل مؤمن يطمع فى الجنة ومرضاة الله التى تؤهله للمغفرة والمثوبة والإكرام .

- من أقوال الصوفى أحمد بن خضرويه البلخى :

« الطريق واضح ، والحق لائح ، والداعى قد أَسْمَع ، فما المتحير بعد هذا إلاَّ من عَمِىَ سِرُّه» .

***

- الخوف من مواجهة الحياة خوف من المجهول يزيده ضعف الثقة بالنفس أو الإحساس بقلة الحيلة ، وقد يغذيه استسهال الحلول الموصلة للثراء أو اليسار أو مراقى السلطة أو المجتمع ، باللجوء أحيانا إلى الوساطات ، أو الإقدام على الزيجات الأكثر حسبا أو الأكثر مالا ! وأمثال هذه الحلول تتضافر مع العقد النفسية ومركبات النقص فتزيد كُمُونها وتمكنها من الشخصية التى لا تشعر بحكم العادة بحقيقة ما يعتمل ويتراكم فى داخلها من عقد نفسية ومركبات نقص تنضح فى سلوكيات وتصرفات لا يستطيع الواقع فى وهدتها أن يلتفت إليها ناهيك عن أن يتفطن إلى علتها !

- الحكيم لا يقابل البدعة ببدعة ، ولا يرد الباطل بباطل .. يلتزم الحق ، ولا يتبع الهوى .
- قال بعض العارفين : «الخلق السيئ يضيّق قلب صاحبه .. لأنه لا يسع فيه غير مراده ، مثله كالمكان الضيّق : لا يسع فيه غير صاحبه» !
- من تزين للناس بما ليس فيه ، سقط من عين الله ﷻ .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٤٠)

- الاعتدال وعدم التطرف من سليقة وفطرة الآدمى السليم الذى يمثل الغالبية من البشر ، وليس فضيلة أخلاقية يكتسبها صاحبها بالاختيار والتعلم والاعتياد .. إنه مجرد نتيجة لميل الإنسان الطبيعى إلى التواصل وتكوين الجماعة والرغبة الفطرية فى إقامة المودات والعلاقات الاجتماعية اللازمة لتبادل المنافع والخدمات ومطالب الحياة المشتركة . وذلك خلاف ما يسمى بالاعتدال أو تجنب الإفراط والتفريط ، وهو قيمة أخلاقية لها منزلتها لدى الناس بعامة فى كل عصر وبيئة .. قوامها قوة فى الإرادة والوعى وقدرة على ضبط أهواء النفس ، ورصيد من سعة الصدر والحكمة والرشد والفطنة ، بموجبه يلتزم المرء حدوده لا يتخطاها ملتزمًا العرف السائد بين الشرفاء .. هؤلاء الذين يعتبرون من أمارات الشرف والوعى والفهم احترام آدمية الآدمى ورعايتها فى كافة الأحوال والظروف !
- من الحكم العطائية : «الفكرة فكرتان : فكرة تصديق وإيمان ، وفكرة جهود وعيان : فالأولى لأرباب الاعتبار ، والثانية لأرباب الشهود والاستبصار» !
- الكريم جواد بماله وعطائه ، ولكنه بخيل بكرامته !
- ليس لسلطان العلم زوال .
- تختلف قدرات الناس على احتمال الفشل والإحباطات .. منهم من يتماسك ويصمد ، ومنهم من يتجاوزها ويمضى ، ومنهم من يسقط

ويتهاوى ، أو يقع فريسة لعقد نفسية ومركبات نقص تنضح فى سلوكه ومعاملاته .. ما ظهر منها أو ما استطاع إخفاءه أو مواراته .. وأكثر العقد النفسية نضوحا على الناشبة فيه العقد التى لا يتنبه إليها أو يعرف جذورها وأسبابها .. والوقوع فى وهدة العقد أو مركبات النقص فرع على ضعف داخلى يقترن غالبا بقلة الثقة بالنفس مع الاهتمام بادعاء العكس !!

- قيل في الزمن الأول : «لا تظهر الشماتة بأخيك ، فيعافيه الله ويبتليك » .

***

- غلبة الأطماع على حياة الآدمى ضرورة فرضتها كثرة الاحتمالات والمجاهيل والغيبيات فى حياته الفردية والاجتماعية .. فهو من لحظة الإخصاب إلى أن يغادر الدنيا يتحسس طريقه الذى لا يعرفه بيقين .. ويحدس ويخمن ويتأول ويخاطر ويغامر ويقامر ويَخْدع ويُخدع ويسلم ويستسلم ، ثم ينتهى وهو صفر اليدين أو يكاد .. لا يترك إلاّ آثارا ومأثورات لا تقطع باتجاه واحد ثابت .. ولا تلقن الآخرين سلوكًا بعينه يلتفتون إليه وينتفعون به ولا يخالفونه .

- الصلة بين الأطماع وبين الحظ وثيقة للغاية .. إذ لا يخلو طمع طامع من افتراض شيء من حسن الظن بالأيام والأحداث ، أو على الأقل من افتراض أنه لن يصادف هو بالذات سوء طالع مفاجئ ليس فى استطاعته إبعاده .. لأن من يطمع يفترض دائما أنه قد أقام مطمعه على أسس متينة محكمة ، وزودها بما يكفيها من عوامل يرجح معها الفوز .. وهو غالبا ما يبالغ فى التفاؤل قليلا أو كثيرا لشدة شوقه وقوة رغبته فى نيل ما يطمع فيه .. وهو حين يفشل يعزو فى الغالب هذا الفشل للحظ العاثر

والمقادير المكتوبة ومعها تدخل الخصوم والحاسدين الذين لا يغفر لهم قط تدخلهم ذلك الذى يزعمه أو يفترض حصوله بدلالة فشله الذى صدمه !!

- قيمة المعانى الدينية لدى البشر تتركز فى أنها معان كونية ثابتة دائمة أزلية وأبدية توافق العقل الأسمى وإن كانت تبدو متعارضة أحيانًا أو كثيرًا مع مقولات العقل الإنسانى الذى يريد الفهم الواضح والحل المعقول ، ويريد أن يستهدى بما هو جلى ومشاهد فى داخلنا وخارجنا من أحداث وظواهر الكون المشهودة لإدراكاتنا وحواسنا مما هو قابل للاستزادة من الفهم وقابل لذلك للتصحيح والتعديل والمراجعة وإعادة الصياغة أو إعادة التصور !
- قال أحد الصوفية من الزمن الأول :

«لأن تردّ إلى الله ﷻ همَّكَ ساعة ، خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس » .

***

- نعرف أن النزوع إلى الماضى متنفس للهروب من الواقع الحزين اليائس ، ونعلم أن النفس تتوق إلى متنفس يفرج كربتها حين تضيق الدنيا أمامها على سعتها ، وأن الأديان كانت ولا تزال سقوفا حانية تحمى التعساء من الانهيار ، وتقوى الصابرين على صبرهم ، وتفتح لهم من أبواب الصبر والعزم ما يشد من أزرهم ، بيد أنه عند هذه العتبة تشتد نفوس وتضيع أخرى . لا يأتى الضياع من مجرد الإخفاق فى الإمساك بحبل الدين الصحيح وما يبثه ويضيفه ويعمقه فى صفحة وجدان الآدمى ، وإنما يأتى الضياع من فقدان البوصلة التى تلفت مع قيم الدين إلى معطيات الصبر الفاعل المريد القادر على تغيير قتامة الواقع مهما كان مظلما أو مرًا .

- قال وهب بن منبه : «لا يكون الرجل فقيهًا كامل الفقه حتى يعد البلاء نعمة ويعد الرخاء مصيبة ، ذلك أن صاحب البلاء ينتظر الفرج والرخاء ، وصاحب الرخاء ينتظر البلاء» !
- قال بعض العارفين : «مساكين أهل الدنيا ، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها ! قيل : وما أطيب ما فيها ؟ قالوا : محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه ، والتنعم بذكره وطاعته» .
- مغرور تغره الأمانى من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ، وانقاد لها ولم يخالفها فى جميع الأحوال . يهلك من يستحسن كل ما يصدر عنه دون أن يعمل موازين المراقبة والحساب !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٤١)

- يبدو أن بدايات الأحياء جميعًا بدأت وما زالت تبدأ حتى الآن من الغرائز ، ولم يشذ عن هذا أبناء آدم ، ولذلك كانت المشتهيات والشهوات مقدمة وما زالت مقدمة لدى الآدميين صغيرهم وكبيرهم فى ماضيهم وحاضرهم .. ولم يثنهم عنها زهد الزهاد والرهبان والصوام ، وإلى هذه المشتهيات والشهوات يرجع تعلقنا الأكثر وضوحًا بالماديات والحسيات !
- لا يمكن لأى عاقل أن يحسن الظن بإسرائيل ، وأمريكا بالتبعية ، إزاء تصرفات تنسف أى فرصة للسلام ، ما بين يهودية الدولة ، ورفض العودة ، وامتلاك الجولان ، والجدار العازل ، والقدس عاصمة أبدية لإسرائيل !! إن الحديث عن السلام رغم هذا كله وغيره من غارات ونسف وتدمير وتجريف واغتيال ، يعنى أننا نضع الهزل مكان الجد .. حقا صدق من قال : «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» !!
- لن ينال السلام إلاّ من يقدر على الحرب !
- يبدو أن «الفرعون» راقد فى أعماق كل منا ، لا يختفى إن اختفى إلاَّ مغلوبا على أمره ، فإن أتيحت له الفرصة ، انطلق يباشر «فرعونيته» فى ثقة وإصرار وزهو ، لا يدع لأحد ولا لقيمة ولا لمبدأ أى فرصة فى زحزحته عما يريد !!
- الحق إذا لاح وتبين ، لم يحتج إلى شاهد يشهد به .

***

• يبدو أن ما فينا من الغريزة الحيوانية يجذبنا جذبًا عنيفًا إلى الالتصاق بالأرض ، ويشدنا إلى ما هو محدود ووقتى مما هو عليها مما نراه ونلمسه ونأكله ونفرزه ، ومما نشعر معظم الوقت بانحصار حياة كل منا فيه بين ميلاد وموت . وهذا القدر المحدود الضيق من وعينا للكون العظيم ودورنا فيه ، يحول بين حواسنا وبين أن تنقل قدرًا معقولًا من حقيقة الكون لوعينا ثم التعامل معها تعاملًا مجديًا لنا !

• من اعتاد سماع الباطل وقبوله أكسبه ذلك تحريفا للحق عن مواضعه !

كما يكون الابتلاء فى المحن ، يكون أيضا فى النعم .. فإقبال الدنيا ابتلاء يظهر الشاكر من الجاحد المتبطر .. يقول ﷻ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ ﴾ [الكهف] .. وفى سورة الأنبياء : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝ ﴾ [الانبياء] .

• قال بعض الصوفية : لا ينفع ظاهر لا باطن له ، ولا يجزئ باطن لا ظاهر له إلاَّ إذا تعذر بعجزٍ أو إكراه وخوف وهلاك!

ولذلك قيل إن الإيمان ظاهر وباطن . والإيمان قلب الإسلام ولبه . واليقين قلب الإيمان ولبه . وكل علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوة فمدخول : وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخول !

• يأتى الفزع الأشد من التمساح الصامت !

***

• كل مجتمع يحاسب مخطئيه أو مجرميه حسابًا إجماليًا يقف عملًا عند ثبوت أو عدم ثبوت ماديات الحدث ومرتكبه أو مرتكبيه والقضاء بالعقوبة أو البراءة ! لا يريد أى مجتمع أن يجد ويدرس ويتمعن ولا أن يتكلف ماديًا ومعنويًا على نحو جاد أكثر من هذا القدر الرسمى الذى اعتاد

عليه استسهالًا وتحاشيا للجهد والعناء ، وهو يترك للقالة العامة عملية التلطيخ أو التطهير بناء على نفس الرؤية البسيطة البدائية التى أخذها بالظاهر دون تأمل أو دون تأمل كثير ، فيفترس بعض الناس سيرة الآخر وسمعته ، ويشيد بعضهم به وبشرفه ، وبين هؤلاء وأولئك يتوه المدقّق الذى يريد التزام الحياد ووزن الأمور عن بصيرة وتفطن !

- الدرقة المحيطة بالسلطة ، أى سلطة ، لا تحب أن تفسح سبيلا للعظمة والعظماء لأنهم يقتطعون منها ، والناس لا تميل ولا تُقْبل على العظمة والعظماء لأنها تنفر بطبعها من كل مقارنة تشعرها بالضآلة أو النقص أو الدونية !
- كثيرا ما نرتكب كبائر بلا هدف ، أو ننزلق إليها سعيًا أو طلبا لصغائر لا تبررها ناهيك عن أن تخرجها من دائرة الإثم والتأثيم !! حينذاك تكون الكبيرة مفرد الكبائر بلا أى رصيد يبررها أو يغفر الوقوع فيها إن كان له غفران ، وتتضاعف الحماقة حين تكون « الكبيرة » بالغة الإثم والحماقة غير قابلة للغفران !!
- كم من الكبائر ترتكب استهدافًا لأغراض صغيرة ضريرة ؟!!!
- التوحيد الخالص الذى لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٤٢)

- كما تتعدد أسباب العاهات الجسدية أو العضوية ، تتعدد أيضا أسباب العاهات أو العقد النفسية أو مركبات النقص .. الفارق بينهما أن العاهات العضوية تتلقى مواجهة جسدية تلقائية تعويضية ، وقد تستعين بأجهزة صناعية تعويضية كالأطراف الصناعية والنظارات الطبية والسماعات وأجهزة تنظيم أو تقوية نبضات القلب أو دعامات توسيع الشرايين .. إلخ . أما العاهات النفسية والعقد ومركبات النقص فقد تكون مخفاة عزيزة الاكتشاف إلاَّ على الخبراء ، وإلى حد الاستحالة على الواقعين فى وهدتها ، ثم إن علاجها يحتاج إلى جوار الخبرة التحليلية والعلاجية النفسية ، يحتاج إلى تيقظ وتعاون إرادى وواع ومتفطن من المصاب بعللها وأسقامها .. وأول مقومات العلاج الذى لا يجرى إلاَّ بالتعاون بين الأخصائى والمريض ، أنه لابد أساسًا من معرفة جذورها ومركباتها وتراكماتها .. ودور الأخصائى النفسى هنا لازم وبلا بديل ..
- نفس الآدمى تدعوه إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا ، والله تبارك وتعالى يدعوه إلى الخوف والخشوع ونهى نفسه عن الهوى . هذه النفس وصفها القرآن المجيد بثلاث صفات : المطمئنة ، والأمارة بالسوء ، واللوامة .

النفس المطمئنة هى من سكنت إلى الله ، واطمأنت بذكره ، وأنابت اليه ، واشتاقت إلى لقائه ، وأنست بقربه .

والنفس الأمارة بالسوء ، هى نقيض ذلك .. تأمر صاحبها بما تهواه من الباطل والغى والشهوات ، فإن أطاعها قادته إلى القبح والمكروه والمهالك .

أما النفس اللوامة ، فهى التى تُنَدِّم على ما فات وتلوم عليه .

وفى حديث رسول القرآن عليه السلام : «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله».

- من علامات صحة القلب ، أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينيب إلى الله ويخبت إليه ، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه ، الذى لا حياة له ولا فلاح إلاّ برضاه وقربه والأنس به .
- من أقوال الصوفى بشر الحافى :

«ما أعظم مصيبة من فاته الله ﷻ » .

***

- صاحب العاهة الجسدية ، يعوضها تلقائيا بنمو الأعضاء التعويضية ، كاشتداد قوة إبصار إحدى العينين أو قوة سمع إحدى الإذنين إذا أصيبت أو وهنت الأخرى ، أو بقوة أحد الساعدين لتعويض الآخر .. وهكذا .. أما العاهة أو العقدة النفسية أو مركبات النقص ، فلا تواجه إلاّ بعمل إرادى متفطن إلى مكمن العلة أو الداء .. وهذه المواجهة الإرادية ليست ميسورة المنال لدى ضعاف النفوس أو الذين تمكنت منهم العقد النفسية .. بل قد يكونون غافلين عنها ناهيك عن أن يتفطنوا لمقاومتها أو علاجها وذلك على خلاف العلل البدنية !
- في مواقف النِّفَّرى :

قيل لي أعمال أهل الأرض الحرص والغفلة ، فالحرص تعبدهم لنفوسهم والغفلة سكونهم إلى نفوسهم .

وقيل لي أعمال أهل السماء الذكر والتعظيم ، فالذكر تعبدهم لربهم والتعظيم سكونهم إلى ربهم .

وقيل لي العبادة حجاب دان ، الله سبحانه وتعالى محتجب من ورائه بوصف العزة ، والتعظيم حجاب أدنى يحتجب الله تعالى من ورائه بوصف العزة .

- قال أحد الصالحين : «ما أحب أن أرد أحدًا عن حاجة طلبها منى .. لأنه إن كان كريما صادقا أصون عرضه ، فإن كان لئيما أصون عنه عرضى» !
- حياة القلب فى ذكر الحى الذى لا يموت .

***

- قيمة الإنسان فيه ، لا فى مرايا الآخرين .. مستوية كانت أو محدبة أو مقعرة ، ولكن تنشب الأزمة حين تتغلغل التفاهة وقلة القيمة وهوان الشأن إلى الداخل .. وكثيرا ما يكون لهذا الهوان مقدمات قد لا يمسك بها الواقع فى وهدتها ، ولكنها تتحكم فى مسارات حياته .. أحيانا بالوعى وأحيانا باللاوعى .. كشأن الجازع من العمل الحر الهارب منه إلى حماية وأمان الوظيفة العامة على نظام : «إن فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه» ! فإن فاته الميرى طلب الأمان فى الوظيفة الخاصة ، حتى وإن دفع فيها من كرامته !!
- قال أحد العارفين : «من قرت عينه بالله تعالى قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله تقطع قلبه على الدنيا حسرات .» !
- سُئل لقمان : أي شيء خير ؟ قال : صبر لا يتبعه أذى .

سُئل : فأي الناس خير ؟ قال : الذي يرضى بما أُوتى .

فسُئل : فأي الناس أعلم ؟ قال : الذي يأخذ من علم الناس إلى علمه .

قيل له : فما خير الكنز : من المال أو من العلم ؟

قال : سبحان الله ، بل المؤمن العالم الذي إن ابتغى عنده خيرًا وجد ، وإن لم يكن عنده كفَّ نفسه .. ويحسب المؤمن أن يكف نفسه .

- قال الصوفى يحيى بن معاذ فى صفة الأولياء : «هم عبادٌ تسربلوا بالأنس بالله تعالى بعد المكابدة ، واعتنقوا الرّوْح (الراحة والنعيم) بعد المجاهدة ، بوصولهم إلى مقامالولاية» .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٤٣)

- لا يجرى التفاتنا إلى ما تقع عليه الحواس ، دون أن يصاحبه تساؤلات أو ردود أفعال مصحوبة أو غير مصحوبة بتصورات وخيال وبمواقف متشبعة بما يصاحب نشاط الفكر والخيال والحواس ، وهذا هو الفارق الأساسى بين الآدمى وبين باقى الكائنات إذ مجال التفاتنا واسع لا يكاد يحد أو ينتهى ، وهو يتمدد ويتسع وينتشر باستمرار ، وكلما تمدد زادت فرص تمدده ، وكلما اتسع وانتشر بدت آفاق جديدة لاتساعه وانتشاره !
- اتفق السالكون إلى الله ، على أن الناس على قسمين : قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وصار طوعا لها تحت أوامرها . وقسم ظفروا بنفوسهم فقهروها ، فصارت طوعا لهم منقادة لأوامرهم .

وقال بعض العارفين : انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم ، فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح ، ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك !

قال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات] .

- روى أن إبراهيم بن أدهم سأل رجلا : «أتحب أن تكون لله وليا » ؟

قال : نعم ، فقال له ابن أدهم : «لا ترغب فى شىء من الدنيا والآخرة ، وفَرِّغ نفسك لله تعالى ، وأقبلْ عليه ليقبل سبحانه عليك ويواليك» .

- ليس نعيما كل ما يصيبه الآدمى فى دنياه .. فلن يكون نعيما إلاَّ ما كان مصدره من حلال ، ومصرفه فى الحق لا سواه ..

- المغرور يغمض عينيه عن العواقب !

***

- واقع الحياة أن ما انقضى لا يعود ، وأن الإنسان ابن حاضره ، قد يطل على ماضيه بعين الرضا أو بعين السخط أو بعيون المراجعة والاتعاظ واستقطار التجربة ، ولكنه مشدود إلى المستقبل بما يحوطه من مجاهيل واحتمالات ، وبما يتطلع إلى تحقيقه فيه من أمان وآمال .. قد تتكرر الأيام ، وتتشابه الحوادث ، ولكن اليوم ليس كالأمس ، والغد يحمل غير ما شهده اليوم .. والإنسان نفسه وليد أطوار وأحوال ، فكما أن الظروف متغيرة ، فكذا أحوال الناس .. أنت اليوم غير ما كنته بأمس ، وسوف تكون غدًا غير ما أنت عليه اليوم ، ولذلك كانت العودة للزمن الماضى ليست مستحيلة فقط على ما ضاع أو فسد بين الأحباب ، وإنما هى عصيّة على أى إنسان فى عموم الحياة ، لأن استنطاق الماضى محال ، والعيش فيه من رابع المستحيلات !
- قال بعض العارفين : «الدعاء مفتاح الحاجة ، ومستروح أصحاب الفاقات ، وملجأ المضطرين، ومتنفس الطالبين».
- قال أحد العارفين : «من غَضَّ بصره عن المحارم ، وأمسك نفسه عن الشهواتِ ، وعَمَّر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة لم تخطئ له فراسة » .
- من شُكْر الله تعالى ، ألاَّ تستعين بنعمه على معاصيه .

***

- التعامل مع الحاضر ، والتطلع إلى المستقبل ، ليس خيانة للتاريخ .. فتواصل أمجاد التاريخ ، لا يتحقق إلاّ بالتعامل الواعى الفاهم مع

مقتضيات الحاضر ومتوقعات المستقبل ، وهذا التعامل مبنى فى جزء كبير ومهم فيه على استقطار صفحات وتجارب وعبر الماضى .. إلاّ أن استخلاص ما يحفل به ديوان العبر ، لا يعنى أن يرتد الإنسان ليعيش ويلبس ويتصرف كما كان يفعل أجداده فى الزمن الأول .. فى عبارة بسيطة عبّر أسلافنا عن هذه المعانى حين قالوا : «كل وقت وله أذان».. ولم تبتعد أم كلثوم كثيرا فى شدوها عن هذه الحكمة حين صدحت بقول الشاعر :

عاوزنا نرجع زى زمان قُلْ للزمان ارجع يا زمان

- فهل يمكن للزمن أن يعود القهقرى ، وهل يمكن أن يعيش أبناء القرن الواحد والعشرين كما كان يعيش أبناء القرن السابع الميلادى ؟! فماذا إذن كان حصاد وجدوى هذه القرون ؟!
- الحصيف من حفظ نفسه عن المحارم ، وحفظ لسانه عن قول السوء وعما لا يقال ، وحفظ قلبه من الغل والحقد والحسد ، وحفظ هواه من أن يميل إلى ما لا ينبغي .
- من خاف الله لم يضره شيء ، ومن خاف غير الله ، لم ينفعه شيء .
- طوبى لمن استوحش من الناس ، وأنس بربه ، وبكى على خطيئته .

***

- الإنسان فى تكوين محصلة عوامل عدة .. تَغْلُبُ فى الصغر عواملُ الوراثة والتنشئة والبيئة ، ويَغْلُبُ فى الكبر عوامل الإثراء الواعى بالاحتكاك والممارسة ، والاطلاع والتجربة .. قد يختلف كل منها فى تكوين الشخصية وإنمائها .. ولكنها على الإجمال محلّ اتفاق كعوامل لها أثرها بدرجة أو أخرى فى هذا المجال .

- من أقوال الصوفى شقيق البلخى :

«أقرب الزهاد من الله عزّ وجل أشدهم خوفًا ..

وأحب الزهاد إلى الله أحسنهم له عملًا ..

وأفضل الزهاد عند الله أعظمهم فيما عنده رغبة ..

وأكرم الزهاد عليه سبحانه أتقاهم له ..

وأتم الزهاد زهدًا أسخاهم نفسًا وأسلمهم صدرًا ..

وأكمل الزهاد زهدًا أكثرهم يقينا» .

- الواثق بربه يحسب ما فاته غنيمة ، وإذا أبطأ عليه شىء من الدنيا كان أحب إليه من أن يأتيه .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٤٤)

• حاولت فى كتاب الأديان والزمن والناس ، أن ألفت إلى أن التعصب لم يأت منها وإنما أتى من الذين لم يفهموا رسالة الأديان حق فهمها ، وحصروا أنفسهم فى أزقة ضيقة لا تطل ولا ترى أن الأديان الثلاثة الكبرى هى ديانة السماء ، وكلها من عند الله ، وأن رقى الإنسان الروحى والخلقى والاجتماعى والسلوكى هو الحكمة الإلهية من هذه الرسالات التى تعاقبت على البشر أمة بعد أمة ، وجيلا بعد جيل، تخاطب الناس فى أوان نزولها بقدر سعة عقولهم وأفهامهم ، وتتجه إلى واحد هو توجيه الإنسان إلى الحق والكمال .

تذكرت كيف تقوم الكنائس إلى جوار مآذن الجوامع فى ربوع مصر ، وكيف يتردد المسلمون فى مصر على المزارات المسيحية تبركا وإجلالًا .. وكيف ظلت القاعدة العريضة من المسلمين والمسيحيين على صلات الإخاء والمحبة بعيدا عن الاحتقانات التى استجلبها التطرف أو ضيق الأفق أو افتعلها التعصب أو صدّها الكارهون لسلام مصر . تذكرت ذلك كله وأنا أتابع صفحة التعصب المقيت التى سطرها ٥٧ ٪ من الشعب السويسرى ابن الحضارة الغربية وحقوق الإنسان ، الذين صادقوا على حظر بناء مآذن للمساجد الإسلامية فى سويسرا .. وهذا التصويت انحياز طائفى بغيض قوامه روح التعصب لدى الأغلبية العددية إزاء الأقلية الإسلامية التى بلغت هناك قرابة ثلث مليون مسلم فى تعداد كتاب Romania factbook ط

٢٠٠٥ .. دليل التعصب أن أحدًا لم يتعرض لأبراج الكنائس ، برغم اتحاد العلّة إن كان الأمر خارج دائرة التعصب والاستقواء بالأغلبية على الأقلية .

- لا يطرق الحزن باب من كان فى ضياء وبَرَد الموافقة ، يقول عزّ من قائل فى كتابه المبين : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس] .

***

- تخسر المجتمعات خسرانًا كبيرًا هائلًا ، حين تنفصل الصفوة النابهة عن تيار الحياة .. فهذه الصفوة هى عقل الأمة ، وهى القاطرة التى تشدها وتحدد وتصوب لطريقها معالم الاستنارة والرؤية الصافية المجدولة بالحكمة والتجرد .. ظنى أن ما يجرى الآن فى بلادنا ، قد نحى قامات عالية كانت جديرة بأن تعبر بسفينة الوطن إلى شاطئ السلامة والأمان !
- قيل إن الطريق الصادق إلى الله ، ينسجم فيه أمران :

حب الله ، والخوف منه .

فمن عرف الله عن طريق المحبة من غير خوف هلك بالبسط والإدلال .

ومن عرفه عن طريق الخوف ، انقطع عنه بالبعد والاستيحاش .

ومن عرفه عن طريقهما معا أحبه سبحانه وقربه ، ومكنه وعلمه .

ومن عرف الله حق المعرفة فهو بعيد عن الضلال .

ومن أنزل الموت حق منزلته لم يغفل عنه !

- لسان المذنبين دموعهم .
- أصدق الدعاء ما هيجته الأحزان .

***

- انعدام الملكات والمواهب والقدرات ، هو الباب الواسع لمشاعر الغيرة والبغض والحسد .. وقدر على القامات والعظماء ، أن ذات هذه الملكات

والمواهب والقدرات هى التى تجر عليهم صغائر الصغار ، وحقد العاطلين من المواهب ، المهمشين على هامش الحياة ، الذين لا يجدون لأنفسهم مكانا أو موضعًا يزاحمون به الكبار فيرمونهم بالأحجار ..

- سُئل الجنيد : «ما البلاء؟» . قال : «البلاء هو الغفلة عن المُبْتلى » .

وسُئل الشبلى :«ما العافية ؟ » . قال : «قرار القلب مع الله لحظة » .

- المروءة تبين في التغافل عن زلل الإخوان .
- لو تفطن الإنسان لأدرك أن الشيطان لا يعده إلاّ بالفقر ولا يأمره إلاّ بالفحشاء ، ويعرف أن الله تعالى يعده الفضل والمغفرة منه .

***

- من الظواهر التى باتت مألوفة ، الإسراف الشديد جدا فى التقاضى ، حتى حلت القضايا لدى الكثيرين محل معظم الحلول التى يجب على الناس أن يأخذوا بها قبل اللجوء إلى القضاء باعتباره الحل الأخير إذا استحالت كل الحلول !!
- هذا الإسراف فى التقاضى ، أو فى الحلول القضائية بعامة ، ظاهرة مرضية مردّها إلى ضيق الأفق وضيق الصدور ، وإلى حالة الاشتجار التى تُنحّى المنطق ولغة العقل والتفاهم ، وتؤثر التقارع والتصارع والتلاكم .. ثم هى تبدد طاقات الأفراد والمجموع ، وتصعّد المشاكل ولا تحلها .. وقد تذهب بها إلى أضابير تستغرق السنين فى أروقة المحاكم التى ضاقت بكثرة القضايا والمنازعات التى تؤثر الخصومة على التفاهم والتراضى !
- قال بعض العارفين : لا يغتر بتزيين الشيطان إلاَّ الجاهل ، أما العالم فلا يغره تزيين الباطل فى صورة الحق .. فالجهل أصل البلاء ، لذلك قيل : «كل من عصى الله فهو جاهلٌ» !!

- قال بعض العارفين : لا يخرج العاقل من خصال ثلاث :

أن يكون خائفا مما سلف من ذنوب .

ولا يدرى ما ينزل به ساعة بعد ساعة .

ويخاف من إبهام العاقبة .. فإنه لا يدرى ما يختم له .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٤٥)

- من الغريب أن تسبقنا الحضارة الغربية إلى ما كنا أصحاب السبق فى إعلاء قيمه .. فالعمل فى ذاته قيمة ، وهو لغة الحياة ورباط الأحياء .. والآدمى معلق مصيره بعمله ، ماذا عمل وماذا قدم ! يتحقق ناتج هذا العمل بمهارة الأيدى وضربات السواعد وحبات العرق ، مثلما يتحقق بناتج القرائح والعقول .. كان رسول القرآن عليه السلام إماما للعاملين ، ومثالًا لاحترام قيمة العمل وشرفه .. لازَمَه وصاحَبَه من طفولته وصباه إلى شبابه وكهولته وشيخوخته ، ولم تثنه عنه مهام الدعوة .. رعى الغنم ، وباشر التجارة لحساب غيره فى أمانة ظلت مضرب الأمثال .. كان يخصف نعله بيده ، وشارك المسلمين فى حفر الخندق بيديه حتى تعفر وجهه الكريم بالتراب ، ويأبى إلاّ أن يشارك فى إعداد الطعام ويقوم بجمع الحطب .. ويقول لأصحابه : «أعلم أنكم تكفوننى ، ولكن الله تعالى يحب العبد المحترف ويكره العبد البطال» .. هذا العمل لا يعيبه أن يكون عملا يدويا ، فكلٌّ ميسرٌ لما خلق أو تأهل له ، وفى الحديث الشريف : «من أمسى كالًا من عمل يده أمسى مغفورا له » ... وأيضا : «ما أكل أحد طعاما قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » .
- يقول أهل التصوف ، إن بدايته معرفة بالله ، ونهايته توحيده . ويقول الكتانى أحد أعلام التصوف إنه : «صفاء ، ومشاهدة » . وقوامه صدق العقيدة .

- من دعاء الصوفى إبراهيم بن أدهم : «اللهم انقلنى من ذل معصيتك إلى عز طاعتك» .
- لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا إحسان له .

***

- فى روح التفوق وصناعته ، يتجمع تقدم التعليم ومعه الأمم .. هذه الروح ومعها صناعة التفوق التى تهيئ أسبابه وعناصره وتوفر فرصه وإمكانياته هما اللتان تنقلان العملية التعليمية من الأداء العادى أو الباهت أو الفاتر أو المتواضع ، إلى أداء حى متفاعل مشبوب بالرغبة والحماس والعزم والإصرار على اتخاذ التعليم سبيلا لارتقاء حقيقى فى العقل والمعرفة .. عينه على الذات وعلى الوطن جميعا ، واضعا فى الاعتبار أن كليهما يصب فى الآخر ، وأن الأمم كالأفراد لا تتقدم إلاّ بهذا المزيج من العزم والإصرار الذى تتلاقى فيه الصناعة مع الروح والانتماء للدفع الدائم إلى الأمام !

روح التفوق يجب أن تتلاقى مع صناعة فاعلة رشيدة للتفوق ، فالتفوق صار صناعة تستلزم الخبرة والدراية ، والتنظيم والكفاءة ، وتتواصل مع روح التفوق ليحققا معا غاية التفوق المنشود .

- قال بعض العارفين : الصدق شعار السالكين .. نصحهم الفُضيل بن عياض فقال : «عامل الله بالصدق فى السر ، فإن الرفيع من رفعه الله .. وإذا أحب الله عبدًا أسكن محبته فى قلوب خلقه» .
- الحب هو هبة الفنان للقارئ ، والفنان الحقيقى هو الذى يستطيع أن يمد حبل الحب بينه وبين المتلقين فى عصره ، وتقاس عظمته بقدرة أعماله على إنتاج أحبال الحب فى كل العصور .

- أحق الناس بالرضا من الله أهل المعرفة به .

***

- تبييض وجوه الأنظمة ، هو المرادف لمصطلح غسيل الأموال .. الفارق أن غسيل الأموال صار الآن جريمة جنائية تعاقب عليها التشريعات الوضعية فى معظم بلدان العالم ، بعقوبات جنائية طبعا ، بينما تبييض وجوه الأنظمة جريمة سياسية لم تدخل المدونة العقابية ، لأنها تحدث إن حدثت فى نظم تستقوى على شعوبها بشوكة السلطة ، ولا تسمح بداهةً بتجريم خداعها لمحكوميها ، ولو فعلت لما كانت فى حاجة أصلا لتبييض وجهها ، فهو أبيض بسوائها وعدلها بين حكامها ومحكوميها ، ومساواتها بين أغنيائها وفقرائها ، وبين أقويائها وضعفائها ، وبصدق توجهها وموضوعية سياساتها وقراراتها وتصرفاتها وأعمالها !

الأنظمة لا تلجأ للتبييض إلاَّ إذا أرادت خداع الرأى العام عن الصورة السلبية التى جعلت تحيط بها ، وللأنظمة سوابق عديدة ، هنا وهناك ، فى عمليات التبييض التى لا تترك الأنظمة المأزومة صورتها لا تترك فرصة إلاَّ وتغتنمها لصرف الأنظار عما علق بها ، وبث صورة خادعة جذابة للتجمل بها فى عيون الناس !

- يقول ابن قيم الجوزية فى شفاء العليل : «محبة الله ورضاه متعلقة بأمره الدينى وشرعه الذى شرعه على ألسنة رسله ، فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعًا فهو محبوب للرب بمشيئته ، كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين» .

- قال بعض العارفين : إن الهوى وحده لا يستقل بفساد السيئات إلاَّ إذا لازمه الجهل .. والعلم يرد صاحب الهوى عن هواه ، لأنه يرشده إلى

ما فيه من ضرر ، والله تعالى قد جعل فى النفس حبًّا لما ينفعها وبغضا لما يضرها ...

- غائُبٌ قلبه من كَثُر أكله ، وكَثُر نومه ، وكثر كلامه ، وقل عمله !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٤٦)

- عدم التمييز بين الأديان ينبع من «عقيدة» الإنسان .. وأزمة اليهود أنهم لا يقرون بل ينكرون أفصحوا أم أخفوا أى دين تالٍ للديانة اليهودية .. وهى أزمة غير موجودة لدى المسيحيين ، لأن «المحبة» هى الدعوة الحاضرة فى الأناجيل .. تجبُّ فكرة التمييز ضد الآخرين .. لذلك رأينا سويسريا مسيحيا يقيم برجًا كالمئذنة فوق مؤسسته احتجاجا على استفتاء يرى أنه « العار» .. ورأينا منظمة « هيومن رايتس ووتش » تندد بحظر المآذن وتعتبره انتهاكا لحقوق المسلمين فى التعبير وفقا لمعتقدهم الدينى .. بينما الأزمة التى تواجه اليهود لا وجود لها أصلا فى العقيدة الإسلامية ، لأنها تقر بل توقر وتجل كافة الأنبياء والرسل ، وتعتبر الإيمان بهم وبرسالاتهم جزءًا لا يتجزأ من الإيمان بالإسلام .. فيورد القرآن المجيد : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ [البقرة ١٣٦ وآل عمران ٨٤] .
- قال بعض العارفين : «الدعاء فى نفسه عبادة» .. قال النبى ﷺ : «الدعاء مخ العبادة».
- التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له ، وأن تقبل الحق من كل من تسمعه منه .
- لم يتزين الناس بشىء أفضل من الصدق ، وطلب الحلال .

وقيل فى ذلك : إن الله يسأل الصادقين عن صدقهم ، فكيف بالكاذبين ؟!

***

- الثأر عادة ضالة عمياء ذميمة ، فليس حسبها أنها فى عماها تخالف القانون ، وتعطيه ظهرها ، وإنما هى فى عماها لا تميز بين مذنب وبرىء، بل هى تختار للثأر من تكون الوجيعة فيه أكثر فداحة وأشد ألمًا .. لا تلقى بالًا حتى إلى الدين ، ولا تبالى بقول القرآن المجيد : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١٣] ، ولا بقوله : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام ١٦٥، فاطر ١٨] .. ولا تبالى بالعقل الذى يأبى أن تتجه بالانتقام إلى من لم يرتكب فى حق المنتقم إثما ، ولم يصبه بضر !!

وعرفت ضلالة الثأر ، إلى جوار القتل الضرير ، عرفت الاتهام الكيدى ، فتتجه به عالمةً مدركة إلى من توقن أنه ليس الفاعل ، مادام اتهامه يوجع إيجاعًا أشد ، ويصيب أهله وذويه وقبيلته بحسرةٍ قد لا تصيبهم إذا أقيم الاتهام على الفاعل !!

وقائع أو جرائم الثأر ، هى سجال ضرير بين الأسر والقبائل لا بين أشخاص ، بل هى تتجاوز الأشخاص وتعنى بضرب الأسرة أو القبيلة .. لذلك تتعدد فى الثارات الاتهامات الثأرية إلى جوار القتل الثأرى .

- يقول بعض العارفين ، إن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه : «إذا عصانى من عرفنى ، سلطت عليه من لا يعرفنى» .
- من دعاء الصالحين : اللهم قد أريتنا ذل المعصية فأرنا عز الطاعة .
- أهل الفضل هم أهل الفضل .. ما لم يروا فضلهم .

***

- قال الجنيد ، كنت نائما عند أبى الحسن سرى السقطى ، فنبهنى وقال : يا جنيد رأيت كأنى قد وقفت بين يديه فقال لى يا سرى قد خلقت الخلق

فكلهم ادعوا محبتى ، فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى معى العشر ، وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقى معى عشر العشر ، وخلقت النار فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر ، فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عُشْر عُشْر عُشْر العُشْر ، فقلت للباقين معى : لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم ولا من النار هربتم ولا من البلاء فررتم ، فماذا تريدون ؟ قالوا إنك سبحانك لتعلم ما نريد ، فقلت لهم إنى أسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم به الجبال الرواسى أتصبرون ؟ قالوا : إذا كنت المبلى فافعل ما شئت .. فهؤلاء عبادى ..

- قيل لعبد الواحد بن زيد ، هاهنا رجل قد تعبد خمسين سنة ، فَقَصَده فقال : حبيبى أخبرنى عنك فهل قنعت به ؟ قال : لا .. فقال : هل أنست به ؟ قال : لا .. فقال : هل رضيت عنه ؟ قال : لا .. قال فإنما أمرك منه الصلاة والصيام ؟ قال : نعم .. فقال : لولا أنى أستحى منك لأحدثك أن معاملتك له خمسين سنة مدخولة !
- من أقوال الصوفى شقيق البلخى : «من لا يعرف الله بالقدرة ، فإنه لا يعرفه» .

قيل له : وكيف يعرفه بالقدرة ؟

فقال : «يعرف أن الله قادر إذا كان معه شىء أن يأخذه منه ويعطيه غيره وإذا لم يكن معه شىء أن يعطيه» .

- مساندة الأصحاب خيرٌ من الشفقة عليهم !

***

- تربص الأوغاد بالعظماء ، ظاهرة قديمة ممتدة من الماضى إلى الحاضر .. رأينا ذلك فى كثير من حوادث الاغتيال ، ورأيناه أيضًا فى المعاكسات

والمناكفات والمضايقات ، وفى التهجم والنكاية والكيد وإطلاق القذائف الباطلة والشائعات الكاذبة .. والاغتيال المعنوى إلى جوار الاغتيال المادى !

فالذى اغتال الفاروق عمر بن الخطاب ، هو أبو لؤلؤة المجوسى .. وكان مجوسيا من الأوغاد .. والذى اغتال الإمام علىّ بن أبى طالب واحدٌ من الخوارج يدعى عبد الرحمن بن ملجم ، والذى اغتال غاندى متطرف شارِد ، وكذلك كثير من حوادث الاغتيال .. ودراسة سير حياة الزعماء والساسة والأدباء والمفكرين والفنانين ، حافلة بكثير من قصص تربص الأوغاد بهم ، والتطاول عليهم ، والكيد لهم ، والنكال بهم ..

- قال بعض العارفين : من كمال رحمة الله تعالى وإحسانه ، أنه لا يؤاخذ من اشتعل غضبه بدعائه على نفسه وأهله وولده ، ولا بطلاقه لزوجته ، فقد زال بالغضب عقله ، ولم يعد يعى أو يقصد ما يقول !
- ليس بأخيك من إذا منعته شيئا طلبه غضب منك !
- لا تؤاخ من إذا غضب منك كذب عليك .
- من طلب أخا بلا عيب صار بلا أخ !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٤٧)

- عمل العاملين لأجل حصول الجزاء أو فرارا من عقوبة الولى مدخول معلول .. ليس من شأن الحاذقين المحققين ، لأن قيام العبد بحق أوصاف مولاه يقتضى أن لا يعمل لأجل حظه من جلب ثواب أو دفع عقاب .. لأن مولاه يستحق عليه كل شيء ، ولا يستحق هو عليه شيئا .. وهذا من أعلى المحبة لله تعالى ، لأن المحب مجتمع الهم بأمر محبوبه .. فعلى العبد أن يعمل لربه ﷻ لأجل جلاله وعظمته ، فإن خالف هذا وعمل على طلب حظه ، لم يقم بحق صفات مولاه . قال سهل بن عبدالله التسترى : «ما طلعت شمس ولا غربت على أحد على وجه الأرض ، إلاّ وهم جُهَّال بالله تعالى ، إلاّ من يؤثر الله تعالى على نفسه وروحه ودنياه وآخرته . وقال أبو مدين : شتان بين من همته الحور والقصور ، وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور !
- قيل للإمام جعفر الصادق : ما بالنا ندعو فلا يُسْتجاب لنا ؟ فقال : لأنكم تدعون من لا تعرفونه .
- تتلذذ النفس الخسيسة المبطلة بالأماني الباطلة والوعود الكاذبة !
- كثيرا ما يجمع القرآن الحكيم بين الخلق والهداية ، فهدى الإنسان إلى خلقه ووجوده ، وهداه إلى السبيل ، فجمع له من مراتب الهداية هداية الإرشاد والبيان ، وهداية التوفيق والإلهام ، وخلق المشيئة المستلزمة للفعل .. وسبحان الحىّ القيوم الذى يقول : ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ .

***

- قيل : ينبغى للعبد ألاّ ينظر إلى صور الأشياء ، ولينظر إلى حقائقها .. فصور الطاعات لا تقتضى وجود القبول ، ووجود صورة الذنب لا تقتضى إلا الإبعاد والطرد !

وقيل : رُبّ ذنبٍ أدخل صاحبه الجنة .

ذلك أن من عمل بالطاعة يعجب بها ويعتمد عليها وقد يتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ، وهو عند وقوعه فى الذنب يصحبه اللجوء إلى الله تعالى والاعتذار إليه واستصغار نفسه وتعظيم من لم يقع فى مثل ذنبه .

- قصر الشيطان بقوم فى حق الأنبياء وورثتهم حتى قتلوهم ، وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم !!
- الجحود إنكار الحق بعد معرفته .
- واجب العالم الفطن أن يحمى علمه من الغفلة والإعراض واتباع الهوى وإيثار الشهوات .

***

- قال أبوحازم : إن العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله من سيئةٍ أضرّ له منها ، وإن العبد ليعمل الحسنة تسوؤه وما خلق الله من حسنةٍ أنفع له منها .

وقال ابن عطاء الله السكندرى :

« معصية أورثت ذلاًّ وافتقارًا خيرٌ من طاعة أورثت عزًّا واستكبارًا !

وقال أبو مدين : «انكسار العاصى خيرٌ من صولة المطيع» !

وكان أبو العباس المرسى كثير الرجاء لعباد الله ، الغالب عليه شهود وسع الرحمة ، وكان تبرم الناس على قدر ريبتهم عند الله ، حتى إنه ربما دخل عليه المطيع فلا يعبأ ، وربما دخل عليه عاصٍ فأكرمه . لأن ذلك الطائع متكبر بعمله ناظر لفعله ، وذلك العاصى دخل عليه بكثرة معاصيه وذل مخالفته !

- قال بعض السلف : ما أمر الله تعالى بأمرٍ إلاَّ وللشيطان فيه نزغتان : إما إلى تفريط وتقصير ، وإما إلى مجاوزة وغلوّ . ولا يبالى بأيهما ظفر !!
- قصر الشيطان بقوم حتى منعهم من الاشتغال بالعلم الذى ينفعهم ، وتجاوز بآخرين حتى جعلوا العلم وحده هو غايتهم دون العمل به !
- قلوب أهل الحق طائرة إليه بأجنحة المعرفة ، ومستبشرة إليه بموالاة المحبة .. وليس من احتجب بالخلق عن الحق ، كمن احتجب بالحق عن الخلق ..

قال تعالى لنبيه المصطفى : ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ . [الأنعام] .

***

استحضر انتباهى آية فى القرآن الكريم تنذر المنكرين والكفار والمعاندين ، بقول الحق جل علاه: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم] .

شخصية المسئولية ملمح قرآنى بالغ الحكمة ، فالإنسان مسئول فى شريعته عما يفعل وعما يدع، يثاب وينجو بعمله لا بوساطة ولا بشفاعة الكهان أو الأحبار والرهبان .. يأتى إلى ربه فردًا لا نصير له من مال أو جاه أو منصب أو عزوة أو قبيلة أو حزب ، مصيره معلق بسجله وفعله ، يأتى منسلخا من كل ما انتصر به أو تجبر أو اعتز أو اغتر فى دنياه .. طائره فى عنقه لا فى عنق سواه ، عبد فرد خاضع ذليل إلى ربه ، لم يخرج من الدنيا برصيد البنوك أو تلال الثروة أو سجلات المجد والفخار ، أو صفحات التجبر والطغيان ، أو أضغاث الأوهام .. لا يحمل إلاّ كتابه بيمينه أو بشماله ، فيما وصفه القرآن المجيد وصفا بليغا يحمل بيانه لمن يعتبر.

- روي أن أحد المريدين للصوفى حاتم الأصم ، أرسل إليه أحد الأيام شيئًا فقبله ولم يرده ، فسُئل : «لما قبلته ؟! » . قال : «رأيت في أخذه ذل نفسي وعِزَّه ، وفي عدم قبوله رأيت عِزَّ نفسي وذُلَّه ، فأخترت عِزَّه على ذلّ نفسي » .
- قال بعض العارفين : «حُب الفقراء شديد .. لا يصبر عليه إلاَّ صِدِّيق » .
- أصل الزهد الرضا عن الله تعالى .

***

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٤٨)

- القرآن الحكيم هو الذى علمنا تقديس الروح الإنسانية .. فى المسلم وفى غير المسلم .. فالكرامة وقداسة الروح هى لكل بنى الإنسان .. ففى القرآن المجيد : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء] .. سبحانه وتعالى هو الذى ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن] .. سبحانه خلق الإنسان فسواه وعدله ، وهو سبحانه القائل : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم] .. ويقول جل شأنه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠] .. هذه الأرواح خلقها الله ، وأمْرها له سبحانه وتعالى ، وروح الواحد هى روح الناس جميعا ، وفى القرآن الحكيم يقول رب العزة : ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] ، فهذه الحياة هبة ربانية مقدسة ، لكل إنسان بل وفى الحيوان ..
- سئل الشبلى الإمام الصوفى عن قوله تعالى : ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] .
- فقال : ادعونى بلا غفلة أستجب لكم بلا مهلةٍ .
- قيل للشعبى : أيها العالم ، فقاطع محدثه فقال : لسنا بعلماء ، إنما العالم من

يخشى الله . وقال ابن مسعود ﷺ : كفى بخشية الله علما ، وبالاغترار بالله جهلًا !

- قال بعض العارفين : التوبة من أحب الطاعات إلى الله ﷻ . فإن الله سبحانه عفو يحب العفو .

***

- من أميز ما فى الإسلام ،أن جميع المبادئ والأحكام التى قررها تصب فى آليات تحقيق الأمن والأمان المجتمعى التى يحرص عليها الإسلام ، لأمان الإنسان كل إنسان على روحه ونفسه وعرضه وماله ، فهذا الأمان هو مهجة وعمود وغاية كل المبادئ والقواعد والأحكام الإسلامية .. وليس أجزى للإنسان ، وأمان مجتمعه ، من دين يطوى الناس جميعا فى أسرة إنسانية واحدة ينعم فيها الكل بالأمان ، ولا تفاضل فيما بين أفرادها إلاّ بالتقوى والعمل الصالح .. وصدق تبارك وتعالى إذ قال فى كتابه المبين : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ [الحجرات] .

- قال الصوفية : الفقراء ثلاثة :

فقير لا يسأل ، وإن أُعطى لا يأخذ ، فذاك من الروحانيين .. إذا سأل الله أعطاه ، وإن أقسم على الله أبر قسمه ..

وفقير لايسأل ، وإن أعطى قبل .. فذاك من أوسط القوم ، عقده التوكل والسكون إلى الله تعالى .

وفقير اعتقد الصبر وموافقة للوقف ، فإذا اضطرته الحاجة خرج إلى عبيد الله ، وقلبه إلى الله بالسؤال ، فكفارة مسألته : صدقه فى السؤال .

- قال بعض السلف : ما أمر الله تعالى بأمرٍ إلاّ وللشيطان فيه نزغتان : إما إلى تفريط وتقصير ، وإما إلى مجاوزة وغلوّ . ولا يبالى بأيهما ظفر !!

قصر الشيطان بقوم حتى عادوا أهل بيت رسول الله ﷺ ، وقاتلوهم ، واستحلوا حرماتهم .. وتجاوز بقومٍ حتى ادعوا فيهم خصائص النبوة : من العصمة وغيرها !!

- من أقوال الصوفية : الأدب حلية الأحرار .
ولكل شيء خادم ، وخادم الدين الأدب .

***

- قال ابن عطاء الله : «أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك» .

وقال : «ما حجبك عن الله وجود موجود معه ، ولكن حجبك عنه توهم موجودٍ معه» ..

وقال : «لولا ظهوره فى المكونات ، ما وقع عليه وجود أبصار ، ولو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته» ..

وقال : «أظهر كل شيءٍ لأنه الباطن ، وطوى كل شيءٍ لأنه الظاهر» .

فاسم الظاهر يقتضي بطون كل شيءٍ حتى لا ظاهر معه فينطوى حينئذ وجود كل شيء .

واسم الباطن يقتضي ظهور كل شيء حتى لا باطن معه ، فيظهر إذ ذاك وجود كل شيء بالحق تعالى الموجود بكل اعتبار .

« الأكوان ثابتة بإثباته ، ممحوة بأحدية ذاته» .

- قال بعض السلف : ما أمر الله تعالى بأمرٍ إلاَّ وللشيطان فيه نزغتان : إما إلى تفريط وتقصير ، وإما إلى مجاوزة وغلوّ . ولا يبالى بأيهما ظفر !!
- قصر الشيطان بقوم حتى منعهم من قبول أقوال أهل العلم بالكلية ، وتجاوز بآخرين حتى جعلوا الحلال ما حللوه والحرام ما حرموه !!

- طريق الحق بعيد ، والصبر مع الحق شديد .
- جِمَاعُ المعرفة ، صدق الافتقار إلى الله تعالى .
- إذا صح الافتقار إلى الله ﷻ ، فقد صح الاستغناء بالله تعالى ، وإذا صح الاستغناء بالله كمل الغنى به .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٤٩)

- ما من إنسان إلاّ ويخشى الموت ، ويخاف لحظة النهاية ، ويعمل لها ألف حساب .. إن شغلته الدنيا وحظوظها أو همومها عن الموت ، لفته إليه رحيل الأحباب ، أو ذكّرته به صفحة الوفيات ، فإن هرب منها استدعاه الخطاب الدينى بما يحمله من نذير إلى جوار البشارة .. فإن رزق نعمة العقل والتأمل ، وجد الموت رفيقًا حاضرًا يعظه بما تعجز عنه الكتب والحادثات .. شخصيا صدمنى الموت برحيل الأحباب .. الأب والأم والأخ والأخت .. والعم والخال .. وأولاد العمومة والخؤولة .. فضلا عن قطار الأصدقاء الذى يتوالى بين فترة وأخرى فراق واحدٍ منه ، إن لم يكن بالموت ، فربما بالجحود أو النكران أو الخيانة .. وهى أنواع من الفراق يغدو الموت أرفق بنا منها ، لأنه على الأقل لا يحرمنا من أنس الذكرى ويحفظ لنا صفحات الذكريات معطرة بما تخللها من أريج المحبة والإخلاص والوفاء ..
- قال بعض السلف : ما أمر الله تعالى بأمرٍ إلاّ وللشيطان فيه نزغتان : إما إلى تفريط وتقصير ، وإما إلى مجاوزة وغلوّ . ولا يبالى بأيهما ظفر !!

قصر الشيطان بقوم حتى نفوا الأسباب والقوى والطبائع والغرائز ، وتجاوز بآخرين حتى جعلوها أمرًا لازما لا يمكن تغييره أو تبديله ، وربما جعلها بعضهم مستقلة بالتأثير !!

- قال بعض العارفين : «لا يغرنك صفاء العبودية ، فإن فيه نسيان الربوبية» !

• سئل الشبلى الإمام الصوفى عن أرجى آية فى القرآن تعطى الأمل والرجاء ، فقال :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨] .

***

• تنتمى الإنسانية إلى نفس واحدة خلقها الله تعالى وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. وفى خطاب موجه إلى الناس كافة ، لا إلى أبناء دين بعينه ، يقول القرآن المجيد :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء] ، ويقول ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [الأنعام: ٩٨] ، ويقول : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩] .

• قال بعض السلف : ما أمر الله تعالى بأمرٍ إلاَّ وللشيطان فيه نزغتان : إما إلى تفريط وتقصير ، وإما إلى مجاوزة وغلوّ . ولا يبالى بأيهما ظفر !!

قال الصوفى سرىّ السقطى : من ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم ، فهو غالط !

وقال أبو بكر الدقاق : من ضيع حدود الأمر والنهى فى الظاهر ، حُرِم مشاهدة القلب فى الباطن !

• قال الشبلى الإمام الصوفى : «إن الصوفى حقًّا هو من لا تكون فيه بقية من نفسه ، لأنه محا نفسه فى محبة الله ، فأصبح يؤثر الله تعالى على كل شىء ..

• قال الجُنيد : يا معشر الفقراء إنكم تعرفون بالله ، وتكرمون بالله ، فانظروا كيف تكونون مع الله إذا خلوتم به ؟

***

- الدين محبة .. والدين الذى أعنيه ، هو كل دين ، إسلاما كان أو مسيحية أو يهودية .. لم تتنزل الأديان لبذر العداوة أو الكراهية أو الشقاق بين الناس .. الأديان دعوة ربانية للإخاء والمحبة ، والإخلاص والود والوفاء والرحمة .. فالإنسانية أسرة واحدة ، تنتمى إلى جذور واحدة ، وإلى أصل واحد .. وتدين كلها مهما اختلفت أديانها إلى رب واحد هو رب العالمين ..
- قال الفُضيل بن عِياض : حقيقة المحبة إيثار المحبوب على الكونين فى القرب والبعد .

  وقال : فى آخر الزمان أقوام يكونون إخوان العلانية أعداء السريرة !!
- قال بعض السلف : ما أمر الله تعالى بأمرٍ إلاَّ وللشيطان فيه نزغتان : إما إلى تفريط وتقصير ، وإما إلى مجاوزة وغلوّ . ولا يبالى بأيهما ظفر !!

قال بعض العارفين : أهل الاستقامة من سلكوا على الجادة، ولم يلتفتوا إلى شىءٍ من الخواطر والهواجس والإلهامات .. حتى يقوم عليها شاهدان من الكتاب والسنة .

- قال بعض العارفين : التهاون بالأمر ، من قلة المعرفة بالآمر .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٥٠)

• المحبة هى الجسر الذى يؤلف بين القلوب ، ويفشى السلام ، ويطهر النفوس من أدران الحقد وأسباب البغضاء والعداوة .. لا إيمان بلا محبة ، ولا محبة بلا تآلف ومودة .. وفى حديث رسول القرآن عليه السلام : «لا تؤمنوا حتى تحابوا .. ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ ، أفشوا السلام بينكم » ..

وفى الحديث الشريف : «إن من عباد الله أناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانتهم من الله تعالى . قالوا : يا رسول الله ، تخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها . فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور .. لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس » .. لذلك كان المؤمن آلفا ومألوفا ، ولا خير فيمن لا يَألف ولا يُؤْلف . وقيل أيضا : «ما دخل الرفق فى شىء إلاّ زانه ، وما خرج من شىء إلاّ شانه : «إن الله سبحانه وتعالى رفيق يحب الرفق فى الأمر كله » ..

• لم تنزل الأديان السماوية لبث العداوة والكراهية ، وإنما لإيمان وهداية الناس .. والإيمان معرفة بالله وثقة به ويقين فيه سبحانه ، ومحبة وعطاء ومنفعة للناس .. لا يوجد فى الأديان أسباب ولا حض أو تحريض على الكراهية والعداء .. فالمصالح والأهواء والمآرب والعداوات صناعة آدمية ، وليست ولا يمكن أن تكون دعوة إلهية ..

- رب مؤمن لا يملك شيئا ، ولا يملكه شيءٌ .
- قال بعض الصوفية : الفقر شعار الأولياء ، وحلية الأصفياء ، واختيار الحق سبحانه لخواصه من الأتقياء والأنبياء .

***

- قال الحارث المحاسبى : إنما أراد الله من عباده قلوبهم تكون جوارحهم تبعا لقلوبهم ، فإذا تكبر العالم أو العابد وأنف ، وتواضع الجاهل أو العاصى وذَلَّ هيبةً ، فهو أطوع لله من العابد أو العالم .

قال أبو طالب المكى : ومن أفضل ما غذانا به الله نعمة الإيمان . فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا فى الذنوب ، ولو قلب قلوبنا فى الشك والضلال ما يقلب نياتنا فى الأعمال ، فأى شيءٍ كنا نصنع ، وعلى أى شيءٍ كنا نعول ، وبأى شيءٍ كنا نطمئن ونرجو ؟!

فالعبد مضطر إلى الله أبدًا ، ولا يزايل العبد هذا الاضطرار لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولو دخل الجنة فهو محتاج إلى الله فيها .

وهذا هو حكم الحقائق ، إذ لا يختلف حكمها لا فى الغيب ولا فى الشهادة ، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .. فالعلم صفته الكشف ، أى علم كان فى أى وقت كان ، والإرادة صفتها التخصيص ، أى إرادة كانت فى أى وقت كان ، ومن اتسعت أنواره لم يتوقف اضطراره .

ولما لم تصل عقول العوام إلى ما تعطيه حقائق وجوداتهم سلط الحق الأسباب المثيرة للاضطرار ليُعْرف قهر ربوبيته وعظمة إلهيته .

- روى بإسناده عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إن المسكين ليس بالطوّاف الذى ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان**» فقيل : من المسكين يا رسول الله ؟ . قال : «**الذى لا يجد ما يغنيه ويستحى أن يسأل الناس ولا**

يُفطن له فيُتصدَّق عليه » .

قال بعض العارفين : معنى قوله يستحى أن يسأل الناس ، أى يستحى من الله تعالى أن يسأل غيره .

- من أقوال الفُضيل بن عياض : لم يدرك عندنا من أدرك ، بكثرة صيام ولا صلاة ، وإنما أدرك بسخاء الأنفس ، وسلامة الصدور ، والنصح للأمة .

***

- قال الشيخ أبوعلى الدقاق : «من سكتت عنه هواجس نفسه بصدق مجاهدته ، نطق بيان قلبه بحكم مجاهدته » . وقال : «من زين ظاهره بالمجاهدة ، حَسَّن الله سرائره بالمشاهدة » .

قال الواسطى : استحلاء الطاعات سموم قاتلة ، وقال ابن عطاء الله فى «لطائف المنن» : صدق الواسطى ، فأقل ما فى ذلك أنه إذا فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير قائما فيها متطلبا لحلاوتها فيفوتك صدق الإخلاص فى سهوٍ منك ، وقد تحب دوامها لا قياما بالوفاء ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة ، فتكون فى الظاهر قائما لله ، وفى الباطن إنما قمت لحظ نفسك ، ويُخْشى أن تكون حلاوة الطاعة جزاء التعجل فى الدنيا فتأتى يوم القيامة ولا جزاء لك .

- قال بعضِ العارفين : الفقراء صفوة الله ﷻ من عباده ، ومواضع أسراره بين خلقه ، بهم يصون الحقُّ الخلق ، وببركاتهم يبسط عليهم الرزق .

وقيل : الفقراء الصُّبر : جلساء الله تعالى يوم القيامة ، وبذلك ورد الخبر عن النبى ﷺ قال : «لكل شىءٍ مفتاح ، ومفتاح الجنة : حب المساكين ، والفقراء الصُّبر : هم جلساء الله تعالى يوم القيامة » .

- قال بعض العارفين : من أراد أن يُلقن الحكمة فلا يعصى الله .

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٥١)

- من المدهش أننا نتفرج ونشاهد ونتابع الجنوح الضارب في كل شيء .. ولا يرمش لنا جفن ، ولا يتحرك لنا ضمير !! هذه المصيبة عار علينا جميعًا .. حكاما ومحكومين .. لا يجوز لأحد أن يتنصل من جريرتها لمجرد أنه ليس فاعلًا أو مشاركا فيها ، أو ليس ضمن المسئولين عن ملاحقتها .. إننا جميعا شركاء .. ليس فقط بالصمت ، وإنما أيضا بالإسهام الذى يمسك بتلابيبنا دون أن ندرى .. فمسئولية الجنوح الضارب فى كل اتجاه ، شائعة بين الأسر والأحياء والخرابات والمدارس والمعاهد والورش والمصانع ، ويتحمل أوزارهـا قطاعات التعليم والإعلام والثقافة والاجتماع والدعاة ورجال الدين ، والمسئولون عن إفقار مصر وشعبها .. فقد تعانق الجهل مع الفقر فى معادلة مخيفة طفقت تعصف بكل القيم .. السكوت على هذه المظاهر المتفشية ، حماقة وقصر نظر .. ما نراه يدق نواقيس خطر داهم لا نرى سوى نذره ، والأدهى لا يزال قادما فى الطريق من وراء الأفق .. فهل انتبهنا إلى ما نحن فيه ، وداركناه بالتشخيص والعلاج ؟!
- قال ابن عطاء الله السكندرى : «قُطع السائرون له الواصلون إليه ، عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم . أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله ، وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها».

«السائرون قطعهم عن ذلك عدم تحققهم بالصدق والبراءة فى الدعوى ،

فهم أبدًا متهمون لأنفسهم فى توفية أعمالهم وتصفية أحوالهم . والواصلون قطعهم شهودهم له فى حضرة قربه .. ومن شاهده لم يشهد معه غيره ، إذ محال أن يراه ويشهد معه سواه !

- قال بعض العارفين : إذا قصر العبد فى الطاعة ، سلبه الله ما يؤنسه ومن يؤنسه .

***

- عجيب حال الإنسان فى عناده وتجبره وإعجابه بذاته وتيهه بنفسه وظنه فى قدراته .. وكم عَبَدَ ويعبد الناس أوثان المال والجاه والسلطان ، وظنوا ويظنون أنهم بمنأى عن تقلبات الأيام وبمنأى عن عذاب الله .. فى مثل هؤلاء قال جل شأنه : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت] .. سبحانه وتعالى : ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [العنكبوت] .

- قال بعض العارفين : إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشىء كفرحهم بثلاثة أشياء :

  رجل مؤمن قتل مؤمنا ..

  ورجل يموت على الكفر ..

  وقلب فيه خوف من الفقر ..

- قيل لأحد العارفين : من الغنى ؟. قال : من لم ير نفسه .
- العداوات صناعة آدمية ، أما الأديان والمدونات المقدسة فتفيض بعطر المحبة والإخاء .

***

- حين تلم النوازل وتجتمع الآلام ، من غدر وخيانة وجحود ونكران الأصدقاء ، كثيرًا ما يأتيني بغير استدعاء هتاف صامت منبه لهذه الآية الكريمة : ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] ..الصادق الأمين النزيه الكريم ممتحن فى هذه النوازل فى شيمه وسجاياه ، وفى احتسابه وصبره ، ولكنه فى رحلة معاناته لا ينقطع رجاؤه فى كفكفة الزمن وتطبيب الأيام وعناية الله التى تحيطه وترعاه . بينما الغادر الخائن لا يتذرع بصبر لأنه لا شىء يصبر عليه ، ولا يأمل فى رجاء ، فقد فعل ما أراد !
- لا فلاح لمن انزرع فيه حب الرياسة !!
- قيل في معنى الآية الكريمة : ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ .. أننا ننزه الله تعالى عما لا يليق به ، وننزهه عن السوء فلا ننسبه إليه .. ولهذا قرن التقديس بالحمد بقولهم : ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾.. فإن التسبيح تنزيه الله تعالى والثناء عليه والحمد والشكر له .

وقيل عن معنى الآية : ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس] .. أنه يسبح كل من أثنى على الله ونزهه عن السوء .. ويقال : سبح الله وسبح له ، وقدسه وقدس له . ووصفه سبحانه وتعالى بالسلام ، فإنه الذي سلم من العيوب والنقائص .. سبحانه ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء .

- سئل أحد الحكماء من الزمن الأول : ما الغنى ؟ قال : الأمن بالله تعالى .
- معرفة الله توجب على العارف أن يعرف بقلبه أنه لا معطى غيره ، ولا مانع غيره ، ولا نافع غيره ، ولا ضار غيره .

***

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٥٢)

- إذا كان الغدر وكانت الخيانة والجحود والنكران ليست من السواء ، إلاَّ أنه عزيز على الجانح أن يعترف على نفسه بهذا الانحراف ، فيختلق لجنوحها المعاذير والأسباب والتعلاّت ويدفع نفسه لتصديقها حتى يبعد شبح ما قارفه ، ويطمئن إلى ما هو فيه ، ويعطى ظهره لهاتف الأخلاق ونداء الضمير ، ويهضم ما هو فيه من قبح ودمامة الغدر والخيانة ، ويستسيغ القبح ويستطعمه ، ويعود فيفرزه !
- لا يكون العبد عاملًا على معنى العبودية ، حتى تكون إرادته وأمنيته وشهوته تابعة لمحبة الله .
- من نعم الله على عباده ، أنه سبحانه قد هدى الناس هداية عامة بما أودعه فيهم من المعرفة ومكنهم من أسبابها ، وبما أنزل إليهم من الكتب وأرسل إليهم من الأنبياء والرسل ، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمونه ، ففي كل نفس ما يقتضي معرفتها بالحق ومحبتها له .
- سئل الصوفى يحيى بن معاذ : ما الفقر ؟ قال : خوف الفقر !
- من علامة الإخلاص ألاّ تجتمع فى الآدمى خصلتان : الطمع والثناء .

***

- حتى الندم ، هو الآخر نقطة فارقة ، لا يعرفها الغارق فى بئر الغدر والخيانة ، فهو فى سعيه لإساغة ما هو فيه ، يقاوم بالتبرير الكاذب ! الإقرار بالخطأ ، ويصادر الشعور بالندم ، مع أنه هو الذى يمسح جراح

الخطيئة ، ويعيد النفس الجانحة إلى رشدها ، ويردها إلى الحق الذى هجرته وأنكرته ، فتغدو من ثم حالته حالة مستعصية لا شفاء منها !

- من ضعف اليقين ، أن يهتم الآدمى بما يرضى الناس لا بما يرضى الله .. وأن يحمد الناس على ما أصابه من رزق ، ويذمهم على ما لم يأته .. فالرازق هو الله .. وهو سبحانه وتعالى قد جعل الفرح فى اليقين والرضا ، وجعل الهمّ والحزن فى الشك والسخط .
- من نعم الله على عباده ، أنه خلق الإنسان مريدًا ، وجعله على خلقةٍ يريد بها ، وأن يختار بعقله ما يريده .
- من أفضل المقامات ، اعتياد الصبر على المكاره .

***

- قال أبو طالب المكى : روينا عن رابعة العدوية ، وكانت من المحبين وكان سفيان الثورى يجلس بين يديها ويقول : علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة ، وكانت تقول له : «نعم الرجل أنت لولا أنك تحب الدنيا» ، وكان يعترف لها ويسلم بقولها ، وكان عالما زاهدًا إلاَّ أنه كان يؤثر الحديث والإقبال على الناس وهى أبواب الدنيا . وقال لها الثورى : لكل عبد شريطة ولكل إيمان حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ فقالت : ما عبدت الله خوفًا من النار فأكون كعبد السوء إن خاف عمل ، ولا حبا فى الجنة فأكون كالأجير السوء إن أُعْطِىَ عمل ، ولكن عبدته حباَ له وشوقا إليه .
- قال بعض العارفين : إنما يهلك الله تعالى من أهانوا الفقراء وأذلوهم !
- ربما كان مآل العاصى ، خيرًا من مآل المدعى .. فربما طلب العاصى طريق التوبة ، وغرق المدعى وتخبط فى حبال دعواه !!

***

- يقال فى الأمثال العامية : «يا بخت من بات مظلوم ولا بات ظالم» !! ظنى أن هذا التعبير هو استلهام بالسليقة والفطرة البسيطة للآية القرآنية الكريمة : ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].. وهو استلهام ينطوى بالفطرة على رؤية صادقة لواقع الحياة الذى يعطى الرجاء ولا يقطع الأمل فى انبلاج الصبح ووأد الباطل ودمغ الخطيئة بما تستحقه !
- قيل فى معنى : «الله أكبر» .. إنه سبحانه أكبر من أن يقاس بالناس ، أو يدخل تحت القياس ، أو تدركه الحواس .
- قد تكون إرادة الفعل غير إرادة إحداث النتيجة ، يجري ذلك حينما تقع النتائج على خلاف ما قصدته أو أهملته الأفعال !
- إظهار الغنى فى الفقر ، أكرم من إظهار الفقر فى الغنى !!
- من علامات صدق الإيمان ثلاث خصال :

الثقة بالله فى كل شىء .

والغنى به عن كل شىء .

والرجوع إليه فى كل شىء .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٥٣)

- لا يوجد فى الدنيا بكل مغرياتها ما يقابل قيمة تصالح الإنسان مع نفسه .. لقد قال المسيح عليه السلام : «لن تربح شيئًا إذا كسبت كل شيء وخسرت نفسك » .. احترام النفس قيمة لا تعادلها كل المغانم ، ولا يعوضها انطلاء حيل الخديعة على الناس ، فكل إنسان أدرى بنفسه ، لذلك قال العقاد : «إننى أحرص على احترامى لنفسى قبل أن أحرص على احترام الناس لى » .. هذه مقولة بالغة الحكمة ، لأن الناس قد تنخدع عن الواقع فينطلى عليها الكذب أو تتوهم الصدق والنظافة ، بينما الواقع غير ما توهمته أو انطلى عليها .. هذا الواقع هو الغناء الحقيقى الذى جعل العقاد يقول : «قيمتك فى نفسك » .. ولأن يقول فى إحدى أثيراته : إذا أحبك الناس مخدوعين فلا تفرح ، وإذا كرهك الناس مخدوعين فلا تحزن ، بعض الكراهات خير لك من بعض المحبات !!!
- ليس صحيحًا أن كل إرادة من الآدمي تفتقر إلى مشيئة خاصة من الله توجب حدوثها . بل يكفي في ذلك المشيئة العامة لجعله مريدًا ، فإن الإرادة هي حركة النفس ، والله سبحانه قد شاء أن تكون متحركة ، إلاَّ من اضطر غير باغ ولا عاد ، فلا إثم عليه .
- لا دين ولا خلق لمن تواضع لغنى من أجل غناه !
- من عرف الله ، زهد فى كل شىء يشغله عنه .

***

- تعاقب المادة ١٠٧ مكررا عقوبات ، الراشى والوسيط فى الرشوة ، بالعقوبة المقررة للمرتشى ، ولكنها تعفيه من العقوبة رغم إدانته ! إذا أخبر السلطات بالجريمة أو اعترف بها !

ومع أن هدف المادة محاصرة الرشوة ، بتتبع المرتشين ، إلا أنها من حيث لم تقصد فتحت أبوابا مخيفة لاعترافات كاذبة طلبًا للنجاة من أثقال ومخاطر التحقيق والاتهام والمحاكمة .. فنجاة البرىء غير مضمونة فى جميع الأحوال !

هذا الحكم الذى جاءت به المادة ، ينقل الراشى والوسيط من موقف الاتهام إلى موقف الشهادة على غيره ، وهى شهادة تعارض المنظومة الإلهية والتشريعية التى احتاطت للعدالة من جنوح الشهادة وزور الشهود !!

- كيف قتلوا رجلا تستحى منه الملائكة .. ألم يغط النبى عليه السلام فخذه لدى دخول عثمان بن عفان ، فسئل وكان عنده أبو بكر وعمر ، فقال : «ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة» ؟!
- من لم تصحبه التقوى فى فقره أو همّه أو حاجته وقع فى وهدة الحرام !
- قال بعض العارفين : من فَضَّل صحبة الأغنياء على صحبة الفقراء ، ابتلى بموت القلب !

***

- للمتصوفة لغتهم ورموزهم الخاصة ، وهكذا مناجاتهم وما يبثونه فيها من معان .. فى أحد فصول " الفوائد " لابن القيم الجوزية ، يقول : طوبى لمن أنصف ربه فأقر له (على نفسه) بالجهل فى علمه والآفات فى عمله والعيوب فى نفسه والتفريط فى حقه والظلم فى معاملته . فإن آخذه سبحانه بذنوبه رأى عدله ، وإن لم يؤاخذه بها رأى فضله ، وإن عمل حسنةً رآها من منته وصدقته عليه ، فإن قبلها فمنّة وصدقة ثانية ، وإن

ردها سبحانه فلكون مثلها لا يصلح أن يواجه به : وإن عمل سيئة رآها من تخليه عنه وخذلانه له وإمساك عصمته عنه .. وذلك من عدله فيه .. فيرى فى ذلك فقره إلى ربه وظلمه فى نفسه ..فإن غفرها له عزّ وجل فبمحض إحسانه وجود كرمه .

- قيل فى المختالين بأنفسهم وأعمالهم : إن أعمالهم كالسراب ، وقلوبهم من التقوى خراب !
- من نعم الله على عباده ، أنه خلقهم في أصل النشأة على الفطرة السليمة .
- رب محتاج العطاء منه أحب إليه من الأخذ من أيادى الناس !

***

- روى الصوفى أحمد بن أبى الحوارى أنه دخل يوما على أبى سليمان الدارانى فوجده يبكى ، فسأله : ما يبكيك ؟! قال الدارانى : ولم لا أبكى ، وإذا جنَّ الليل ، ونامت العيون ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وافترش أهل المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم ، وتقطرت فى محاربهم ، وأشرف الجليل سبحانه وتعالى ، فنادى : يا جبريل ، بعينى من تلذَّذ بكلامى واستراح إلى ذكرى ، وإنى لمطلع عليهم فى خلواتهم .. أسمع أنينهم .. وأرى بكاءهم . فلم لا تنادى يا جبريل : ما هذا البكاء ؟! هل رأيتم حبيبًا يعذب أحباءه ؟
- من أقوال الصوفية : ترك الأدب موجب يوجب الطرد .. فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب .. ومن أساء الأدب على الباب رد إلى خدمة الدواب .
- طوبى لمن لا يملك شيئا ، ولا يملكه شيء .
- قال بعض الصوفية : أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٥٤)

- كثيرا ما شبهت الحياة بأنها حلم يقظان ، ولكن قدرًا يسيرا منها هو الذى يتسم بالوضوح ، وكذلك الجزء الأكبر من التجربة لدى غالبية الناس ، قد تكون مشوشة غير متناسقة وفظيعة أحيانا ، ولكن التعرض لهذه المثيرات هو الذى يحفز على الشعور والفكر . وهنا يكون المحفز : كيف يتم التحول أو الانتقال من الدوافع اللا إرادية إلى الاستجابات غير الخاضعة لضابط أو رابط ؟ كيف يعيد الفنان تشكيل التجربة وتحويلها إلى شيء وادع حاد ، مستأنس ومستغرب فى نفس الوقت ؟ وما الدور الذى تلعبه الفنون فى تجربتنا وما الذى يضفى عليها ما فيها من إغراء وبهجة ؟
- قال أحد الحكماء : إذا رأيت من يُعنى بظاهره ، فاعلم أن باطنه خواء !
- إذا فنى العبد عن وجوده ، وصل إلى الله تعالى .
- أرض الفطرة رحبة قابلة لما يُغرس فيها ، فإن غُرست شجرة الإيمان والتقوى أورثت حلاوة الأبد . وإن غُرست شجرة الجهل والهوى فكل الثمر مر !!

***

- من أهم وظائف الفنان أن يجعل التجربة أخّاذة بأن يمنحها الحياة . الفنان سواء أكان شاعرًا أم رسامًا أم مثالًا أم مهندسا معماريا يتناول الأشعار كما يتناول الشاعر والقصاص الأحداث على نحو يجبر العين

على التوقف ونشدان المتعة فى الرؤية ، كما يجبر الآذان على الاستماع ، والعقل على لذة الاكتشاف لذاته دون سعى إلى نفع . عندئذ لا يصبح المقعد مجرد إشارة لراغب فى الجلوس أو الوجه المعبر مجرد شىء يغرى ، بل يصبح هذا أو ذاك بؤرة لون وشكل يتخذ فى الرسم مغزى تصويريا ، أو يصبح الوجه شيئا يستحق النظر إليه من حيث كونه قد صار ذا أهمية تصويرية يرضى ويثير فى آن واحد .

- من لا أدب له ، لا شريعة له !
- قال أحد العارفين : ما حسدت على شىءٍ إلاَّ على معرفة العارفين ، لا معرفة التصديق .
- المحبون إذا خربت منازل أحبائهم قالوا سقيا لسكانها : وكذلك المحب إذا أتت عليه الأعوام تحت التراب ذكر حينئذ حسن طاعته له فى الدنيا وتودده إليه وتجدد رحمته وسقياه لمن كان ساكنا فى تلك الأجسام البالية .

***

- توجد آلاف الأسباب التى تدعو الفنان ومحب الجمال للهروب إلى الفنون الجميلة ، وقد لوحظ أن الفنانين كثيرا ما يعجزون عن مواجهة مطالب الحياة المادية التى تبدو لهم مشاكلها كيلة أو محيرة ، بينما عقولهم مدربة على التكيف مع دائرة واحدة جمينة بقدر ماهى صغيرة . ومع ذلك لا يجب أن نشعر بالدهشة حين نرى الفنان غير خبير بأمور الدنيا وشواغلها ، وينظر إليها فى بعض الأحيان على أن شواغلها حماقة وجنون . فماذا فى وسع عقل معدنه ثمين ، صعب الإرضاء ، أن يفعل إزاء ما فى الأحداث أحيانا من سماجة وغلظة ؟ وماذا تصنع روح الفنان التى ترى التنافر شرا فى منابذات السياسة والأخلاق ؟

- من آداب العارفين بالله : الأدب فى طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت ، وقلة الالتفات إلى الخواطر ، وحسن الأدب فى مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب.
- كن صادقا حتى يحصل لك الفلاح !
- إذا علقت جذور المعرفة فى أرض القلب ، نبتت فيه شجرة المحبة ، فإذا تمكنت وقويت أثمرت الطاعة ، فلا تزال الشجرة تؤتى أُكلها كل حين بإذن ربها .

***

- تعلقنا بحياتنا ليس تعلقا بشيءٍ نملكه .. لأننا لا نملكها بل هى التى تملكنا .. وهذا الواقع يخفى عنا أغلب الأحيان دوام اشتغال الوعى بنصيب كل منا من المتاح أو المرجو أو المأمول كأحياء موجودين .. وقد نظن بعض الوقت أنها ضمن ما تملكه (الأنا) لكل منا . والحال أن الحياة هى التى أوجدت (الأنا) وأنها هى التى أوجدت وعينا ولا وعينا وسائر أجهزتنا النفسية والفسيولوجية والاجتماعية .. وهى بداية كل شيء ونهايته بالنسبة للآدمى الذى يفقد كل ما عنده أو معه بها فى ذلك ذاته إذا فقدها ، ويصبح لديه إذا عاش كل شيء يتخيله ممكنا .. على الأقل فى أحلامه وخياله .. لأن خيالنا وأحلامنا ليست إلا امتدادًا لوعينا الحى وتعبيرا من التعابير التى ليس لها حصر على أننا أحياء .
- قال ذو النون المصرى : أدب العارف فوق كل أدب ، لأن معرفته مؤدبة لقلبه .
- قال بعض العارفين : للفقر حرمة ، وهى ستره وإخفاؤه والغَيْرَةُ عليه ، ومن كشفه وأظهره للناس ، فليس بفقير ، وليست له كرامة !

- من أقوال ذى النون المصرى : إذا خرج المريد عن استعمال الأدب ، فإنه يرجع من حيث جاء.
- لا يستطيع أن يرحل إلى الله ، من كبَّل نفسه بالشهوات !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٥٥)

- امتهان البشر لحياتهم أكثر شيوعا بينهم من استعجالهم حتى إنسانيتهم .. وذلك يؤدى حتما إلى تقصير أعمارهم وإضعاف أبدانهم وكفاياتهم وإفساد اتجاهاتهم وعاداتهم وتشويه طبيعتهم وفطرتهم بتسليط الكحول أو المخدر عليهم ، أو بالمجون واللهو والسهر والإفراط فى الشهوات ، وعدم المبالاة بمطالب الصحة البدنية والعقلية والنفسية ، وينصرفون بإصرار إلى طراز من العيش المتمرد الجارف المتحدى المنساق باستمرار إلى المبالغة والإجهاد والزراية واجتذاب غير المتزنين والمندفعين والشواذ إلى محاكاتهم على قدر ما تسمح لهم به ظروف ومحيط أولئك المقلدين .. ولم تنجح العقائد فى مكافحة امتهان البشر للحياة ، بل نجحت فقط وإلى حدود فى ستره وتشجيع الآدميين على التظاهر بالاعتدال والاستقامة مع غض البصر عن فساد حقيقتهم والتواء سلوكهم وإتيانهم ما يأتون من المنكرات والموبقات فى غيرعلانية!
- أجمل الأسفار أسفار القلب ، فسفره ارتقاء من صفة إلى صفة ، أما أسفار البدن ، فهي محض انتقال من بقعة إلى أخرى .
- قد يستطيع مسافر القلب إذا صدق أن يقطع الفيافي والقفار في خطوة واحدة !
- من عظم وقار الله فى قلبه أن يعصيه وقره الله فى قلوب الخلق أن يذلوه .

***

- اعتاد الناس لأجيال وقرون على الجمع بين التدين المعلن المتكلف وبين الإباحية المستترة فى مظاهر تراعى رغم معرفة الجميع لما يحدث خلفها ووراءها من واقع يندى له الجبين .. واستسلم معظم الناس إلى هذا الصلح العجيب فى الجماعات المتدينة ، وباتوا متعصبين متمسكين بمحافظتهم على المظاهر الدينية التى تطلق يدهم سِرًا يعلمه جميع الخلق فى ارتكاب ما يشتهون !!
- من عرف الإسلام ، يعرف أنه ينهى عن الغلو والإسراف وتعدي الحدود .. ففي حديث الرحمة المهداة ، عن ابن عباس : «إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك الذين من قبلكم الغلو في الدين » .. وعن أنس رضي الله عنه ، أنه عليه الصلاة والسلام قال : «لا تشددوا في دينكم فيشدد الله عليكم ، فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والدِّيَارَات : رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » .. وقال ﷺ : **«إن هذا الدين متين ، ولن يُشاد الدين أحدٌ إلاَّ غلبه ، فأوغلوا فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى»** !
- قال بعض العارفين : إن طائفة الموسوسين قد نالت منهم طاعة الشيطان ، حتى اتصفوا بوسوسته !
- قال الصوفي بشر بن الحارث : صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار .
- الاحتيال لا يخدع في النهاية إلاَّ صاحبه ، حتى لو خال على ضحاياه !!

***

- تتميز الحياة الروحية عن الأخلاقية الدنيوية والذكاء ، بمفارقة الوهم مع معاناة هذه المفارقة وليس بالمزيد من المعرفة . ومهما

يكن حظها فى الدنيا متواضعًا، فإنها ترفع المساعى العادية أو القليل منها إلى ضياء الخلود . لأن الجانب الخالد من الأشياء ينتزع الـروح من انغماسها الأوّلى فى الحس الحيوانى والإيـمان الحيوانى (animal faith) لكى تصير روحًا نقية ، علمًا بأن الجانب الخالد فى الأشياء هو هو جانبها المباشر .. لأن خبرتنا بأى موضوع متى طرد منها القلق والاعتقاد يتبقى منها جوهرها فقط .. هذا الجانب المباشر من الأشياء نهائى من الوجهة السيكولوجية والاستبطانية ، لأن وجود الشيء الواقعى المعين عرضى ، مبناه ظروفه ، بينما وجوده كتنويع للوجود العام الضرورى وجودٌ دائم لا يُمحى ، والروح تعيش فى إحساسها بالنهائى ضمن المباشر!

- سأل رجلٌ إبراهيم ابن أدهم أن ينبهه إلى ما رآه من عيوبه . فقال إبراهيم : إني لم أر بك عيبًا ، لأني لاحظتك بعين الوداد ، فاستحسنت منك ما رأيت ، فسل غيري إن أردت .

وقال الشاعر :

عين الرضا عن كل عيبٍ كليلة ولكن عين السخط تبدي المساوى

- قال بعض العارفين : من استحل الحرمات ، تاه منه الحلال !
- من أرضى جوارحه بالشهوات ، غرس فى قلبه شجرات الندم !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٥٦)

- ليس للخالق جل وعلا اسم ، لأنه سبحانه وتعالى ليس موضوعًا ولا محلًا ولا مُسَمّى للأسماء . واسم الله ﷻ ، هو تذكره سبحانه وليس إلاّ تذكره من جانب المخلوق الآدمى الذى يذكره على قدر استطاعته الآدمية ، وعلى قدر إمكانه البشرى المحدود بحدود جزئية ، سواء من حيث وعيه أو فهمه أو إحساسه الذى يعبر عنه بلغته البشرية . وهذا التذكر هو عن طريق تذكر قدرته سبحانه وتعالى وصفاته وآثاره وأفعاله المختلفة المعروفة لنا ، القابلة للإشارة والتعريف والتسمية بلغاتنا البشرية ، وتذكر مواقفنا نحن إزاءه ﷻ ، وأفعاله سبحانه فينا وفى حياتنا ، وتذكر نتائج وعينا لها فينا وفى حياتنا .
- قال حكيم : تحرز من إبليس بمخالفة هواك ، وتزين لله بالصدق والإخلاص في العمل ، والتمس العفو بالحياء منه والمراقبة ، واستدم النعمة بخوف زوالها .. ولا سلامة كسلامة القلب ، ولا عقل كمخالفة الهوى ، ولا فقر كفقر القلب ، ولا غنى كغنى النفس ، ولا نور كنور اليقين .
- قيل لذي النون : مع من أصحب ؟ قال لسائله : مع من لا تكتمه شيئًا يعلمه الله تعالى عنك .

***

- ليس بيد الإنسان أن يمنع القضاء والقدر ، مثلما ليس بإمكانه أن يوقف دوران الأرض .. هذه هى الشمس تشرق بالصباح ، وتولّى إلى الليل ،

دون أن تغير العيون المتطلعة إليها زرقةً أو ظلمة .. فلماذا يا ربنا خيم الليل على ما بداخلنا ، وهاج القلق ، ولماذا غرق من غرق وغطت «الأنا» وانحصرت فى ذاتها حتى لم تعد ترى الله ، وشاب عبادتها التعلق بالألفاظ ، واهتمت بالمديح دون أن تدرك المعانى ، وغلبت مظاهر السطح على الأغوار وما فيها ، حتـى فقدت الذات بوصلتها ؟!

- سئل الرسول ﷺ عن دموع فاضت بها عيناه على صبي يحتضر ، فقال : «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » .
- وفي بكاء الراحلين ، جاء في الحديث : «مهما كان من العين ومن القلب فمن الله ومن الرحمة ، وما كان من اليد ومن اللسان فمن الشيطان» !
- لو خرج عقلك من سلطان هواك عادت الدولة له !

***

- إن الروح الفانية أى الروح فى الحيوان ، لا يمكنها أن تمسح مساحة الوجود العام النقى فى لا نهائيته ، لكنها بقدر ما تتخلص من الانفعال الحيوانى والإيمان الحيوانى يمكنها أن تشاهد وجودًا ما محدودًا فى نقاوته ..

والدين والأخلاق بحمايتهما العيون من الأضواء والتشتيت ، وبتركيزهما على المواضيع النبيلة يمهدان تربةً للروح أفضل من الحياة المشتتة الشاردة ، ولا يعنى قولنا هذا أن الروح قد لا تظهر بصورة مدهشة فى الخطاة والعصاة كما تظهر فى الشاعر والطفل!

- الذنوب جراحات ، ورب جرح وقع فى مقتل !
- قال أكثر من واحد من السلف الصالح : الصبر نصف الإيمان . وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : الإيمان نصفان : نصف صبر ، ونصف شكر . ولهذا جمع الله بين الصبر والشكر ، ثم تلا : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ [إبراهيم] .

- الزهد شيء من القلب ، لا يبالي بما يصطنعه المتظاهرون !

***

- تستطيع أن تعرف الفرد ، وأن تعرف المجتمع ، من مقدار احترامه أو إهماله أو تبديده للوقت ، فالوقت يقف على رأس مجموعة القيم التى ترتد إليها كل أوجه النشاط والعمل والإنتاج .. فكل ناتج هو حصاد عمل مبذول خلال وقت .. وإهلاك الوقت هو تبديد للطاقات والقوى والثروة ..

الطاقات المعطلة تبديد حقيقى للثروة الموجودة وللثروة المأمولة !

- للمصاحبة أحوال ، قال فيها ذو النون المصري : لا تصحب مع الله إلاَّ بالموافقة ، ولا مع الخلق إلاَّ بالمناصحة ، ولا مع النفس إلاَّ بالمخالفة ، ولا مع الشيطان إلاَّ بالعداوة ؟

- اتفق السالكون إلى الله ، على أن الناس على قسمين : قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وصار طوعا لها تحت أوامرها . وقسم ظفروا بنفوسهم فقهروها ، فصارت طوعا لهم منقادة لأوامرهم .

وقال بعض العارفين : انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم ، فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح ، ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك !

قال تعالى :﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات] .

- قال بعض العارفين : من ابتدع ، لزمته بدعته !
- بحر الهوى إذا مد أغرق ، وأخوف المنافذ على السابح فتح البصر فى الماء .

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٥٧)

- ما الذى يرجوه الآدمى من حياته ؟ هذا سؤال لا يكاد يطرحه إنسان عادى على نفسه وهو جاد فيه .. لأن حياتنا ، أعنى حياة كل منا ، ليست مشروعا بشريًا نحاول تنفيذه يحتمل أن ننجح فيه أو نفشل ، فنستمر فيه أو نكف عنه إلى سواه ، وإنما هى وجودنا ذاته وكله .. ونحن جميعًا نقبلها قبولًا فطريًا غريزيًا بلا أدنى مناقشة أو تشكك على أنها أغلى وأثمن ما أُعطينا .. أيا كانت ومهما كانت ظروفنا .. يستوى فى ذلك الحر والعبد ، والطليق والمعتقل ، والصحيح والعليل ، والقوى والضعيف ، والطفل والشيخ ، والموسر وذو الفاقة .
- أركان الكفر والشرود أربعة : الكبر ، والحسد ، والغضب ، والشهوة .

فأما الكبر ، فيقيه ويمنعه الانقياد .

وأما الحسد ، فيمنعه قبول النصيحة وبذلها .

وأما الغضب ، فيلطفه الحلم ويمنعه العدل .

وأما الشهوة ، فيمنعها العفاف والتفرغ للعبادة .

- من وصايا ذي النون المصرى : «لا تسكن إلى مدح الناس ، ولا تجزع من ذمهم .. وذرهم فإنهم قطاع طريق . وأسكن إلى ما تحققه من أحوالك سرًا وعلنًا .
- مشيئة الله تعالى لا تنقض القواعد ، ولا تسقط التكليف . فيبقى لآدمي أن يختار طريقه ، وأن يميز بين الخير والشر .. وقد قيل في الخير ، أنه ما

اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب .. أما الشر ، فما حاك الصدر ، وكره الآدمي أن يطلع عليه الناس ، وإن أفتاه الناس وأفتوه !

***

- لا يوجد آدمى إلاّ ومارس بقدر أو بآخر التقليد والمحاكاة ، إراديا أو غير إرادى ، ومنا من يلحظ أو يضبط نفسه متلبسًا بالمحاكاة والتقليد ، ولكن قلّما يفكر أحد فى منبع وقدر الآلية النفسية لهذه المحاكاة . هل تحاكى آليات ما تدركه حواسنا بالسماع أو بالرؤية للأقوال والأفعال ، بحيث تفرض هذه المحاكاة نفسها فرضًا على أفكارنا أو خيالنا فنردد أو نمارس تلك الأقوال أو الأفعال . أم أن المحاكاة تنطوى على ما هو أعمق من ذلك ؟!

إننا لوقت يقصر أو يطول ، نقرأ أحيانا أفكار الغير ونتبناها، ولو تأملنا للاحظنا أننا نكرر مايقول ، ونأتى ما يفعله؟ هنا يكون التقليد قراءة ونقل أفكار أو محاكاة أفكار ، يؤدى إلى تشابه أقوال وأفعال . وكثيرًا ما ينتقل ذلك بين الجماهير بسرعة خاطفة تردد فيها بالتقليد والمحاكاة ذات الألفاظ والعبارات ، وتمارس ذات الأفعال ، بذات الاتجاهات !!

- من وضع الخبائث في موضعها ومحلها اللائق بها كان ذلك منه حكمة وعدلًا وصوابًا . وإنما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها ، كمن يضع العمامة في القدم ، والحذاء على الرأس !!
- قال أحد الصوفية : «لا تدع نفسك من خدمة الخلق ، وأفرد قلبك لله ولأمره » .
- من المحال أن يتكبر من عرف ربه بصفات الكمال والجلال ، وعرف نفسه بالنقائص والآفات .

- ما ظهرت حالة عالية إلاَّ من ملازمة أصل صحيح .

***

- يقول علماء الاجتماع إن الإنسان حيوان عاقل ، وتسعة أعشار شقاء أو متاعب الآدمى ، مصدرها عدم اعترافه بهذه الحقيقة ، وبأن عقله وذكاءه ميزتان أضيفتا إلى حيوانيته أولًا وأخيرًا ، لخدمتها خدمة أفضل أمتع وأكمل مما تهيأ لسائر شركائها فى الحيوانية . لماذا ؟ ولماذا جاءت تلك الإضافة بذلك الحجم والسخاء الزائدين عن حاجات وظائف الحيوان؟ الله تعالى وحده يعلم !! الواقع أن هذا الجانب الغريزى فى الآدمى لا يأخذ ولا يستعمل مما فى حقيبته العقلية الهائلة إلاَّ أقل القليل . وهو يعيش ويموت ولا يكاد يستفيد منها بشىء ذى بال فلماذا الكبرياء ؟!
- قال حكيم من الزمن الأول : أدب المسافر ألاَّ يجاوز هَمُّه قدمَه ، وحيثما وقف قلبُه يكون منزله .
- كمال حمد الله ومن أسمائه الحميد ، يوجب أن لا ينسب إليه شر ولا سوء ، ولا نقص في أسمائه ولا في أفعاله ولا في صفاته سبحانه ، فله الأسماء الحسنى ، وليس كمثله شيء .
- أحسن ما يتوسل به العبد إلى ربه : دوام الفقر إليه في كل حال ، وملازمة السنة في جميع الأفعال ، وطلب القوت من الحلال .

***

- قد تقرأ كتابًا لأفلاطون أو جوستاف فلوبير أو الجاحظ ، فيغير فى نظرتك لما معك وما حولك .. وهؤلاء قد ماتوا وفارقوا دنيا الناس من قرون بعيدة قبل أن نولد . ومع ذلك فإن عقولهم تخاطب عقلك ، لأن بعض أفكارهم مدونة فى كتبهم التى تقربهم إليك ، وربما كان هذا شأن بعض

من كانوا يسمعونهم حال حياتهم . فالكتاب من حيث مادته ، والصوت من حيث صفاته وطبقاته وأسلوبه ، ومن حيث هو وسيلة تقارب مادية بين اثنين أو أكثر من الأحياء . هو ضمن عناصر مادية واسعة الاستعمال كدافع إلى التخاطب ، ولكنها ليست عناصر فى ذات التخاطب ،لأنه تخاطب عقول لا ينهيه الموت ، ما دام يوجد حيّ يشترك فى المخاطبة والخطاب . بل لا ضرورة لمعرفة صاحب الفكرة .. فكم من الأفكار والأقوال متداولة بين البشر فى مختلف الأزمنة ولا نعرف ولا يعرفون أصحابها . لأن المهم هو بقاء الأفكار فى أدمغة الأحياء من الآدميين أو تحت تصرفهم ، أو يكون فى وسع الأحياء العثور عليها فى بحثهم عنها ما جدوا فى البحث عنها فيما يثيرهم إلى البحث من محيطهم .

- من اشتغل بحفظ الرسوم عن الشريعة والحقيقة ، كانت وقفته مع الرسوم المبتدعة ، وليس مع الله ولا مع أهل الفقه أو أهل الحقائق !
- قال أحد الحكماء : ما ألفت النفس شيئًا إلاَّ وفيه بلاء وخطر!

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٥٨)

- يولد وعينا مع ميلادنا وينمو مع نمونا . لكننا ننساه ! ننساه فى بداياتنا وننسى وظيفته ومهمته وضرورته للعقل والإرادة والاختيار ، وننسى لذلك حاجته الدائمة إلى اليقظة والتيقظ وإلى مقاومة الإغفال والغفلة ، إذ منها يدخل ويتسيد فى وعينا الوهم والغرور والطمع والكبرياء ، أو عكس ذلك الشعور بالصغار أو الكآبة أو التشاؤم أو القنوط أو اليأس من أنفسنا !
- اليقظة أو التيقظ اعتياد يحتاج الإحساس بوجوده إلى المحافظة على تنميته ، لأنه من المقومات الأساسية للوعى ... وعموم الآدميين يشتركون فى عموم الوعى ، لكنهم على الدوام يختلفون فى مقداره فى كل عمر ومناسبة وموقف وربما أيضًا فى كل مكان ! ودواعى اختلافهم فيه أفرادًا وجماعات وهى لم تنقطع ولن تنقطع تزيد كثيرًا عن دواعى اتفاقاتهم التى يضمن بقاءها غالبًا اعتيادهم على تنفيذها .. ولعل لهذه الاختلافات أصلا فى خلقة الإنسان من أصول دفعه إلى الانتشار ومن ثمَّ إلى التنوع !
- نور العقل يضىء فى ليل الهوى فتلوح جادة الصواب فيتلمح البصير فى ذلك النور عواقب الأمور.
- من شيم العارفين ، أنهم إذا أعطاهم الله حمدوه وشكروه ، وإن منعهم ناشدوه وتضرعوا إليه وذكروه .. ولا يجعلون العطاء المنعَم به عليهم يشغلهم عن ذكره .

• السعة ضد الضيق .. هذه السعة هى الفسحة والاتساع المكانى الإمكانى ، وهى الغنى والكثرة والإحاطة والقدرة والطاقة .. يُوصَف بها المكان والزمان والماديات والمعنويات ، ويتصف بها المبدأ والقاعدة والأصل والعلم والتفكير والتصور والخيال والحيلة والخطة والتدبير والصبر والمصدر والخطو والقفز والأفق والأرض والسماء والكون والعالم ، وتطلق على اللفظة والعبارة والإشارة ، وعلى الحقوق والحريات والرخص والإطلاقات . هى انفساح الحدود والمحدود أيا كانت وكان وابتعاد الضيق والتضييق والتحديد والتوقف والخطر والتحريم ، وهى انفراج الشروط والأسوار والقيود ، وهى تراجع الموانع والسدود، وانحسار الضعف والإعياء والعجز .

• وصّى أحد شيوخ الإسلام أصحابه فقال : «اغتنموا الصُّحبة ! ليظهر منكم ما كان .. فأنتم وسيلة وترجمان بينكم» .

• قال أحد العارفين : للخلق في يوسف عليه السلام آيات ، وليوسف في نفسه آية ، وهي من أعظم الآيات . قيل ما هي ؟ قال : معرفته بمكر النفس وخداعها حين قال : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف :٥٣] .

***

• فكر فى الثقة وتأملها . لأنك ستجدها ممتدة الجذور والفروع فى كل ما نسميه المكان والزمان ، وكل ما نسميه الماضى والحاضر والمستقبل ، والقريب والبعيد ، والفوق والتحت ، والظاهر والخفى ، والأول والآخر ، والأصل والفرع ، والسبب والنتيجة . ستجدها فى العقل والنفس والروح والعاطفة ، وفى الإنسان والحيوان والنبات . ستجدها

فى الحياة كلها فى كل حى وفى كل خبرات الحى وكل ما هو موضوع لخبراته.

تأمل ما نسميه الخطأ والشر والرذيلة ، وما نسميه العصيان والتمرد والثورة والغضب ، وما نسميه الفشل والإخفاق والإحباط ، وما نسميه القلق والخوف والفزع والجزع والجبن والرياء والنفاق تأمل صلة ذلك كله بالثقة ، تجد أنها أحوال اهتزت فيها الثقة أو اختفت من أفق الحى .

- لا يعرف وحشة ومرارة النكران أو الصدود ، إلا من تميزوا وناضلوا وجاهدوا وأوفوا وأعطوا ، فلم يلاقوا إلاّ صدودًا أو إنكارًا أو ألاعيب صغار أو خيانة نفوس طويت على الغدر وانعدم لديها الوفاء. من آفاتنا الكبرى أننا لا نتنبه إلى قيمة من بيننا إلاّ بعد فوات الأوان !!!
- مفتاح كل بركة : الصبر فى مواضع سلوكك ، إلى أن تصح لك إرادة ، فإن صحت لك الإرادة ، فقد ظهرت عليك أوائـل البركة .
- اخرج بالعزم من هذا الفناء الضيق المحشو بالآفات إلى ذلك الفناء الرحب الذى فيه ما لا عين رأت .. فهناك لا يتعذر مطلوب ولا يفقد محبوب .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٥٩)

- إن فن الحياة إلهام ونبوءة وليس تاريخًا أو حقيقة .. وبقدر ما يكون للحياة شكل ، تكون فنا .. ودولة الفن تماثل الجمال الذى يعمل الإنسان فيه سيطرته المتبصرة الحازمة على عالم المادة والحركة ، وعلى عالم الخفقات العشوائية الداخلية والعمليات التلقائية التى تؤلف كيانه الداخلى .
- قال أحد الصوفية : يا ضعيف العزم .. أين أنت والطريق طريق تعب فيه آدم : وناح لأجله نوح : ورمى فى النار الخليل : وأضجع للذبح إسماعيل : وبيع يوسف بثمن بخس ولبث فى السجن بضع سنين : ونشر بالمنشار زكريا : وذبح السيد الحصور يحيى : وقاسى أيوب : وزاد على المقدار بكاء داود : وسار مع الوحش عيسى : وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ .. وتزهو أنت باللهو واللعب !
- يبدو أن اعتياد «الطلب» ، ولأنه محض طلب لا يفصل فيه المتقدم به ، قد فصله فى وجدان البعض عن الإحساس بالمسئولية .. فرغبات الناس ، ناهيك عن التى تسعى إلى التلبية ، لا تنفصم ولا يجوز أن تنفصم عن الإحساس بالواجب وبالمسئولية ، وفرز ما لا يجوز عما يجوز .. فليس كل ما يُرْغب يطلب .. بل إن الطلب قد يحمل بذاته أحيانا ما يقلب المواجد أو يثير المشاكل أو يفاقمها !!
- النية هي القصد والعزم ، ومحلها القلب ، فإذا استقامت صادقها العمل .

***

- من أقوال الجنيد: «الخوف من الله يقبضنى ، والرجاء منه : يبسطنى . والحقيقة : تجمعنى . والحق : يفرقنى ، إذا قبضنى بالخوف أفنانى عنى ، وإذا بسطنى بالرجاء ردنى على ، وإذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى ، وإذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى ، فغطانى عنه ، فهو تعالى فى ذلك كله محركى غير ممسكى ، وموحشى غير مؤنسى ، فأنا بحضورى أذوق طعم وجودى ، فليته أفنانى عنى فمتعنى ، أو غيبنى عنى فروحنى . "
- من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه : وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة : وأن تعرف قدر الربح فى معاملته ثم تعامل غيره : وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له : وأن تذوق ألم الوحشة فى معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته . وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض فى غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته : وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه : وأعجب من هذا علمك أنك لا بد لك منه وأنك أحوج شيء إليه وأنت عنه معرض وفيما يبعدك عنه راغب .
- نحن نأخذ حياتنا أفرادًا وجماعات بجميع ظواهرها ومعالمها من الحياة نفسها ، دون أن نضيف إليها شيئا ما جديدًا لم يكن لديها فعلا .. وجميع ما أضفناه أو نضيفه معنويا كان أو ماديا خال خلوًا تاما من الحياة ، وبحاجة دائما إلى تدخل آدمى ليكسبه المعنى والغرض والوظيفة التى تعطيه قيمة فى نظر الأحياء .. ويظهر مواته وخواؤه وإفلاسه إذا اختفى الآدمى من الوجود وانقطع اتصاله الحى بأى آدمى !
- قيل لبعض العبَّاد : كم تتعب نفسك ، فقال راحتها أريد .

***

- إذا كان الرسامون يتحدثون أحيانا عن البقع الخامدة التى لا حياة لها فى التصوير ، فكذلك شأن التجربة .. هى كذلك مليئة بتلك البقع الخامدة ، ولكن الفن يمنحها الحياة . فالفن الجامع من شأنه أن يجعل الوجود كله ينبض بالحياة ، وتصبح تفاصيل الانفعال والمعاناة اليومية بهيجة جديرة بالتذوق الجمالى .
- إن الدفاع عن متهم أى متهم ليس مبررا للتجاوز فى حق المجنى عليهم أو ذويهم ، أو فى حق الشهود .. فالدفاع أمانة ومسئولية ، محكوم بكل ضوابط الأمانة ومعايير المسئولية ، وهى مسئولية لا تقتصر على المتهم المدافع عنه ، وإنما هى واجبة إزاء الدعوى وخصومها وأطرافها وشهودها ، وإزاء المجتمع أيضا .
- إننا لا نشعر بحقيقة الحياة وعمقها وإطلاقها لأننا أحياء داخلها ، ولا يمكن أن نخرج منها إلا بظاهرة الموت الذى هو انقطاع سير حياتنا وتوقفها نهائيا .. وعندئذ يبدأ ثم يتكاثر ظهور أحياء متعددة تلتهم الأجزاء الرطبة فى الرفات وتترك الأجزاء الصلبة بعد خلوها من كل عنصر حى .. تبلى على مهل كما تبلى الأحجار وتنحل كما تنحل الرمال !
- قال بعض العارفين : من تجرع كأس الشوق يهيم هيامًا لا يفيق إلاَّ عند المشاهدة واللقاء .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٦٠)

- الإنسان مشغول بفكره ووحدته عن الخطو إلى الحقيقة الكبرى القريبة منه . إنه ليس أحرى من بلايين سبقوه ومضوا دون أن يتفطنوا إلى سر الوجود وغاية الحياة ، ولكن عليه أن يتمعن ويتأمل ليرى ، فغدًا سوف تمضى حياته كما مضت حياة الغابرين ، وهو لن يرى بعد رحيله شيئا ، فليس فى وسع المصباح أن يرى إطباق الظلام . من يريد أن يرى لابد أن يحيا ويبحث ويتأمل . إن الحىّ يبحث على عادته مولد الأرض وأعمار الجبال ، وهو مع ذلك لا ينفك يشكو قلقه من أن الكون يمضى لزوال !!
- سئل أحد شيوخ الصوفية عن "الصحبة" ، فقال :

الصحبة مع الله ﷻ بحسن الأدب ، ودوام الهيبة ، والمراقبة.

والصحبة مع الرسول ﷺ باتباع سنته ، ولزوم ظاهر العلم.

والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والحرمة.

والصحبة مع الأهل والولد بحسن الخلق.

والصحبة مع الإخوان بدوام البشر والانبساط ما لم يكن إثمًا.

والصحبة مع الجهال بالدعاء والرحمة عليهم ، ورؤية نعمة الله عليك أن عافاك مما ابتلاهم به.

- ومن أقوال الشبلى : موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين.

وفي هذا القلب ، قال ابن عطاء : قلب لاحظ الحق بعين التعظيم ، فذاب له وانقطع إليه عما سواه.

- من آداب العبودية ستر الحال .

***

- كم من محدق فى العلاقات فصله التحديق عن أسلاك الحياة وعن فهم مغزاها وحكمتها وغايتها ، وكم من طفل فقد فى البحث والتحديق أباه ! كحال الذى يفقد طريقه إلى الله وهو يتساءل فى تيهه : هل من ثم إله ؟

وفى البيت الأخير ينهى محمد عبد الله إبحاره ببيت مفعم بالرمز :

مات شَيْخِى لم أُفَتِّشْ قَلْبَهُ عاشَ فى قَلبى دُعَاه ورِضَاهْ

- يجب ألا ننسى أن عواطفنا حتى الآن تعيش أكثر ما تعيش على ميلنا الذى يكاد يكون فطريا إلى الإيمان المريح ، وهو دائما مبنى على الاعتقادات ووجهات نظر دينية أو أخلاقية أو سياسية أو علمية أو اجتماعية أو أسرية .
- سئل أحد مشايخ الصوفية عن التوحيد فقال : غير مشبه الذوات ولا منفى الصفات » .
- الإيمان قول وعمل ، والقول قول القلب واللسان ، والعمل عمل القلب والجوارح ، ولا يكتمل الإيمان إلاّ بتلاقى ما يعرفه القلب ويقر به اللسان .

***

- يبدو أن العماء الجزئى نصيب مقدور أمام نظام هذا الكون العجيب . تأمل هذه النَبْتَة التى مدت جذورها لتطلب الماء . فتخطىء وتصيب ! وهذا النَّسْر الذى ينقض على هدفه ويغنم غنيمته ، بينما غيره من النسور

تكد وتكابد ومع ذلك يخيب سعيها ! إن ما يبدو لنا الآن حظًّا سيغدو فى المستقبل قدرًا بعيد الموج يلهو بقريب !

ما بال الشِّص النائم صاحبه ، يصطاد حوتًا لم يصده اليقظ ، أو كما قال الأمير الأندلسى عبد الرحمن الناصر الأموى :

كم مقيم فازت يداه بغنم لم تنله بالركض كف مغير

- قال أحد الصوفية فى التوحيد : «التوحيد هو إسقاط الوسائط عند غلبة الحال والرجوع إليها عند الأحكام ، وأن الحسنات لا تغير الأقسام من الشقاوة والسعادة » .
- قال أحد الصوفية : أول وَصْل العبد هجرانه لنفسه ، وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه !
- قال حكيم من الزمن الأول : حياة القلب الذى يموت بذكر الحى الذى لا يموت.

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٦١)

- التحقيق أن من تمحضت إرادته لعبودية الله بمراعاة حقوقه لأجل ما وجب عليه من ذلك ليتوصل به إلى نيل حظها هو الذى يسمى مريدًا .. فلم يتسم بذلك إلا لأنه يتصف بالإرادة الحقيقية المتعلقة بأشرف المطالب ، وقد سُمى مريدًا لأجل ما سلب عنه من الإرادة المجازية المتعلقة بحظوظه .

وبهذا يتبين لك صحة كلام أبي يزيد البسطامى حيث قيل له ما تريد ؟ . فقال أريد أن لا أريد .

قال فى التنوير : أراد أبو يزيد أن لا يريد .. لأن الله تعالىٰ اختار له وللعباد أجمع عدم الإرادة معه .. فهو في إرادته أن لا يريد موافق لإرادة الله جل وعلا .

فأنت مطالب أن تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها .

وفى الحديث القدسى : «فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التــى يمشى عليها» فيه إشارة إلى أنه عند ذلك ليس للعبد إرادة ولا اختيار .. إلاّ ما اختاره له مولاه وأراده .

قال ابن عطاء الله السكندرى : «أنت إلى حلمه إذا أطعته ، أحوج منك إلى حلمه إن عصيته» .

- من مقابسات التوحيدى : فى كل محسوس ظل من العقل .. وهما معًا توحيد للظاهر والباطن من الإنسان .. فالحس مجاله الجسم البارى ، والعرض الظاهر .. أما العقل فمجاله المعدن الدفين ، والجوهر الثمين .

- كم من مفسد تأخذه الظنون أنه يصلح ، بينما بينه وبين الصلاح والإصلاح بون شاسع ، والمفارقة أنه لا يراه أو يتغافل عنه !

***

- العبد مضطر إلى الله أبدًا .. ولا يزايل العبد هذا الاضطرار .. لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .. ولو دخل الجنة فهو محتاج إلى الله فيها .

وهذا هو حكم الحقائق .. إذ لا يختلف حكمها لا فى الغيب ولا فى الشهادة .. لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .. فالعلم صفة الكشف ، أى علم كان فى أى وقت كان .. والإرادة صفتها التخصيص ، أى إرادة كانت فى أى وقت كان .. ومن اتسعت أنواره لم يتوقف اضطراره .

ولما لم تصل عقول العوام إلى ما تعطيه حقائق وجوداتهم ، سلط الحق الأسباب المثيرة للاضطرار ليعرف (العبد) قهر ربوبيته وعظمة إلهيته .

- عمل الإنسان مراتب ، خواطر وأفكار توجب تصورات ، والتصورات تدعو إلى الإرادات ، والإرادات تفضى إلى الأفعال . فصلاح هذه المراتب أو فسادها رهين بصلاح الخواطر والأفكار أو فسادها .

من مقابسات التوحيدى : «ليس لشىء وجود ، ولا وجوب إلاَّ للبارى الحق ، فلا حقيقة إذن لشىء إلاَّ له ، لأنه هو الواجب ، وكل ما عداه فإنما هو به واجب ، وبه ممتنع ، وبه ممكن . والوجود الحق له . فكل وجود يرسم للممكن أو للممتنع فإنما هو بالاستعارة ، والتقريب ، والتحلية ، والتشبيه » .

***

- الوارد عبارة عما يرد على القلب من المعارف الربانية واللطائف الروحانية ، ليطهره بذلك ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول إلى حضرته .. لأن الحضرة منزهة عن كل قلب متكدر بالآثار متلوث بأقذار الأغيار .

قال ابن عطاء الله السكندرى : «أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار وليحررك من رق الآثار .. لأن الآثار والأغيار غاصبة ومسترقة لك ، وذلك لوجود حبك لها وسكونك إليها واعتمادك عليها» !

وقال أيضًا : «أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى قضاء شهودك » .

- المطلوب من العبد شيئان : إقامة الأمر فى الظاهر والتعلق بالله فى الباطن وهو الاستغناء عن غيره .. فإذا رزق الله العبد هذين الأمرين فقد أسبغ عليه نعمةً ظاهرةً وباطنةً .
- اتساع المجال وامتداد الفرصة للظالمين ، هو بلاء لا شبهة فيه . ألم يرد فى القرآن المجيد : ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ .. إنه سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل !
- لا يجتمع الظلم والعدل فى معين واحد .هل رأيت الظلام والنور يشعان من مصدر واحد ؟!

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٦٢)

- بساطة الإسلام معناها أنه قادر قدرة عجيبة على إبراز ما هو جوهرى ومفيد فى أغراضه ، وعلى استبعاد كل ما يحجب الجوهر من الحواشى والتفصيلات . فبساطة الإسلام ترجع إلى أدائه لمضمونه ، ومقدرته على أداء هذا المضمون أداء ناصعًا مباشرا . وهذه البساطة نقيض تلك السهولة الكلامية البدائية التى تكتسح ما هو جوهرى وأساسى . فالإسلام بسيط من جهة حرصه الشديد على رؤية ما هو جوهرى وما هو مفيد فى الحياة ، مرتسمًا بقوة على سلوك المؤمن وتصرفاته فى حياته الخاصة والعامة .
- الملاحظ أن الناس يقبضون على ماضيهم بعناد وإصرار وتعصب حين لا ينجح الحاضر فى اكتساب ثقتهم ، وحين ينفرهم هذا الحاضر ويزعجهم ، وحين يحسون أن القيم اللازمة للحياة الكريمة غير مصونة ولا محترمة . وهذه آفة خطيرة ، لأن الإنسان ابن مستقبله ، وليس ابن ماضيه أو حاضره .. لكنه يتخوف من غده دائمًا بالالتفات إلى الحاضر وتصوره للماضى !
- قال أحد حكماء الزمن الأول : إذا فرغ العالم من الصادقين ، فالزم الصدق إن قدرت فى جميع الأحوال ، وتفطن إلى أن أحدًا لا يدخل فى زمرة الصديقين ومراتبهم حتى يصير مردودًا من الخلائق ، ولا يكون مخلصًا لأولياء الله إلاّ إذا هجر من هجروا الصدق وفارق بهتانهم وتغيّا وجه ربه فى جميع أحواله .

- من لم تكن التقوى غالبة عليه ، فالشغل له أفضل من الفراغ .
- لا عمل لمن لا عزم له !

***

- فى غرفة نومى بمنزلى برواز تقليدى ، وضعت بداخله كروكى القسطرة التشخيصية الأولى التى أجراها بمصر فى سبتمبر ١٩٨٩ الأستاذ الدكتور جلال السعيد ، ومرسوم عليها كروكى آخر بألوان مميزة بالوصلات الخمسة التى وضعها الطبيب الأمريكى جورج روول بمستشفى القديس لوقا فى هيوستن بالولايات المتحدة فى ١٦ يوليو ١٩٩٠.. أداوم من وقت لآخر على الإطلال على هذا الكروكى لأستعيد نعمة الله التى وهبنى إياها ، وأتاحت لى أن أمارس حياة عادية لعشرين عاما كاملة كان ظنى أن أتهيأ بعدها للرحيل ، لم يكن يشغلنى إلاّ عبارة زكريا الحجاوى :«مش قادر يبقى لى عمر تانى أكمل بيه الرسالة » .. تذكرنى هذه العبارة بقلقى من أن تفوتنى فرصة الوفاء بما بقى فى ذمتى وأريد إنجازه قبل أن أفارق .
- لا ينشأ التعصب إلاّ إذا سلخ الإنسان نفسه عن هوياته المتعددة ، ليحصرها فى هوية واحدة وحيدة متفردة ، فينمو بالوعى وباللا وعى تعمق إحساسه بهذه الهوية التى يظن أو يعتقد أنها «الوحيدة» « الفريدة» ظنا غالبا ما يقترن بوصفها أو افتراض أنها مقاتلة متعين عليها أن تواجه وتناهض الهويات الأخرى المقابلة لها .. وهو ما يقف سببا وراء إثارة المواجهات الطائفية !
- كلما تأمل الإنسان فيما حوله ، هاله ألا يرى العدل المزعوم ، فلا ينبغى للعاقل أن يجرب أو ينازع المجانين ، فسوف تبدو بغيضا عندهم إذا كان رضاهم شاغلك !

ما للإنسان يفتقد الحب ، والحب هنا ، وما باله عاطش والماء من حوله ؟!
أو كما قال الشاعر القديم :

كالعيس فى البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

- قال الحرث المحاسبى : «إنما أراد الله من عباده قلوبهم لتكون جوارحهم تبعًا لقلوبهم ، فإذا تكبر العالم أو العابد وأنف ، وتواضع الجاهل أو القاضى وذلّ هيبةً لله ، فإن من ذلّ هيبةً لربه أطوع لله من العابد أو العالم الذى تكبّر وأنف» .

***

- عاش الإنسان بالتكرار منذ نشأته، وعلى هذا التكرار بنى دوله وحضاراته.. حال الفرد فى الدنيا كحال الراقص فى حلبة الرقص .. راقص يقفو خطوات وتصفيقات راقص ، ويحذو حذوه ، يتابع معه الإيقاع على «الوَحدة» .. فهل تفطن الإنسان لتمثل معنى دوره فى الحياة قبل نهاية «القصّ» وإسدال الستار؟!

كم جال عقله سدًى فى فيافى وبحور الأشواق لا يبغى سوى شاطئ اليقين ، ولكن ما بال الشارد يقفو شاردًا مثله ؟ ولماذا يقع فى الظلام من ينشد النور ، ولماذا يعطى ظهره للضياء ؟!

- سئل الجريرى الصوفى المعروف عن التوحيد فقال : «ليس لعلم التوحيد سوى لسان التوحيد » .

وسئل الجُنيد أحد أعلام الصوفية عن التوحيد فقال : «إفراد الموحَّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد ، ونفى الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل » .

- حواسنا ليست مجرد إشارات للعقل ، وإنما للإيحاء بالمحسوس والملموس والإبانة عنهما ، وهكذا تزداد التجربة فى الفنون الجميلة ثباتا ورسوخا وحدة عن طريق استيلائها على الأحاسيس والمشاعر .
- من يريد أن يتعرف على حقيقة طباع الخلق ، فليتأمل قول الله ﷻ : ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء] .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٦٣)

• يستحيل علينا أن نعى أو نفهم الخالق جل شأنه .. حتى كما نعى ونفهم أنفسنا أو غيرنا من الآدميين أو غيرنا من الأحياء .. أو حتى كما نعى ونفهم الكون العظيم وما فيه . وهذه الاستحالة بديهية لدى المتأمل ، لكنها تبدو غريبة لدى الإنسان العادى .. برغم أنها لازمة من لوازم الخلق طبقا للناضج من عقول الآدميين . إذ لا يعقل خلافها ويستحيل أن يكون الآدميون المخلوقون خالقين أبديين إلى جوار خالقهم تبارك وتعالى .

وإشارات القرآن المجيد إلى آدم تشير فى عمقها إلى هذا المقصود .. وقوله سبحانه وتعالى : «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة" إشارة إلى آدم التام الذى زوده المولى ﷻ بالوعى والمعرفة والفهم ، والذى زود من روح خالقه سبحانه ما استحق به أن تسجد له الملائكة ، وما استحق به أن يعيش هو وزوجه فى رضا ورغدٍ تامين .

• اختيارات الشخص أى شخص تتبع ذكاءه ، وهذه الاختيارات حتى لدى الأذكياء دائما احتمالية .. بمعنى أنها مقارنة وترجيح وتفضيل احتمال على غيره من الاحتمالات . ومن الملحوظ أن الذكاء يختلط بالمهارات ، والإتقان هو ثمرة وعلى قدر هذا الاختلاط .. فإذا كان البشر بعامة أذكياء فى إشباع حاجاتهم وتحقيق أغراضهم والوصول إلى غاياتهم أيًا كانت ، فإنهم لا يتقنون فى كل الأحوال أداء ما يفعلونه أو يؤثرونه أو يفضلونه !

- من مقابسات التوحيدى : الإبداع لا يتم بالإلهام وحده ، كما لا يحصل بالفكر وحده ، وإنما يكتمل بالجانبين معًا : الجانب الفطرى الموهوب ، والجانب الجهدى المبذول . وفى لغة اليوم : المطبوع والمصنوع .
- يظفر العبد بكل خير وهدى ورشد ، بقدر إثبات عين فكرته فى آلاء ربه ونعمه ، وفى توحيده وسبل معرفته وطريق العبودية له وطاعته .

***

- فى أحد فصول كتاب : «دولة الأيام» ، تكلمت عن البشر والكون والإيمان ، وقادنى الحديث فى خلق الإنسان وصلته بربه ، إلى ما ينمو لدينا من الفهم والمعرفة مدى أعمارنا المقسومة لنا .. وإلى التأمل فيما صار إليه هذا الفهم وتلك المعرفة . فما عندنا نحن الآدميين من المعرفة مما يمكن أن نسنده لأنفسنا هو حصاد الارتقاء من مرحلة الوعى الساذجة إلى مرحلة أو مراحل الفهم .. وهذه لا آخر لها ولا نهاية .. لأن حياة الآدمى منذ زمن تخالطها تطورات فهمه لحياته ومحيطه والكون ، وهى فى طريقها إلى الامتزاج والملازمة لهذا التطور الذى لايمكن أن ينتهى .
- من أقوال ابن عطاء الله السكندرى :

«الأكوان ثابتة بإثباته ممحوة بأحدية ذاته» .

الأكوان من ذاتها العدم المحض .. حصل لها وصف الثبوت بإثبات الله لها وجعلها أكوانا ، فالثبوت لها أمر عرضى ، والحق اللازم هو أحدية الله عزّ وجلّ ، والأحدية مبالغة فى الوحدة لا تتحقق إلا إذا كانت الوحدة بحيث لا يكون أكمل ولا أشد منها .. فمن مقتضى حقيقتها محو الأكوان » .

- لماذا انغلق المصرى على نفسه وتمحور فى ذاته وأعطى ظهره للآخرين ولكل ما هو عام ؟! لماذا فقدنا الإحساس بالانتماء الذى جعل منظورنا

ضيقًا ضامرًا بل ضريرًا ، لا يرى أن مصر هى وطننا وأمننا وأرضنا ومعاشنا وحاضرنا ومستقبلنا ؟!

- قال ابن عطاء : «علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد ، وهو أن يكون القائم به واحدًا» .

***

- فى كتاب « إن الإنسان العاقل وزاده الخيال » ، قلت إن الإنسان كائن عاقل ، بوصلته عقله ، وزاده الخيال .. فلم يتميز الآدمى بالعقل وحده عن سائر الكائنات ، وإنما تميز بالخيال ، زاد ومدد العقل الذى به يحلق فى المكان والزمان .. ينقله فى المكان بغير سفر . ويستحضر به الماضى ويتصور الغيب ويستشرف المستقبل دون أن يفارق اللحظة .. فى خيال الآدمى مع عقله سر قدرته على الفكر والإبداع .. إن خواطرنا وأفكارنا تتلاحق فى وعينا بلا انقطاع ، يتزاوج فى صنعها العقل والخيال . فالخيال قطعة من وعى الآدمى لا تفارقه إلى أن يرحل .
- يصنع ذكاء البشر أوعية وأكسية لاستيعاب أحلامهم وأشواقهم ومحاكاتهم وغرورهم كجماعات وأفراد ليزدادوا لا ذكاءً على ذكاء وإنما ثراءً وشهرة .. بهما يتحقق النفوذ فى أى جماعة .. فما فى تكوين مدنيتنا الحالية هو قشرة سطحية ضخمة من الذكاء تستخدم إتقان المتقنين فى جذب ملايين الناس من كل حدب وصوب ، من الأذكياء وغير الأذكياء ، ومن الأغبياء وأشباه الأغبياء !

وهذا أخطاره هائلة لا تكاد تحصى على الحمقى وعلى الأذكياء معا !!

- من مقابسات التوحيدى : «أنت صورة لنفسك وبدنك . إلاَّ أنك منقسم بين حقيقة ورثتها عن نفسك ، ومجاز دخل عليك من بدنك .

فوفر عنايتك على ما يستخلص حقيقتك من مجازك . ويفضى إلى أشرف غاياتك» .

- صلاح القلب فى أربع خصال:

فى التواضع لله ، والفقر إلى الله ، والخوف من الله، والرجاء فى الله.

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٦٤)

- خيالنا يشغل فى وعينا منطقة حرة من القيود التى تتقيد بها منطقة الواقع .. فمنطقة الخيال لا تتقيد بالزمان والمكان على أى وجه لا أصالةً وعمومًا ولا فروعًا وتفصيلات .. ولا تبالى بالفوارق بين الممكن والمستحيل والحىّ والميت والوجود والعدم والصدق والكذب وما نسميه بالحق أو الباطل . ومن ثم كان خيالنا سوقا مفتوحة المنافذ والأبواب لعواطفنا ، لا تفارقها الرغبات والأهواء والمطامع ، كما لا تفارقها الهموم والمخاوف والمخاطر .. وهذه وتلك على درجات تتفاوت باختلاف طبائع الأفراد وعاداتهم وبيئاتهم .
- تكرر فى أقوال السلف ، استلهامًا للقرآن والسنة ، إن الصبر نصف الإيمان . وقيل فى ذلك إن الإيمان مبنى على ركنين : يقين ، وصبر .. فباليقين يعلم حقيقة الأمر والنهى والثواب العقاب ، وبالصبر ينفذ ما أمر به ويكف نفسه عما نهى عنه. ولا يحصل له التصديق بذلك إلاّ باليقين ، ولا يمكنه الدوام على فعل المأمور وكف النفس عن المحظور إلاّ بالصبر . فصار الصبر نصف الإيمان .
- المعرفة بالله توجب السكينة فى القلب كما أن العلم يوجب السكون ، فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته .
- سئل الشبلى عن المعرفة ، فقال : أولها الله تعالى ، وآخرها ما لا نهاية له .

***

• حماقة كبرى أن يستهين أى آدمى عاقل بوجود الخيال ودوره الأساسى فى حياة كل منا ، فأوقات الآدميين ليست إلاّ ميادين اصطلاحية لخيالهم بالنسبة لحياتهم ، يقيسون بها حركات الزمان فى المكان كما تصوروها .

إن فضائل الإنسان العظيمة ، كلها نبت لخيال الآدمى .. لولاه ما عرفها البشر .. ولولا هذا الخيال الذى جذب أفذاذًا فركبوا الصعب وكرسوا العمر وثابروا وقاوموا وصبروا ، ما عرف تاريخ البشر قيمة ومكانة وجدوى وكرامة الإخلاص والصدق والاستقامة والشجاعة والمثابرة والبطولة والوفاء والتضحية والإيمان . فالآدمى مركب بالغ الدقة والإحكام والإتقان .

• سئل الصوفى سهل بن عبد الله عن ذات الله ﷻ ، فقال : «ذات الله تعالى موصوفة بالعلم ، غير مدركة بالإحاطة ، ولا مرئية بالأبصار فى دار الدنيا ، وهى موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول ، وتراه العيون فى العقبى ظاهرًا فى ملكه وقدرته ، قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ، ودلهم عليه بآياته ؛ فالقلوب تعرفه ، والعقول لا تدركه ، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية .

• من تملكته الوساوس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع ، ومن فاته الاستماع فاته العلم وجافته المعرفة ! وفى القرآن المجيد : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق] .

***

• يدين تقدمنا وترقينا وتطورنا بالكثير للإيمان الصادق الصحيح الذى يدفعنا إلى المثابرة والإصرار على العمل والإتقان والرضا ببذل المجهود وأحيانا بالمخاطرة بالحياة نفسها وببذلها .

فالإصرار والمثابرة على العمل الجاد فيهما دائما ووراءهما ، دافع إيمانى بشىء قد لا نعيه ، لكنه موجود وباق يؤدى مهمته فى صمت وبلا ضجيج . قد نفخر بنتائج أعمالنا وبما كلفتنا من عناء ومشقة ، لكن لا نتذكر القوة الداخلية الدافعة وراء رضانا بهذه المكاره . هذه القوة الدافقة هى إيماننا العميق بشىء معين اعتنقناه وأطعناه بلا أى تردد أو مناقشة .

- سئل حكيم من الزمن الأول : هل تخاف الموت ؟ فقال : القدوم على من يُرجَى خيره خير من البقاء مع من لا يُؤْمن شره .
- من أمارات المعرفة بالله حصولُ الهيبة من الله ، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته .
- إن الله تعالى قد جعل الفقه صفة القلب ، فقال : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف] . فلما فقهوا علموا ، ولما علموا عملوا ، ولما عملوا عرفوا ، ولما عرفوا اهتدوا وذاقوا حلاوة الهداية والإيمان.
- قال بعض الحكماء : «الألفاظ تقع فى السمع ، فكلما اختلفت كانت أحلى .. أما المعانى فتقع فى النفس ، فكلما اتفقت كانت أفضل » .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٦٥)

- لم ينقطع قط بين البشر وجود من يحاول تحويل ما فى خياله إلى واقع مهما كلفه ذلك من جهود ومعاناة .. والخائبون فى هذا السعى الذى لا يكف عنه البشر لا عداد لهم .. وفيهم من يموت فى المحاولة أو يصير عاجزا بسببها إلى أن يموت ، ولكن ما بين يدى البشر من الاستكشافات والاختراعات وتطويرها إلى الحد الذى وصلت إليه حتى الآن هو فى الغالب نتيجة إصرار وبجهد أفراد من هذه الفئة التى تصر وتدأب على تحويل الخيال والتمنى إلى واقع .. معظمهم غير معروف ، وبعضهم قد يذكر التاريخ أو المؤلفات أسماءهم ، وتسمى بأسمائهم ، النواميس والمقاييس والمعادلات والنظريات وأحيانا الأنهار والجزر والخلجان حتى القارات .
- سئل الشبلى إمام الصوفية فقيل له : أخبرنا عن توحيد مجرّد (أى خالص) ، وبلسان حق مفرد. فقال لسائله : «ويحك !! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ، ومن أشار إليه (أى أجاب بالإشارة) فهو ثنوى (من الثنوية) ، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن ، ومن نطق فيه فهو غافل ، ومن سكت عنه فهو جاهل ، ومن توهم أنه واصل فليس له حاصل ، ومن رأى أنه قريب فهو بعيد ، ومن تواجد فهو فاقد ، وكل ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فى أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم ، محدثٌ مصنوع مثلكم » .

- النفس لها قوتان : قوة الإقدام ، وقوة الإحجام . وهى أى النفس دائمة التردد بين الإقدام والإحجام ، فتقدم على ما تحبه ، وتحجم عما تكرهه . والدين كله إقدام وإحجام : إقدام على الطاعة ، وإحجام عن المعاصى ، وقوام ذلك كله فى الصبر .. لذلك كان الصبر نصف الإيمان .
- من مقابسات التوحيدى : «البلاغة هى الصدق فى المعانى مع ائتلاف الأسماء والأفعال والحروف ، وإصابة اللغة وتحرى الملاحة والمشاكلة برفض الاستكراه ومجانبة التعسف» .

***

- الاستكشاف هو معرفة البشر عمومًا لشيء أو قوة أو طاقة أو علاقة أو ارتباط أو ناموس عام لم يعرفه البشر أو يتقرر لديهم من قبل ، وإن كان موجودا أو يعتقد البشر وجوده منذ وجود العالم الخارجى .. فالاستكشاف هو معرفة واتضاح قدرة الآدميين على الاستفادة من هذا الكشف فى توسيع آفاق حياتهم وقدراتها . أما الاختراع فهو دائما أمر بشرى صرف لا وجود له إلا بسبب وجود الآدمى وعقل الآدمى ولخدمة غرض أو أكثر من أغراض الآدميين .. نفعيا كان أو مثاليا .. به يتم للآدمى ابتداع أشياء من تخيله لم تكن موجودة .
- الدين كله رغبة ورهبة ، فالمؤمن هو الراغب الراهب : قال الله تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٢١] .. والرغبة والرهبة لا تقومان إلاّ على ساق الصبر ، فرهبته تحمله على الصبر ، ورغبته تقوده إلى الشكر .
- قال بعض الصوفية إن المعرفة توجب غيبة العبد عن نفسه ، لاستيلاء ذكر الحق سبحانه عليه ، فلا يشهد غير الله ﷻ ، ولا يرجع إلى غيره ،

فكما أن العقل يرجع إلى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسنح له من أمر أو يستقبله من حال ، فإن العارف رجوعه إلى ربه . فإذا لم يكن مشتغلًا إلاّ بربه لم يكن راجعًا إلى قلبه .. وفرق بين من عاش بقلبه ومن عاش بربه ﷻ .

- قيل إن الكمال فى الوسط لا فى الطرف .. فليس الرقىَ كالهوِىِّ ، ولا الصعود كالهبوط ، ولا ما يُزَان به مثل ما يُشَان به !

***

- الإتقان يحتاج إلى الجهد والمثابرة والمعاناة ، ومن ثم فإن الرغبة فى تحقيقه تقتطع بشكل أو بآخر من راحة أو حرية الساعى إلى الإتقان . فالإتقان يحتاج بالضرورة إلى جهد واهتمام ، وإلى المزيد من الدقة فى الأداء ، وإلى تركيز الخيال وتقييد الحركة بقيود ضاغطة مما لا يرحب به أو يقوى عليه غالبية الناس !

وأنت تستطيع أن تراقب هذا الإتقان بهذا المعنى فى بعض النباتات من الأشجار إلى الطحالب والأعشاب ، وفى الفيروسات والبكتريا والفطريات ، وفى الحشرات والطيور ، وفى الثدييات والحيوانات العليا .

وربما كان وجود الاستعداد للإتقان قد سبق وجود الاستعداد للذكاء فى قاموس الحياة ، وهو قاموس بالغ السعة يبدو أنه يجمع عناصره فيتراكم جديدها على قديمها ، وربما كان هذا التراكم والتراكب ضمن خطوات الكون والحياة فى النمو والترقى .. وقد نرى آية ذلك فى " الأجهزة " التى تؤدى وظائفها آليا بلا إرادة أو اختيار لدى كافة المخلوقات من إنسان وطير وحيوان .

- قال أحد الصوفية : إذا بلغ العبد مقام المعرفة ألهمه الله بخواطره ، وحرس سرَّه أن يسنح فيه غير خاطر الحق .

- سئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال : «أن تخضع للحق ، وتنقاد له وتقبله .
- لا قيمة لبرٍّ قهره صاحبه فى ضميره وقلبه !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٦٦)

- لا يختلف أحد على أن العقل بملكاته وقدراته هو أميز ما تميّز به الإنسان عن باقى المخلوقات ، وأن الإنسان على قدر من الذكاء لا يدانيه فيه أحد على وجه الأرض .

والذكاء هو الاستعداد الداخلى الذى يواجه به الإنسان ما يعرض له فى الحياة وظروفها وأحداثها .. وهذه المواجهة تجرى بما يناسبها من استعداد وذكاء وملكات ، وتتواكب طرديًا وعكسيًا مع مقدار الذكاء الذى يتفاوت من شخص لآخر ، ولا يوجد ولم يوجد لدى جميع الناس بمقدار واحد أو بقوة واحدة ، وتتجلى هذه الفوارق حين نقارن ذكاء البدائى بأوساط الناس ، أو حين نقارن ذكاء هؤلاء بذكاء أمثال نيوتن أو أرشميدس أو أينشتين !

- فى العبد داعيان : داعٍ يدعوه إلى الدنيا وشهواتها ولذّاتها ، وداعٍ يدعوه إلى الله والدار الآخرةً وما أعد فيها لأوليائه من النعيم المقيم . فعصيان داعى الشهوة والهوى هو الصبر ، وإجابة داعى الله والدار الآخرة هو الشكر .. لذلك كان الصبر نصف الإيمان .

- من مقابسات التوحيدى : «بعض المسائل توجد بالفكر والروية ، وبعضها بالخاطر والإلهام .

ذلك أن البديهة تحكى الجزء الإلهى بالانبجاس ، وتزيد على ما يغوص عليه القياس ويسبق الطالب والمتوقع ..

والروية تحكى الجزء البشرى ، وكذلك الفكر والتتبع والاستمداد والتوقع ..

والبديهة أبعد من معانى الكون والفساد ، وأغنى من ضروب الاجتهاد والاستدلال ..

والروية ألصق بكمال الجوهر وأشد تصفية للطينة من الكدر .

وحكم ذلك فى القلب .. أن للقلب بديهة بالسانح ، وروية بالاستقرار .

• مدار الدين على أصلين : العزم ، والثبات . وهما الأصلان المذكوران فى الحديث : «**اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر ، والعزيمة على الرشد**». وأصل الشكر صحة العزيمة ، وأصل الصبر قوة الثبات . فمتى أيد العبد بعزيمة وثبات ، فقد أيد بالمعونة والتوفيق .

***

• إذا أمعنا النظر فى عمار ومدنيّة البشر وكما يبدو فى الأحياء الفاخرة من المدن الكبرى فى العالم أو كما يبدو فى موانيها الزاهرة الباهرة أو فى مطاراتها أو محطاتها أو فى معالمها الباذخة من قصور ودور للحكم ومتاحف ومعاهد ومكاتب أو فى مرافقها من فاخر الفنادق والمطاعم والملاهى أو فى دفاعاتها التى تتحرك مع ضخامتها الهائلة كالساعات الدقيقة .. إذا أمعنا النظر فى هذا كله وأشباهه وجدنا أن ذلك ومثله ليس ذكاء من أجل الذكاء ولا هو ترحيب بإتقان يدرك ويقدر قيمته ويقابلها بما يليق بها أو لها .. وإنما هو كله أو جله وسيلة وشكل وقشرة من أجل اجتذاب النفع والربح والرواج لدى غالبية الآدميين الذين تجذبهم هذه الصور المجيدة المتقنة .. وهى تتقبلهم مادام معهم من المال ما يكفى للربح من قبلهم ، بغض النظر عن حظهم من الذكاء أو الذوق أو حتى الفهم أوالترقى والتطور !

• قال بعض الصوفية : من عرف الله تعالى صفا له العيش ، وطابت له الحياة ، وهابه كلُّ شىء ، وذهب عنه الخوف من المخلوقين ، وأنس بالله تعالى .

- التواضع نعمة لا يُحْسد عليها ، والكبر مِحْنة لا يُرحم عليها ، والعز فى التواضع فمن طلبه فى الكبر لم يجده .
- قال حكيم من الزمن الأول : إن عدوا أخافه ويرضينى ، أقرب إلى نفسى من صديق آمَنُهُ ويخدعنى !

***

- لا غرابة فى أن يبقى الإنسان العادى إلى اليوم وإلى مستقبل يقصر أو يطول محصورًا فى عالم الإنسان لا يفارقه ، ولا يكاد ينظر إلى الكون والعالم الخارجى إلا نظرة عابرة سطحية قد تكون هامشية لا تعنيه كثيرا ! وربما كان هذا من أسباب ضيق مساحة ميدانه الأخلاقى وصعوبة قبوله قبولا فعليا كاملا أو شبه كامل للقانون الأخلاقى الذى تفرضه الديانات التى اعتنقها ويعتنقها الآن .. مراعيًا فقط مراسمها وبعض طقوسها ومواسمها وأعيادها والتى لا ينظر إليها إلا من خلال عالمه المحصور حتى فى تصوره للخالق عزّ وجلّ وللآخرة أو للحساب أو الثواب أو العقاب الأخروى .. إذ هو يدمج الكون والعالم الخارجى الهائل فى عالم الإنسان الصغير المحدود بحدود وعيه وتصوراته واعتقاداته وعواطفه .. مفترضا أن الكون كله جزء من عالمه وليس إلا جزءا من عالمه يجرى عليه ما تخيله هو من حق أو صدق أو خلاف ذلك مما صح لديه فى عالم الإنسان وحسب شرعة الآدميين وأعرافهم ومألوف عاداتهم فى حياتهم ووفق زمانهم وأحوالهم وظروفهم !!
- العبد لا ينفك عن أمر يفعله ، ونهى يتركه ، وقدر يجرى عليه . وفرضه فى الثلاثة الصبر والشكر ؛ ففعل المأمور هو الشكر ،

وترك المحظور والصبر على المقدور ، هو الصبر .. ومن هنا كان الصبر نصف الإيمان .

- قال بعض الصالحين : الأحياء أحياءٌ وإن ماتوا ، وإنما يُنْقلون من دار إلى دار .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٦٧)

• الإنسان يفقد التعلق بالصدق حين يكف عن اعتباره قيمة مطلقة تعلو على نفسه وعلى مصالحه ومنافعه ، فحين نرهن الصدق بالنفع أو المصلحة ، نكون قد أفقدناه قيمته وألغيناه . ونحن نفقد الصدق حين ننسى أنه لا يعيش إلاّ إذا كان سقفا واحـدًا لمشيئة البشر ، تقف عنده أهواؤهم وأغراضهم وأطماعهم ، بحسبان أنه أداة القياس النهائية التى تقاس بها وترتد إليها كل القيم !

• قال بعض العارفين فى محبة الله :

المحبة إيثار المحبوب على جميع المصحوب .

وقيل :هى موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب .

وقيل :هى مواطأة القلب لمراضاة الرب .

وقيل :هى معانقة الطاعة ومباينة المخالفة .

وقال أبو يزيد البسطامى : المحبة : استغلال الكثير من نفسك ، واستكثار قليل من حبيبك .

• لا خير لك فى مودة من يكرهك ، ولا فى مناكفة من لا يتفق معك ويأبى قبول الحق والنصيحة !

• من مواقف النِّفَّرى : من علوم الرؤية أن تشهد صمت الكل ، ومن علوم الحجاب أن تشهد نطق الكل .

ومن علوم صمت الكل أن تشهد عجز الكل ، ومن علوم نطق الكل أن تشهد تعرض الكل .

***

- أليس غريبا أن يخفق العجزة وأشباه العجزة ، عن أداء المهام الصغيرة والقيام بأعبائها الجزئية أو البسيطة ، ثم تراهم يتمنطقون ويتقدمون الصفوف ويتسابقون إلى صفحات الإعلام المرئى والمسموع والمقروء ليبشروا الناس بأنهم قد نذروا أنفسهم وحيواتهم وجهودهم لأغراض ضخمة وإصلاحات كلية كبرى لا يكادون يفقهون فيها شيئا . وهذه الميول المرضية المظهرية تدفع إلى الذهن أسباب إعراض أمثال هؤلاء عن الممكن المقدور عليه المتناسب مع قدراتهم المحدودة ، والإقبال شكلا لا مخبرًا على التماس الضخم الشامل الكلى !! من المحال أن يجرى ذلك إلاّ إذا كان أصحاب هذا التظاهر قد فقدوا الرجاء والثقة فى استطاعتهم أن ينجزوا شيئا ذا قيمة ، فصاروا يتظاهرون ويستعرضون اللياذ بالأمانى الكبرى التى لا يستطيع النهوض بها إلاّ ذوو العزائم الماضية والقدرات المتميزة والإمكانيات الحقيقية المشهود لها وبها .

من المؤسف أن هذه الآفة تفشت وانتشرت ، وصرنا نرى العاجزين عن القيام بمسئولياتهم ومهام عملهم الشخصية ، ينبرون لتقدم الصفوف تحت شعار أن كلا منهم «طبيب الملايين » .. بيده مبضع سحرى يستطيع أن يزيل به كل أمراض وأسقام وآلام البشر !

- من أقوال بعض الصوفية : للخلق أحوال ، ولا حال للعارف .. لأن رسومه محيت وفنيت هويته بهوية غيره ، وغيبت آثاره بآثار غيره .
- الحاسد إذا رأى نعمة على غيره بُهت وإذا رأى عثرة شمت !

- من لم يذق ألم الجفاء ، لم يعرف طعم البر والوفاء .

***

- المواهب والملكات ليست ولا يمكن أن تكون حصاد ثروة ، وكذلك الصحة والأمان النفسى ، وعقلاء الأغنياء يدركون هذه الحقيقة حتى وهم يسعون للخروج من ربقتها ، ولذلك لا يمكن التسليم بقالة مطلقة إن الثروة والتدين نقيضان لا يجتمعان . فهناك أغنياء لم يلفتهم ثراؤهم عن الإيمان بالله وتصاريف ما يقدره ، ولا عن خريطة واجباتهم التى يسخِّرون فيها ثرواتهم لإعطاء الجانب الإنسانى حقه من الرعاية والكفالة .
- قال أرسطاطاليس : خير الملوك من كان فى حدة نظره على مثال العقاب .. يعنى إنه إذا كان السلطان جيد النظر ذا يقظة للأمور ذا فكرة فى العاقبة سبر ما حوله واختار أصحاب النظر لا الجيف ، فتستقيم الأمور وتنتظم الأحوال .
- سئل الجنيد عن المحبة ، فقال : دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب . يشير بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب ، حتى لا يغلب على قلب المحب إلاّ ذكر صفات المحبوب ، والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها .
- من أقوال الصوفى يحيى بن معاذ : ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال :

  إن لم تنفعه فلا تضره ..

  وإن لم تسره فلا تغمه ..

  وإن لم تمدحه فلا تذمه ..
- قلوب العارفين ترى الأبد ، وعيونهم ترى المواقيت .

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٦٨)

- يبدو أن الإحساس بمرور الزمن وأثره نسبى ، ومعظمنا لا يشعر بزحفه عليه إلاَّ من خلال انعكاساته على الآخرين ، سيما إذا انقطع عن رؤيتهم فترة ، فيفجأه ما آل إليه حالهم حين يراهم ، فيستحضر ذلك أثر الزمن عليه ، هذا الأثر الذى تفوت مطالعة «المرآة» اليومية ملاحظة تطوراته التدريجية ، فيراها دفقة واحدة فى الصديق أو القريب أو الزميل الذى يراه بعد زمن .. ويبدو أن «شباب القلب» حين لا يشيخ ، يفوت ملاحظة زحف الزمن على الجسد ، فلا يلاحظ إلاَّ من خلال أمارات جسدية حين تصطدم الرغبة بالقدرة التى تتحلل وتتراجع وتخفت بمرور الزمن ، ومنا من يشاهد المباريات الرياضية ويتصور أو يظن أن بمستطاعه أن يجرى ويلعب ويفعل ما يفعله اللاعبون ، ولا يفيق من هذا الوهم إلاَّ حين يحاول محاكاتهم فيصدمه واقع الجسد الذى وهن وغادرته القوة والمرونة وسرعة التلبية العضلية وخبو اللياقة البدنية !
- من أقوال الحلاج : الخلق العظيم لباس التقوى ، والتخلق بأخلاق الله تعالى إذا لم يبق للأعواض عنده خطر .
- من الصوفيات : من أوتى الخلق فقد أوتى أعظم المقامات ، لأن للمقامات ارتباطًا عامًا ، والخلق ارتباط بالنعوت والصفات .
- من كان بالله أعرف ، كان له أخوف .
- من عرف الله تعالى انقطع عمّا سواه .

***

- ليس من اليسير ، مع سطوة وارتفاع شأن المال ، تجاهل تأثيره على جدول القيم ، فالمال صار على رأس القيم فعلًا وواقعًا ، وأخذ المال يحتل معظم تفكير وأنشطة الناس ، ولوحظ تأثيره على هبوط الخامة البشرية ، وهذه الخامة الإنسانية هى قبلة الأديان ، لذلك لم يتوقف الصراع قط بين الأديان وبين المال على نفوس الناس وأرواحهم ، وأطل تساؤل يقول : هل يمكن أن تصبح الأشياء المادية أغلى وأثمن من الآدمى ذاته فى مجتمعات الثروة ؟!
- من أقوال سفيان الثورى : خير الولاة من جالس أهل العلم .. فالأشياء تتجمل بالناس ، والناس يتجملون بالعلم وتعلو أقدارهم بالعقل .. وليس شىء خيرًا من العقل والعلم ، فإن العلم بقاء العز ودوامه ، والعقل بقاء السرور ونظامه . ومن اجتمع فيه العلم والعقل ، فقد اجتمعت فيه اثنتا عشرة خصلة : العفة ، والأدب ، والتقى ، والأمانة ، والصحة ، والحياء ، والرحمة ، وحسن الخلق ، والوفاء ، والصبر ، والحلم والمداراة فى مكانها .
- قيل فى المحبة إنها الموافقة ، وإن أشد الموافقات : الموافقة بالقلب ، وإن المحبة توجب انتفاء المباينة .. فإن المحب أبدًا مع محبوبه .
- قال أحد العارفين : مثل الذى يغتاب الناس ، كمثل من نصب «منجنيقا» يرمى به حسناته شرقا وغربا ، يغتاب هذا ويغتاب ذاك ، فيفرق حسناته ، ويقوم ولا شىء معه .
- من جاء إلى ربه ، فليلق العبارة وراء ظهره ، وليلق المعنى وراء العبارة ، وليلق الوجد وراء المعنى ..

***

- التناسب العكسى الوحيد الذى يناقض شيخوخة البدن ، هو نمو واتساع وجلاء العقل واطراد قدراته بعكس خفوت باقى الوظائف العضوية ، بيد أن هذا التعويض لا يدركه ويقدره إلاَّ من يقدرون ويعلون العقل ، ويرون فيه القيمة الحقيقية للعطاء الإنسانى . على أن هذا التعويض العقلى لا يخلو بدوره من منغصات معارضة معاكسة حين تصيبه بدوره الشيخوخة والخرف ، وقد ينجو منها البعض حتى آخر العمر ، وقد يُرزأ بها آخرون قبل ميقاتها المقدور ، فيعانون خفوت وربما ذهاب العقل ، وقد صور القرآن المجيد هذه الحالة أبلغ تصوير ، فقال الحكيم الخبير : ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [النحل ٧٠] .
- إذا داوم العبد الإقبال على الله ، وداوم الذكر بالقلب واللسان ، ارتقى إلى ذكر الذات .
- إذا اكتمل القلب بنور ذكر الذات وصار بحرًا موَّاجًا من نَسَمات القرب ، جرى فى جداول أخلاق النفس صفاءُ النعوت والصفات ، وتحقق التخلق بأخلاق الله تعالى .
- قال بعض الصوفية : المعرفة توجب الحياء والتعظيم ، كما أن التوحيد يوجب الرضا والتسليم .
- قيل فى العارف إنه أنس بذكر الله فأوحشه من خلقه ، وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقه ، وذلّ لله تعالى فأعزّه فى خلقه .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٦٩)

- إن الله تعالى هو وحْدة الموحدين الحقيقية ، وهو وجودهم الحى ..هو وحْدَه سبحانه وتعالى الذى شد ويشد إليه مئات الملايين من الضعفاء والفقراء ، فلم ولن تبتلعهم قوى هذا العصر الخطرة الشريرة . وهذا الشعور العميق الغائر فى نفس المؤمن ، هو الحبل الذى يقيه ويتماسك به ، وقتل هذا الشعور هو الذى يقتل ويجافى الدين .
- من أقوال الصوفية إنهم راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى أجابت إلى تحسين الأخلاق .. وكم من نفوس تجيب إلى الأعمال ولا تجيب إلى الأخلاق ؛ فنفوس العُبَّاد أجابت إلى الأعمال وجمحت عن الأخلاق ، ونفوس الزهّاد أجابت إلى بعض الأخلاق دون بعض ، ونفوس الصوفية أجابت إلى الأخلاق والأعمال .
- من مواقف النِّفَّرى: قل للعارفين إن رجعوا يسألون الله عن معرفته فما عرفوه ، وإن رضوا القرار على ما عرفوه فليسوا بقريب من معرفته .
- من عرف كوامن نفسه تطامن ولم يطمع فى العلو فى الأرض .. وشغل نفسه بذكر الله وحمده ، بدلًا من الثارات والخصومات .
- قال شاعر حكيم :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت   أتاح لها لسان حسود

***

• العاقل من يدرك أن الحياة تمضى على سنن التعويض ، فلا يتوارى شيء بغير بديل يحل محله ، وقد يعوضه بشكل ما ، فلا تكاد أوراق الشجر تسقط إلا وتنمو بدائلها ، لذلك كان الرضا والتسليم هما غاية العاقل ، فيهما تصب كل الرجوات فى حياة الإنسان التى لا تبقى على حال ولن تبقى على حال !

• قال بعض العارفين : للدين خمسة فى الظاهر ، وأخرى فى الباطن.. فأما اللوائى فى الظاهر : فصدق اللسان ، وسخاوة فى الطبع ، وتواضع فى الأبدان ، وكف الأذى ، واحتمال البلاء بلا إباء . وأما اللوائى فى الباطن : فحب الله ، والخوف من فراق ذكره ، ورجاء الوصول إليه ، والندم على ما يفرط منه ، والحياء من ربه .

• فى مواقف النِّفَّرى ، إن المهيمن لا تخفى عليه سبحانه خافية ، وإن كل خافية عند العليم ﷻ بادية .

• طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة .. فإن طاعة المحبة من الداخل ، وطاعة الرهبة من خارج !

• خبايا المؤمن فى خزائن الله ، لصدق توكله ، وثقته بربه ﷻ

• قال بعض الصوفية إن أكثر فساد الأحوال من ثلاثة :

فسق العارفين ..

وخيانة المحبين ..

وكذب المريدين ..

***

• الشعور بالحرية الداخلية ، هذا الشعور المليء بالوقار والطمأنينة ، منبعه وواحته الدين . ونرى بهذا المعنى الكلى كيف أن منظومة دين كالإسلام ،

توفر عناصر وضوابط وروح ومعنى الحرية . فالمسلم الصادق يكون حرًّا وهو مسجون ، وحرا وهو رقيق ، وحرا وهو فقير .. وهكذا رأينا بلال وسلمان الفارسى وصهيب الرومى وغيرهم ، قلوبهم الملآنة بالحرية هى التى تجاوزوا بها الفقر وتحرروا من نير العبودية وآمنوا بقلوب معمورة بحرية أعمق وأشد من حرية الكثيرين من الطلقاء والسادة والأغنياء وذوى الجاه والزعماء .

هذه الحرية الداخلية التى يطلقها الإسلام فى قلب المسلم الصادق ، ليست السلبية أو البلادة أو عدم المبالاة ، وليست فى الرعونة ولا الحماقة والتجبر على الناس أو العصف بحيواتهم وبالعمران ، وهى بالبداهة ليست حرية ترك الدين أو الانقلاب عليه ، وإنما هى أخوة فى الله ، أبدية فى الدنيا والآخرة ، تجمع المؤمنين بقلوب عامرة بالهداية والإيمان الذى يربط عليها بحبل متين تستقيم به الحياة بين جميع الأحياء .

- فى مواقف النِّفَّرى : التقط الحكمة من أفواه الغافلين عنها كما تلتقطها من أفواه العامدين لها ..
- الحسود فى غمٍّ دائم ، لأنه ناقم على ما بأيدى الناس من أرزاق !
- قال حكيم من الزمن الأول : إن الفلك فى سرعة دورانه قل أن يثبت على حاله . وقال بعض العارفين : إن الكون فى صيرورة دائمة لا تتوقف .. والفطن من ينفض الغفلة ويلحق بالركاب !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٧٠)

- القبح موجود ، كما أن الجمال موجود ، فى كل مجتمع من المجتمعات .. والقبح الذى أعنيه هو كل قبح : القبح المادى ، والقبح المعنوى .. وليس بيدى إحصائية تدلنى على كم كانت مساحة القبح فى الزمن الفائت ، وماذا أصبحت أو أضحت أو أمست أو باتت الآن .. ولكنى أعرف من واقع المشاهدة اليومية أن القبح والجمال يختلطان فى بلادنا اختلاطا غريبًا .. المسافة من منزلى بالمهندسين إلى وسط المدينة حيث المحاكم ومعظم مطالب الناس ، مسافة قصيرة لاتتجاوز كيلو مترات قليلة ، وتقطعها السيارات فى دقائق معدودات .. على أن الغريب اللافت ، أن هذه الرحلة القصيرة تصافح الراجل فيها مشاهد ومناظر متباينة أشد التباين ، بل ومتنافرة أشد التنافر ، ما بين الجمال فى قمته ، وما بين القبح فى هاويته .. هذه الصور المتباينة المتنافرة ، إنما تدل على أننا قادرون على صناعة الجمال ، وربما الإحساس به ، وتدل على أننا قادرون أيضا ومن أسف ! على صناعة القبح .
- من أقوال الإسكندر ذى القرنين : خير الملوك من بدل بالسنة السيئة سنة حسنة ، وشر الملوك من بدل بالسنة الحسنة سنة سيئة .
- من أقوال لقمان : لكل شيء مطية ، ومطية العمل التواضع .
- من أقوال ابن عطاء :الخلق العظيم لا يكون له اختيار، ويكون تحت الحكم مع فناء النفس وفناء المألوفات .

***

- القدرة على «رؤية» القبح ، تختلف عن الالتفات الواعى إليه ، وكلاهما يختلف اختلافًا بينا عن « فقدان الإحساس» بالقبح .. ففقدان الإحساس بالقبح يختلف عن عدم القدرة على تذوق الجمال . وإنما هو تبلد وخبو فى المشاعر والأحاسيس وخفوت فى الطاقة الروحية ، وفى البناء النفسى ، يجعل الآدمى متبلدًا لا يرى ، ولا يلتفت والأدهى : لايحس .. أخطر ما يمكن أن يلم بالآدمى هو «قانون العادة» !!
- قال الجنيد الإمام الصوفى : لا يكون العارف عارفًا حتى يكون كالأرض يطؤها الجميع ، وكالسحاب يظل كل شىء ، وكالمطر يسقى ما يحب وما لا يحب .
- لا تعاجل بالعقوبة ، فقد يكون النصح مع المهلة أوجب للصلاح .
- من أقوال الجنيد عن صاحب المقامات ؛ قال : تجتمع فيه أربعة أشياء : السخاء والألفة ، والنصيحة والشفقة .
- من مواقف النِّفَّرى : لن تدوم فى عمل حتى ترتبه وتقضى ما يفوت منه ، وإن لم تفعل لم تعمل ولم تدم !
- لكل شيءٍ جوهر ، وجوهر الإنسان عقله، والصبر جوهر العقل.

***

- ما يقلق ليس فقط ذيوع القبح ، المادى والمعنوى ، وإنما يقلق أكثر وأكثر التبلد الذى ران حتى صار الإحساس بالقبح والالتفات إليه مزية نادرة تكاد تكون مقصورة على « الصفوة » وأعنى الثقافية والمعرفية والخلقية التى لم يفلح زحف القبح فى اقتلاع ما لديها من ذوق وإحساس والتفات .. فبقيت قادرة على خلاف مجموع بحر العاديين من الناس على الالتفات والإحساس وإن لم تتصد بذات القدر الفاعل ، لظواهر القبح المادى والمعنوى التى تكاد تكون قد اجتاحت حياتنا !!

- قال أحد الصوفية : التصوف خُلُق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف .
- من علامات القوة : قوة العقل ووفرة العلم ، والحلم وحسن المداراة.
- فارق كبير بين أصدقاء الإخاء الخالص ، وبين أصحاب اللقاء وعبيد العيون .. فهؤلاء لا تجمعهم إلاَّ رغبة أو رهبة ، والحاضر منهم لا يهمه غياب الغائب ، ولا يفرحه حضوره ، وافتراقهم لا يترك فى نفوسهم وحشة ، ولا يبعث اجتماعهم فى نفوسهم أُنْسا ولا بهجة !
- قال بعض العارفين : «الدعاء مفتاح الحاجة ، ومستروح أصحاب الفاقات ، وملجأ المضطرين ، ومتنفس الطالبين » .
- قيل فى العارف إنه لا يكدره شىء ، ويصفو به كل شىء .

***

- من أقوال ابن عطاء الله السكندرى :

النفس مجبولة على سوء الأدب ..
والعبد مأمور بملازمة الأدب ..
والنفس تجرى بطباعها فى ميدان المخالفة ..
والعبد يردها بجهده إلى حسن المطالبة ..
فمن أعرض عن الجهد فقد أطلق عنان النفس ، وغفل عن الرعاية ..
ومهما أعانها فهو شريكها !!

- قال بعض العارفين : الأدب أدبان : أدب قول ، وأدب فعل .

فمن تقرب إلى الله تعالى بأدب فعل منحه سبحانه محبة القلوب .

- لن يلقى الراحل فى موته ، إلاّ ما كان منه فى حياته !
- بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنًا له اشترى فصًّا بألف درهم ، فكتب إليه عمر : «بلغنى أنك اشتريت فصًّا بألف درهم فإذا أتاك كتابى هذا

فبع الخاتم ، وأَشْبع ألف بطن ، واتخذ خاتما من درهمين ، واجعل فصه حديدًا صينيا ، واكتب عليه : رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه» !

- قال حكيم من الزمن الأول : تبقى الدول مادام بساط العدل والإنصاف مبسوطًا .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٧١)

- انعدام أو ضمور الإحساس بالقبح ليس مجرد افتقاد القدرة على تذوق الجمال .. قد تخفت فى الآدمى شعلة الإحساس بالجمال وتذوقه ، ومع ذلك يبقى قادرًا على ملاحظة القبح والانتباه له والنفور منه .. فأخطر من القبح ذاته ألا نراه .. وأخطر من ألا نراه أن نعتاده ناهيك عن أن نألفه ونستسيغه ونفرزه .. ثم نسغى بالوعى أو باللا وعى إلى إساغته وتبريره للناس .. نزين لهم الباطل حقا ، والقبح جمالا ، والشر خيرا .. !!
- قال الصوفى أبو على الدقّاق فى التفرقة بين الشوق والاشتياق : الشوق يسكن باللقاء والرؤية ، والاشتياق لا يزول باللقاء . وفى هذا المعنى أنشدوا :

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته
حتى يعود إليه الطرفُ مشتاقا

وقال بعضهم : للخلق كلهم مقام الشوق ، وليس لهم مقام الاشتياق .. ومن دخل فى حال الاشتياق هام فيه حتى لا يُرَى له أثر ولا قرار .

- من أقوال الصوفية : لا يلبس العبد لباسًا أفضل من التواضع ، ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة ، أقام لنفسه مقدارًا لدى العارفين .. ومن رزق هذا فقد أراح واستراح .
- إذا انقضت المدة ، لم تنفع العدة !
- رب شىء بكيت منه ، فلما فاتك بكيت عليه !

• قليل البر يجتذب القلوب ، ويستر الهوان بما يعود به عليك من الحمد والثناء .

***

• الأدهى من انتشار القبح عدم التفاتنا إليه ، وتعودنا عليه بل وإفرازنا له نتيجة خفوت قدرتنا على التنبه إليه والنفور منه .. فلو صحت واستقامت بوصلة انتباهنا وملاحظتنا والإحساس بالقبح ، لعافيناه وواجهناه واقتلعناه من أنفسنا ، ولقاومناه فى غيرنا ، ولسعينا إلى تصحيحه وبذلنا قصارى مستطاعنا فى وأده وإزالته من حياتنا ..

• سئل الجُنيد عن التواضع ، فقال : خفض الجناح ولين الجانب .

وقال الفُضيل : تخضع للحق وتنقاد له ، وتقبله ممن قاله ، وتسمع منه .

• التواضع نعمةٌ لا يُحسد عليها .. كذلك بلاء الكبر ، فلا يُحسد المبتلى به!!

• قال ذو النون المصرى : علامة العارف ثلاثة : لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطنًا من العلم ينقض عليه ظاهرًا من الحكم ، ولا تحمله كثرة نعم الله ﷻ عليه على هتك أستار محارم الله .

• لا تصفو الدنيا لشارب ، ولا تبقى لصاحب ، والعاقل من تزود من دنياه لآخرته .

• مدد الأعمار مهما طالت قصيرة ، وأيام العز وإن طالت ضئيلة !

• قال حكيم من الزمن الأول : إن الاتصال والتلاقى يجددان الود ، بينما يجىء التباعد والتجافى من قلة الصبر والاحتمال !

***

• لا تخطئ العين المتأملة ، أن الأغلبية الفقيرة أقوى بالفعل والواقع تمثيلًا للاستعدادات الموجودة فى كيان الآدمى .. ثم هم إلى جانب ذلك حفظة

الماضى ومعه الأفكار والعادات القديمة التى يصفها الأوساط والأغنياء بالتخلف أو التأخر والجهل ؟!

هذا القطاع الغالب من الناس ، عصب الإنتاج ، وحافظ التراث الشعبى ، وحامل منظومة الشمائل الشعبية التى تقيم وتحفظ الجسور الدافئة بين الناس ، يكادون ينحصرون فى حياتهم الطبقية .. يترفع عليهم الأوساط والأغنياء ويكادون يحتقرون حياتهم علانيةً أو خفيةً .. ولا يحبون أن توجد صلة حميمة ينسون فيها الفارق بينهم وبين الفقراء الذين منهم من عاش حياته يخدمهم ويحبهم ؟!

- قيل إن الكبر يختلف عن التكبر.

فالكبر ظن المتكبر أنه أكبر من غيره ، أما التكبر فهو إظهار ذلك ، ومن فعلها فهو كاذب !

- قال بعض العارفين : حقيقة الإيثار أن تؤثر بحظّ آخرتك على إخوانك ؛ فإن الدنيا أقل خطرًا من أن يكون لإيثارها محل أو ذكر.
- خير المنصفين من أنصف من نفسه .
- لا محل للغل فى قلوب ائتلفت بالله واجتمعت على محبته وأنست بذكره .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٧٢)

- إننا عادة ما نحاول تعاطى « فاكسين « ضد القبح ، نتوهمه فى مجرد الالتجاء إلى الأشياء الجميلة أو التى نظنها جميلة ، فنتزيا بها أو نقتنيها أو نتماس معها ، .. وقد نقيم القصور ونتفنن فى تجميل الجوامع والكنائس وقد نتذرع بالتعلات والتبريرات للتخلص من وطأة الشعور بالقبح ، وقد يهرب البعض بالخمور والمخدرات والعقاقير وننسى فى كل ذلك أن سلاحنا الحقيقى ضد القبح ، هو جمال أرواحنا .. هو استقامة ضمائرنا .. وهو فى نقاء نفوسنا .. هو فى اشتعال الطاقة الروحية فى حنايانا .. فى إيماننا بالحق والعدل والجمال .. فى إدراكنا أن الإفلاس الحقيقى هو فى عجزنا عن إنتاج الأبطال الحقيقيين لا الوهميين .. فى مفارقتنا القدرة على أن نرى نور الله فى آدميين من حولنا يلتزمون فى صمت ووقار قيم العدل والحرية والحق والصدق والجمال.
- من الصوفيات : من لا يكون له حظ من التواضع الخاص على بساط القرب ، لا يتوفر له حظ فى التواضع للخلق.
- قالوا فى الصلاة : تحقيق العبودية ، وأداء حق الربوبية .
- رب مصلٍّ يقبل على الله تعالى فى الصلاة إقباله عليه سبحانه يوم القيامة . حياتك من صنع تفكيرك ، فمن حَسُن تفكيره حَسُن عمله وحَسُنت حياته .

***

- هل تأمل أحد ، لماذا عادةً ، فى كل المجتمعات الكبيرة غنيها وفقيرها ، حاضرها وباديها ، المتقدم منها أو القابع فى وهدة التخلف لماذا نجد أكثر الناس فقراءً بالقياس إلى الأغنياء ، بل والأوساط : فقراء فى معايشهم وفى طعامهم المعتاد وفى مساكنهم وفى فهم آمالهم وأطماعهم وفى المعالم والشواهد العامة لحياتهم ومماتهم .. ثم لماذا هم برغم ذلك أكثر الناس عطاءً رغم قلة إمكاناتهم وفقر أموالهم ، وأقدرهم فى الوقت نفسه على إبداء الإخلاص والعرفان والترحيب بالشهامة والمودة والصحبة ومراعاة الجوار والقرابة والصداقة فى حدودهم الضيقة ، مع شدة تعرضهم لليأس والانحطاط والسقوط والارتماء فى أحضان الرذيلة والشرور ؟!
- من أقوال الصوفى أبى يعقوب الرازى : من رأى لنفسه ملكا لا يصح منه الإيثار ، لأنه يرى نفسه أحقّ بالشىء برؤية ملكه ؛ إنما الإيثار ممن يرى الأشياء كلها للحق ﷻ ، فمن وصل إليه فهو أحق به.
- كتب صديق إلى صديق له باعدت بينهما الأيام .. يقول له : لبثت بعدك بقلب يود لو كان عينا فيراك ، وبعين تود لو كانت قلبا فلا تخلو من ذكراك .
- قال حكيم من الزمن الأول : إذا كنت حافيًا فانظر إلى من بُترت ساقاه !

***

- علام تدل أو بماذا تورى هذه الظاهرة الشاملة لأغلب الناس فى المجتمعات الكبيرة مع ما تنطوى عليه من متناقضات ما بين الفقر والعطاء ، وما بين الشهامة ودفء العلاقات والصحبة وبين الاستعداد للتفكك والسقوط ؟! هل لأنهم بالضرورة أقوى تمثيلًا للاستعدادات الفطرية الموجودة فى

كيان الآدمى ما بين الخير والشر والتى تكشفها ظروف الفقر فيتعرى فى الآدمى ما جبل عليه من خير وشر وتحدث عنه القرآن المجيد فقال : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس] ..

- لا يبلغ الآدمى حقيقة التواضع إلاَّ عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه .. فعند ذلك تذوب نفسه ، وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعُجب ، فتلين وتطيع للحق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها.
- العتاب الصادق لا يوجب العداوة أو الجفوة ، ولا يخرج عن طريق المودة .
- من لطف المقادير أن سرائر الناس خفية عن العيون ، فقد تحيل معرفتها حياة البعض إلى جحيم !!
- لا يندم على الأفعال الجميلة أحد وإن أسرف ، وإنما يأتى الندم من الأفعال السيئة وإن قلت !!

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٧٣)

- حساب السياسى ، هو حساب المكسب والخسارة ، أما حساب «الداعية » فيجب أن يكون حساب الحق والواجب .. وشتان بين حساب «المصلحة» وحساب الواجب» ، بين حساب «الخسارة» «وحساب» المبدأ !! ولهذا الخلط فى الأوراق على ما فيه من قبح تضيق الأحزاب السياسية القحة أو الصرفة ، بالأحزاب السياسية الدينية أو المتشحة بمسوح الدين .. لأنها تلعب سياسة وتتترس وتتعالى بمتراس الدين ، فتخلط بين الدينى والسياسى ، وتحاجى السياسى بحجة الدين بينما هى غارقة فى السياسة حتى النخاع ، وتحرم السياسى من حجة الدين وقد يكون أكثر اعتقادا فيه والتزاما به ؟!!
- من أقوال ذى النون : ثلاثة من علامات التواضع : تصغير النفس معرفةً بالعيب ، وتعظيم الناس حرمةً للتوحيد، وقبول الحق والنصيحة من كل واحد.
- من أقوال الجلال البصرى :

التوحيد يوجب الإيمان ، فمن لا إيمان له لا توحيد له .

والإيمان يوجب الشريعة . فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له .

والشريعة توجب الأدب . فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له .

- قيل فى العارف إنه لا يكدره شىء ، ويصفو به كل شىء .

• خيرٌ لك أن تصنع التاريخ ، من أن تبكى على أطلاله !

***

• إن أخطر ما تدفعه الدعوات الدينية يكون حين تخلط الأوراق بين ماهو دينى وماهو سياسى ، ولا تلحظ ما فى أساليب السياسة أحيانا من قبح .. كالرياء والنفاق والخداع ... إلخ لا يسيغه الدين ولا يقبله ، وهذا الخلط لا يرفع الدعوة فى ميدان السياسة ولكنه يفقدها وهذا هو الأخطر مشروعية وروح الدعوة ويؤدى إلى خبو أو خفوت جذوة الطاقة الروحية للدعوة .. فيختفى أهم ما فى الدين كقوة روحية إصلاحية دافعة جاذبة !!

• إذا ارتحل التواضع من القلب ، نضحت آثار الكبر فى بعض الجوارح ، بتصعير الخد ، أو لى العنق.. عن ذلك نهى رب العزة فقال فى كتابه العزيز : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ ، وقال : ﴿ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المنافقون] ..

• قد تجدد الرسائل ما أماته البعاد ، وتجدد ما أبلاه الزمان .

• قال ذو النون المصرى : الزهّاد ملوك الآخرة .. وهم فقراء العارفين .

• الهمس الصادق خير وأبقى من الضجة الكاذبة !

***

• من المسلمات أن حياة كافة الأحياء على الأرض .. مبناها مواصلة الكفاح سواء فى صورها المرئية أو غير المرئية .. وهو كفاح دائم وملحوظ فى الأفراد وفى المجاميع .. يستمر من اللحظة التى تدب فيها الحياة فى أى حى ، إلى لحظة أن تفارقه ..هذا الفارق الزمنى بين البداية والنهاية ، أو ما اصطلحنا على تسميته بالعمر ، هو فارق نسبى يختلف بين حى

وآخر . قد يكون فى غاية القصر، وقد يمتد سنين طويلة بحسابات الآدميين . لا تدهش إذا لاحظت هذا الكفاح فى حياة بعض أنواع النبات والحيوان . هذا مرده أن استمرار الحياة ، يحتاج إلى المدد المستمر من الخارج ، ويحتاج إلى التخلص المستمر من مخلفات وفضلات الداخل.

- التواضع يجرى على ضربين : الأول : تواضع العبد لأمر الله ونهيه ، والثانى: أن يضع العبد نفسه لعظمة الله ، وأن يترك مشيئته لمشيئة الله.
- من أقوال الصوفية إن النفس عند المواهب الواردة على الروح والقلب تسترق السمع ، ومتى نالت قسطًا من المنح استغنت وطغت ، والطغيان يظهر منه فرط البسط ، والإفراط فى البسط يسد باب المزيد ، وطغيان النفس إنما يكون لضيق وعائها عن المواهب .
- لا يتعاظم ذنب أمام عفو الغفور الرحمن .
- من الفطانة الثاقبة إدراك الظلال الدقيقة كما تدرك الواضحة الصريحة .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٧٤)

• ليس من شك ، أن الأديان وبعض المذاهب ، قد وقفت وقفة لافتة وإنسانية ، إزاء التفاوت وآثاره بين البشر .. وسعت وسعى المخلصون العقلاء إلى احتواء هذه الآثار الضارة ، وإلى تلمس قدر أكبر من التوازن يكون من شأنه إزالة آثار هذا التفاوت ونواتجه . قضية المساواة بين البشر صارت من زمن قضية مطروحة وبشدة أمام حقائق التفاوت وعوادمه .. تتقدم النظريات والأفكار فكرة تحسين حال الكثرة ماديا واجتماعيًا وفكريا وتخليصها من الفاقة وخطر الفاقة والهوان والتعرض للهوان البدني والنفسي وإنقاذها من الأمراض المترتبة على الفقر والمرض والهوان ، وهذا مطلب وهدف ممكن وسديد ومعقول ، ينبغي أن تدرك معه الإنسانية أن تنفيذه يحتاج إلى وقت وجهد ومال وإخلاص ، فتنفيذه واجب إذا أريد لجنسنا البقاء ودوام الترقي .. رب نظر آخر أو فكرة أخرى تتجاهل علمانيا الفروق الطبيعية بين الآدميين فى الأجساد والمواهب والموارد والأجواء والأقاليم والأمكنة والأزمنة ، إلا أن هذه الفكرة العلمانية تغفل الفروق الواقعية التى بنيت على جهود وتضحيات ومساع لأجيال متتابعة . هذا الإغفال أو التجاهل التام من شأنه أن يزيل أو يمحو الآثار والنواتج المفيدة لكفاح الآدمى والتى أصبحت ضرورة للحفاظ على مستوى الحياة الاجتماعية والفردية .

- من أقوال الجُنيد : من أعان نفسه على هواها فقد أشرك فى قتل نفسه ، لأن العبودية ملازمة الأدب ، وسوء الأدب من الطغيان !

***

- يبدو أنه لا غنى للمساواة ولعل الأدق : «للشعور بالمساواة» فى كل شيء بين الأفراد فى جماعة ما لا غنى لتحقق هذا من وجود هدف عظيم قادر غالب متحكم فى نفس وعقل كل فرد ، بحيث ينسى مع الشعور به وتذكره الدنيا وفوارقها نسيانا غالبا عميقا تهون أمامه وربما تختفى القيم والأهداف والسباقات الدنيوية بقضها وقضيضها التى تواجه الملتفت إليها فى كل لحظة . هنالك يمكن أن يقترب من الواقع التساؤل : هل يمكن أن يتسع أمام البشر بفضل العلم والترقى والتطور ميدان الحياة والأحياء فى هذا الكون الواسع بحيث يمكن أن يبلغ أى فرد ما يريده بيسر وبلا عائق ؟! أو هل يمكن أن يصل البشر ، إلى وسائل ميسرة فى متناول إرادتهم وأيديهم تمكنهم من السيطرة فى كل وقت على طباعهم ورغابهم ، وإخضاعها دائما لصوت الأفهام والعقول ، فيعرف كلٌّ معرفة يقينية إمكاناته واستعداداته ويرضى بما تيسره له ، ويستقبح أن ينظر إلى غيره نظرة الطامع أو الحاسد أو الحاقد أو الأنانى أو الطاغى أو المتحكم المستبد ؟! أترى هذا ممكن التحقق والتحقيق ، أم أنه خيال فيما يرى النائم لأحلام «المدينة الفاضلة » ؟!
- قال أحد الحكماء : إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ، ولا تلقه بالعلم .. فإن الرفق يؤنسه ، والعلم يوحشه .
- العاقل من ينظر إلى ما به يسكن ، فإنه مضاجعه فى قبره .
- إذا لقيت القاسية قلوبهم فصف لهم رحمة ربك ، فإن أجابوك وإلاَّ فاذكر لهم عظيم سطوته .

***

- كلمة «الإلهام» ، كلمة تتردد كثيرًا على ألسنتنا ، ترددا قد لا يتوقف أحد متأملًا واعيًا لمعناها . وقد نطيل الحديث عن «الإلهام» دون أن نحاول معرفة شيء من واقعه معرفةً جادة وربما اتفق معظمنا بصورة غير واضحة على أن الإلهام فكرة طارئة تطرأ فجأة على البال عندى أو عندك لم يكن انتظارها متوقعًا بل ربما لم يكن طروؤها متصور الإمكان ، فإذا بهذه الفكرة الطارئة بالإلهام فكرة منتجة إنتاجًا حقيقيًا استطعنا بها أن نتفادى حدثًا ضارًا أو مؤذيًا ، أو نقبل على عمل أو خطوة ناجحة ، أو نمتلك مفاتيح مشكلة باتت عويصة أو أخرى يئسنا من استيجاد حل لها .
- سئل الإمام أحمد بن حنبل : «ما الفتوّة؟ فقال : تركُ ما تهوى لما تخشى » .
- قال حكيم من الزمن الأول : إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم !
- قال بعض العارفين : «سخاء النفس بالكف عما فى أيدى الناس ، أفضل من سخاء النفس بالبذل » ..

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٧٥)

- الحج سياحة روحية ، يستخلص فيها الإنسان روحه ونفسه من الدنيا وشواغلها ، ويتجه فيها إلى ربه مخبتًا متبتلًا يؤدى مناسك الحج وقد أسلم وجهه وروحه لله ، واستغنى بذكره وتسبيحه عما سواه ، ميممًا بكله جسدًا ونفسًا وروحًا شطر المسجد الحرام الذى جعله سبحانه وتعالى مثابةً للناس وأمنًا ، فى رحابه تتعلق الأرواح بربها ، وتتسامى بنورانياتها وعكوفها وقيامها وركوعها وسجودها وطوافها وسعيها وتترك الجدال والفسوق ، والمراء واللجاج ، لا تذكر إلا الله فى هذه الأيام المعدودات التى تنسلخ فيها الأرواح من الماديات والحسيات ، ومن الخصومات والعداوات ، وتتزود بالتقوى وتبتغى الفضل من ربها وتشكره ﷻ على ما رزقها ، ولتفى بنذورها ، وتتطوف بالبيت العتيق .
- من أشر الناس من يتركه الناس أو يتجنبونه اتقاء فحشه.
- من أقوال ذى النون المصرى : «من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه» .

***

- الأنبياء والرسل ، قمة القمم فى تلقى الوحى والإلهام ، ينفردون بذلك الوحى الإلهى عن باقى البشر ، وينفردون أيضًا بقيامهم بأعباء النبوة والرسالة الإلهية ، يعانون فى حملها وأدائها مشقة هائلة ، لا يبتغون فى بذلها فضلًا ولا عوضا ، لا يملكون ولا يعنيهم أن يملكوا شيئا .. كلهم

بها لديهم لله تبارك وتعالى .. الأنبياء والرسل ينفردون دون باقى خلق الله للقيام بهذه الرسالة العظمى عن الناس جميعا .. يصدرون عن إحساس عميق ، وعقيدة ، بأنهم مدينون للناس جميعًا وليسوا دائنين لهم أو لأى منهم.. هذا الموقف الكلى يجب الوقوف فى جلال وتأمل إليه وفهمه فى كليته .. إذ يستحيل تجزئته لأن حقيقته الأساسية تختفى وتضيع فى محاولة تجزئته إلى عناصر منفصلة . فهم هذا الموقف الكلى المتوحد والموحِّد الموحَّد يقتضى المحافظة على وحدته والإحساس بوجوده تامًا ، إذ بغير ذلك تفلت أو يمكن أن تفلت منا حقيقة الرسالة أو النبوة .

- كتب الصوفى أبو يعقوب الرازى إلى الجنيد يقول : «لا أذاقك الله طعم نفسك ، فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيرًا أبدًا !
- من أقوال أحد الصوفية : «العاقل : من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف .. ودبر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل» .

***

- الناس قد يصرفها عن جوهر وروح الرسالة والنبوة ، انحصارها فى الجدل حول المقولات والآراء والأصول والعبارات الفقهية ، وما إلى ذلك من المصطلحات التى يجرى بها التناول أو المعالجة فى المسائل الدينية أعنى بذلك المعالجة السطحية التى لا تتجاوز السطح أو القشرة ، ولا تنساب إلى الأعماق أبدًا .
- الوقوف عند السطح ، وعدم تجاوزه إلى ما تحته وتحت القشرة ، لم يكن ذنب العقيدة ، أو لأن العقيدة ليس لها أصل عميق بل لأن عمقها كائن كامن فى وحدتها ووحدة موقفها وموقف النبى أو الرسول من الحياة والأحياء والكون وخالق الكون والماضى والحاضر والمستقبل .. بدون

هذا الإحساس العميق بهذه الوحدة الشاملة يصبح النظر لأى عنصر من عناصر الملة أو الدين نظرًا ناقصًا يتوقف عند السطح والقشور ولا يغوص إلى الجوهر والأعماق .

- أوصى أحد العارفين ابنه فقال له : اقتصد فى مزاحك ، فالإفراط فيه يذهب بالبهاء ، ويجرئ عليك السفهاء.. وتركه يغيظ المؤانسين ، ويوحش المخالطين!
- من الصوفيات : الدنيا للصوفى كدار الغربة : ليس له فيها ادخار ، ولا له فيها استكثار.

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٧٦)

- ما من أحد يجرؤ فى زماننا ، ولا فى آتى الزمان ، على أن يقول باسم العلم أن الإلهام بالغيب مستحيل . لأنه إذا جزم باستحالته ، وجب عليه قبل ذلك فيما يقول العقاد أن يجزم بأمور كثيرة لا يستطيع عالم أن يقررها معتمدًا على حجة أو سند قويم .. يجب على العالم الذى يدعى أو يجزم باستحالة الإلهام بالغيب ، أن يقرر لنا أنه عرف حقيقة الزمن ومن ثم حقيقة المستقبل . فما هى حقيقة الزمن؟ هل هو موجود فى الماضى والحاضر والمستقبل أو هو يوجد لحظة واحدة ثم يزول ؟ وما هى هذه اللحظة الواحدة ؟ وما مدى إحاطتها بالبعيد والقريب فى الأمكنة الشاسعة فى هذه الأكوان اللامتناهية ؟ وهل المستقبل موجود الآن أو هو «عدم» يوجد لحظة بعد لحظة ؟ وكيف يوجد العدم بعد أن لم يكن له وجود ؟
- من عرف خزائن الله ، لم يشغل باله بكنزٍ .. فهو بمثابة المقيم على شاطئ بحر ، والمقيم على شاطئ البحر أو النهر لا يدخر الماء فى قربته!!
- عاب عمر بن الخطاب على البعض تكلفهم فى بعض آيات القرآن ، فقال لهم : خذوا ما بين لكم منه فما عرفتم اعملوا به ، وما لم تعرفوا فَكِلُوا علمه إلى الله.
- من ذابت نفسه فى زهد الدنيا انمحى الغل والحسد من باطنه .

***

- قد ترى الساحر والمنجم يتدثر بدثار « الأولياء » للخداع واجتذاب الجمهور إلى الاعتقاد فى صدق حيله ودعاواه سترا لاستغلاله إياه ، وإبعادًا لنفسه عن طائلة القانون وسلطات الأمن . فاحتراف الإلهام الغيبى العلوى مستحيل غاية الاستحالة لدى المستقيمين الأشراف ، وقد يبدد الواحد منهم ثروته أو ثروة أهله وذويه فى إقناع من حوله بصدق ما صدقه هو من الإلهام مع اعترافه بأنه لا سلطان له عليه ولا يعرف متى يجىء ومتى ينقطع وبموته حين يموت بلا مال فى أسماله مخلفًا أهلًا ضعافا بلا تركة يقتاتون بها أو منها ، مستسلما للمصير الذى ارتضاه له مصدر إلهامه تبارك وتعالى !
- قال ذو النون : من علامة الزّاهد صور ثلاث :

تفريق المجموع ، وترك طلب المفقود ، والإيثار عن القوت.

- من العكارة التى ألقى بها فرويد إلى الناس ، أنه جعل من الحب أحد مظاهر الكراهية ، ورأى وراء الدعابة اللطيفة والمرح العذب مظهرًا للكبت المرير الكامن فى النفس !!
- من قنع بالرزق فقد طاب عيشه وذهب بالآخرة .

***

- علينا أن نفطن إلى أثر ودور التفات كل فرد منا إلى ذاته ، وانحيازه الطاغى لها انحيازًا غطى عواطفنا ومعظم تفكيرنا . هذا الدور الهائل قد تعرض فى حياة كل منا تعرضًا متزايدًا للتآكل منذ القرن السادس عشر فى أوربا الغربية وزاد التصدى له والهجوم عليه فى القرنين الأخيرين نتيجة الاهتمام المتزايد بالمعارف الوضعية التى نجتهد فى إسناد معطياتها لا إلى التصور الذهنى والقضايا الفكرية العامة بل إلى رصد

الواقع المشاهد بالحواس والملحوظ من التجارب المبنية على هذا الواقع وأحكام انضباط نتائـج تلك التجارب بالتعبير عنها تعبيرًا ثابت الأداء والأدوات وبالرياضيات القابلة دائمًا للمراجعـة والتصحيح بلا مقاومة .

- قال حكيم من الزمن الأول : «لم أر آنس من الكتاب ، ولا أسلم من الوحدة».
- الكتاب روضة ينطق عن الموتى ، ويترجم عن الأحياء ، ومؤنس لا ينام إلاّ بنوم صاحبه .
- من لك بزائر مثل الكتاب ، إن شئت كانت زيارته خفيفة حين تشاء ، وإن شئت لزمك لزوم الظل ، وهو منك كمكان بعضك .

***

- الموهبة عنصر من عناصر قيمة الموهوب ، وهى بذلك رصيد لذاته يترجم إلى رصيد منظور وإلى مكاسب وأرباح أدبية ومادية أيضا . إلاّ أنك لن تجد آدميا يتجر بإلهامه المزعوم إلاّ الساحر والمنجم .. فأى منهما لا يبالى فى سعيه لتلك التجارة باستغلال بساطة وسذاجة واضطرار وتهافت المستعين بالسحر والتنجيم إلى أقصى ما يمكنه .. أما غير هؤلاء الساقطين من البشر ، فلا يجسرون على المجازفة بتحدى الغيب للكسب الشخصى المادى .
- اللغة الفقيرة لا تحمل إلاّ فكرًا فقيرًا !!
- مكمن العظمة فى إدراك الخطوط الدقيقة كما تدرك الخطوط العريضة .
- لن تكون لحياة المرء قيمة ، إلاّ إذا نجح فى جعل الأحلام حقيقة .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٧٧)

• اللغة ، والذاكرة .. هما جسر الآدمى من ماضيه السحيق إلى الآن .. مر الآدمى بأطوار بدأت بالإشارات والإيماءات وبعض الأصوات ، إلى أن صارت لغة التأمت مع الذاكرة فى إقامة هذا الجسر الذى يسرب إلى الآدمى فى كل وقت قدرًا كبر أم صغر ، مما انطبع فى صفحة جدوده وأسلافه عبر التاريخ . ولأن مقدرة الآدمى على التخيل دائما مسترسلة مطيعة لا تأبه بالواقع الماثل ولا تقف عند الحدود والغيوب ، فإنها تشعره منذ صغره بالعام والمطلق والدائم ، وتجعل هذه المعانى شاخصة بين يديه فى روحاته وجيئاته مادام حيا .. تصور له أن فى مستطاعه وقبضته من الإمكانيات ما لا حد له متى تهيأت له الفرص ، أو متى عـرف كيف يهيؤها ..فلم يخل قلب الآدمى قط فى الماضى وفى الحاضر من الأطماع حميدة أو غير حميدة فى نظر الغير ، وهذا باب آخر فى النظر إلى اختلاف وتشابه البشر.. كلنا يعيش على الأمل ، وآمالنا تحمل حتما آثار اختلاف المستويات والطبقات والقدرات المتاحة لكل منا وتتصيد ما نرغب ونفضل ونرجو مما نتشوقه ونتمناه مما ليس بيدنا فى حاضرنا !

• فى مواقف النِّفَّرى : كل ما فى الدنيا ينتظر الساعة .. وعلى كله وكل ما فيه كتب الله الإيمان ، وحقيقة الإيمان أنه سبحانه ليس كمثله شىء .

• المال قد يشترى الولاء والخضوع ، ولكنه لا يشترى الحب !

- قال حكيم من الزمن الأول : حياة القلب الذى يموت بذكر الحىّ الذى لا يموت .

***

- النبوة المحمدية هى المثل الأعلى للنبوات والرسالات فى ذوبان وتوارى الذات التصاقًا بالمعنى الكلى والولاء لله وحده لا سواه .. نبى الإسلام جاء مجددا ومكملًا للرسالات السابقة لأن رسالته هى رسالة الله .. ما كان للنبى محمد أن يكرم هذا التكريم ما سبقه من نبوات ورسالات ، ولا أن يعظم ويجل ويعلى قدر هؤلاء الأنبياء والرسل ؛ ما لم تكن الذات المحمدية قد ذابت وتوارت فى المعنى الكلى للرسالة الإلهية التى حملها إلى الناس كافة ، منكرًا ذاته ، غير ملتفت إليها ولا حفيًّا بها ولا منحازا لها .. لا يهمه أن ينسب فضلًا ولا مجدًا لنفسه ، وإنما هو برسالته عليه الصلاة والسلام لله ، ناقلًا فيها عن الله وعما أوحى به إليه ربه ، ساعيا إلى إيمان الناس بالله ، والالتزام بدينه وشريعته .. لا يطلب من الدنيا صيتًا ولا مكانةً ولا مجدًا ولا مغنمًا ، ولا يسعى لثراء ولا غنى ، بل ولا يهمه أن يمتلك من الدنيا غاليًا أو رخيصًا ، ثمينًا أو بخسًا .. « ياء » الملكية ملغاة لديه ، يقول ولا يفتأ يقول : «نحن الأنبياء لا نورث . وما تركناه صدقة» .
- أفضل ممن يترك المراء وهو مبطل ، من يترك المراء وهو محق .
- أكثر ما يكون الخطأ فى متابعة الهوى !

***

- من يتأمل السيرة المحمدية ، يصافحه نبى رسول ، ذابت وتوارت ذاته ، أو قل عاش خارج ذاته .. ما من آدمى عادى إلاّ ويشعر بذاته شعورًا

لا يفارقه .. هذا الشعور هو من لوازم الإحساس بالحياة ذاتها .. وقليل من الناس من استطاعوا النفاذ من أسوار عالم الذات إلى خارجه .. الأنبياء والقديسون هم فقط القادرون على الحياة خارج عالم الذات الذى يقع الآدميون العاديون صرعى فيه .. والنبوة ، هذه المتجلية بقوة فى الرسالة المحمدية ، هى أوضح صور ونماذج القدرة على الخروج من عالم الذات إلى عـالم « اللا ذات» .

- من المنجيات : خشية الله فى السر والعلانية ..
والحكم بالحق عند الغضب ..
والرضا والاقتصاد عند الفقر والغنى
- من المهلكات : شح مطاع ، وهوًى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه !
- سئل حكيم من الزمن الأول : من أقهر الناس لنفسه ؟ قال : أرضاهم بالمقدور .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٧٨)

- تأمل دعاء رسول القرآن ﷺ لترى كيف تمثلت فيه معانى نبوته ورسالته .. كان من أفضل أدعيته : «اللهم اجعلنى فى عين نفسى صغيرًا " ... هذا دعاء إلى الله يتجه اتجاهًا مباشرًا إلى طلب توارى الذات تواريا تامًا أمام الله ..

انعدام الالتفات للذات ، والالتصاق بالمعنى الكلى ، والولاء التام لله ، واضح ظاهر جلى فى مسارعة رسول القرآن إلى نفى أن حقائق وآيات الكون سخرت له أو لخاطره أو لمواساته .. العراف والمنجم والكاهن يسارع إلى التقاط أى مصادفة من فعل المقادير ليعطيها مدلولات يردها بها إلى ذاته المعنى بها المنصرف إليها .. أتت هذه المصادفة ساعية واضحة جلية ويسيرة الاقتناص والاغتنام لردها إلى المجد الشخصى أو الذاتى ، عندما تصادف أن كسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابن المصطفى ﷺ وقال الناس إنها كسفت لموته بيد أن محمدًا يأبى على الناس ذلك ، ولا يمهلهم رغم حزنه أن يسترسلوا فى ظنهم هذا الذى يحقق له المزيد من المجد والمكانة ، وإنما يردهم لفوره عن ظنهم قائلا لهم : «إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله ولا تكسفان لموت أحد » .

- من أقوال الصوفية : من سكر من حب الله ﷻ ، لا يفيق إلا بلقائه .
- قلوب المشتاقين منيرة بنور الله تعالى .

***

• الولاء المحمدى للوحى ، ولاء مطلق ، وخضوع تام وتسليم .. وذوبان فى المعنى الكلى ذوبانا تنمحى أمامه تمامًا أى عناية أو احتفال بالذات .. الولاء المحمدى لا يعنيه شخصه ولا أن يتجمل أمام الناس ، فلا يحجب عنهم حتى عتاب القرآن له .. لا يلتفت فى هذا الخضوع التام للوحى الذى يأتيه إلى ذاته أو ما عساها تحبه أو ترضاه أو تكرهه أو ترجو خفاءه عن الناس .. لا وليس يعنيها فى هذا الخضوع الكامل والولاء التام للوحى الإلهى بماذا تظهر أو لا تظهر أمام أو فى عيون الناس .. نَظَرَ الناس ، مسلمهم وكافرهم ، فوجدوا وشاهدوا وسمعوا محمدًا يخرج إليهم بما أوحاه إليه ربه من عتاب فى قصة الأعمى .. يتلو عليهم فى خضوع وتسليم كلمات ربه : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ (٢) وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخۡشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ (١٠)﴾ [عبس] .. يخرج يومها يتلمس ابن أم مكتوم ليحنو عليه ويترفق به ويسترضيه ، ولا يلقاه بعد ذلك إلاّ مرحّبًا به يقول له : «مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى .. » .

• من الحكم العطائية : علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد ، وهو أن يكون القائم به واحدا . ويقال : من الناس من يكون مكاشفًا بالأفعال ، يرى الحادثات بالله تعالى ، ومنهم من هو مكاشفٌ بالحقيقة ، فيضمحل إحساسه بما سواه ، فهو يشاهد الجمع سرًّا بسرٍّ ، وظاهره بوصف التفرقة .

وقيل : الموحد يأخذ أعلى التوحيد من أدنى الخطاب وأيسره .

***

• المشهد الذى نقلته الفضائيات لما فعله الثوار بالقذافى ، لا يجزئ فيه الاعتذار .. الركل والجذب والصفع واللكم قبل إطلاق رصاصة

الرحمة ، فى أسير جريح بين أيديهم ، ينم عن وحشية ووضاعة وحقارة ومخالفة ليس فقط للإنسانية ومواثيقها وعهودها ، وإنما يخالف أيضًا عن الإسلام الذى نهى عن المساس بالأسير أو الإجهاز على الجريح ، ولا يشفع فيه ما ارتكبه القذافى فى حق شعبه والإنسانية .. فقد كان أكرم للثوار والثورة أن يتم التحفظ عليه ليقدم إلى محاكمة قانونية ، فبشاعة أفعال المجرم ، لا تبرر للقاضى مجاراته فى إجرامه .. وإلاَّ فما الفارق ؟! ما جرى وشاهده العالم غير ما خفى وأومأت إليه التلميحات !! وصمة سوداء تسيء للفاعلين وتدمغهم بهمجية سوف يصيب رذاذها كل العرب ! لابد من تحقيق ومساءلة للفاعلين الذين انتهكوا كل الحرمات ، وأساءوا إلى شعبهم ووطنهم والأمة العربية بأسرها !!!

- من يريد أن يتعرف على حقيقة طباع الخلق ، فليتأمل قول الله ﷻ : ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء] .
- لا تحاول أن تشترى بالمال ، من أخفقت بالود والإخاء فى استمالة مشاعره إليك !
- لا فقر لمن أحياه الله تعالى بعز القناعة .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٧٩)

- النبوة المحمدية نبوة لله ، أداءً لرسالة الله .. لا يعنيها سوى الولاء المطلق للوحى الإلهى ، والذوبان التام الخاضع للمعنى الكلى ، وصدق الوفاء به وتبليغه للناس ، ليست رسالة زعامة ، ولا مكانة ، ولاهى مقصورة على إقليم من أقاليم الأرض ، ولا على أمة من أممها .. ولا هى قد تغيت مجد أو منفعة قبيلة ، ولا منفعة أمة بعينها .. هى رسالة إلهية حملها محمد المصطفى ﷺ ، قوامها أن الله حق وهدى ، وأن الإيمان به سبحانه مطلوب لأنه حق وهدى ، أداها عليه الصلاة والسلام صدوعًا وتنفيذا للوحى الإلهى الذى اتصل به مدده حتى وافى ربه جل وعلا .
- من أقوال الصوفية فى محبة الله ﷻ :

المحب إذا سكت هلك ، والعارف إن لم يسكت هلك .

المحبة نار فى القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب .

المحبة هتك الأستار وكشف الأسرار .

لا تصح المحبة إلاَّ بالخروج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب .

- قال بعض الصوفية :

العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف .

وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل .

وأمر الدين بالعلم والاجتهاد .

- ومن أقوال الشبلى : موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين .

وفى هذا القلب ، قال ابن عطاء : قلبٌ لاحظ الحق بعين التعظيم ، فذاب له وانقطع إليه عمّا سواه .

***

- من الدعائم الأساسية للأمم المتقدمة ، أو التى فى طريقها إلى التقدم ، أو تزعم أنها فى هذا الطريق اعتمادها على المعارف والعلوم الوضعية ونواتجها فى الصناعة والتجارة وطرائق السلم والحرب ، بيد أن هذه الدعامة الأساسية والحتمية لا تكفى وحدها لبقاء واستمرار التقدم ، لأن هذه الدعامة وحدها تكون معرضة للخذلان والتدمير من ركام المصدقات والعادات والأحلام هذا الركام الذى تشكل وتراكم وتفاعل وتماسك وتساند خلال مئات الألوف من السنين فى أذهان وتصورات وعواطف البشر وأهوائهم وأوهامهم .. وهذا الجانب الداخلى بالغ القدم وبالغ الخطورة فى حياة وسلوك الآدميين قاطبة ، لم تمتد إليه بعد المعارف والعلوم الوضعية امتدادًا ذا شأن . وقد زاد هذا ، مع طغيان ظهور نواتج المعارف والعلوم الوضعية فى كل ناحية من نواحى الحياة البشرية .. زاد من صرف الآدمى عن الالتفات الجاد اليقظ المحترس إلى داخله ، والعناية بالمحافظة على جوهره وهو وحدته وتماسك عناصرها ، وهى ما تسمى أحيانًا " بفطنته " وأحيانًا أخرى " باتزانه » ..
- إن الله تعالى قد جعل الفقه صفة القلب ، فقال :﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩] .. فلما فقهوا علموا ، ولما علموا عملوا ، ولما عملوا عرفوا ، ولما عرفوا اهتدوا وذاقوا حلاوة الهداية والإيمان .
- قال حكيم من الزمن الأول : ما استصغر أحدٌ أحدًا إلاَّ حرم فائدته وفاته الانتفاع من الرجوع إليه .

***

- ارتباط المعارف والعلوم الوضعية بالواقع المشاهد والملاحظ المحسوس ، وبقياسات دقيقة ومأمونة ، ارتباط شديد الوثاقة ، وهذا الارتباط بالواقع هو الذى يبقى الباب مفتوحا على الدوام أمام اطراد البحث والرصد وإعادة البحث والرصد والمراقبة والتجربة للتصحيح فى النتائج وفى القوانين وفى دقة المصطلحات والقياسات وفى المعادلات والقواعد ..
- لو تخيل طلاب الخلود ، تساقط الأهل والأقارب والأحباب والأصدقاء من حولهم ، وخلو الدنيا برحيلهم ، وكيف ستكون غربتهم من بعدهم ، لعرفوا أن عيش الفرد خارج زمنه نقمة لا نعمة !!
- لا يجتمع التعلق بالدنيا والغفلة عن آيات الله إلاَّ لدى من لا يؤمن بالميعاد ولا يرجو لقاء ربه.
- من مواقف النِّفَّرى : آية الله تعالى كل شىء ، وآيته فى كل شىء . فكل آيات الشىء تجرى فى القلب كجريان الشىء ، فهى تارة تطلع وتارة تحتجب .. تختلف لاختلاف الأشياء . وكذلك الأشياء مختلفة لأن الأشياء سيارة وآيتها سيارة ، وأنت مختلف لأن الاختلاف صفتك ، فبا مختلف لا تستدل بمختلف ؛ فإنه إذا دلّك جمعك معك من وجه ، وإذا لم يدلّك تفرقت باختلافك من كل وجه !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٨٠)

- لأننا كأفراد ننسى فى انصراف كل منا إلى حياته ، ننسى أننا آحاد فى أجيال متتابعة من تسلسل بشرى وعلى مدى أزمنة وفى مجال أمكنة ، وأن الأخلاق والتقاليد ليست من صنع أى منا ولا من صنع «فرد» ما سبقنا فى الوجود ، وإنما هى تكونت تباعًا وتراكما من الاجتماع والاعتياد خلال أجيال متشابهة فى أزمنة وأمكنة متشابهة .. فإننا قد ننسى أيضًا أن الأخلاق والتقاليد وإن كانت أعمارها تتجاوز الأعمار البشرية ، إلاّ أن فيها عناصر بشرية تتغير تبعًا للتغير الذى يظهر فى الأفراد والأجيال ، وأن فيها غالبا نواة لناموس كونى ثابتة تبدو واضحة أو غائمة لكنها لا تنعدم . حاجة الأفراد والجماعات البشرية إلى أخلاق وتقاليد يعيشون فى إطارها حياة منتظمة حاجة ضرورية وأساسية وحتمية وموجودة لا تنعدم أو تتوارى إلاّ فى أوقات الفتن والثورات والحروب !
- من تملكته الوساوس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع ، ومن فاته الاستماع فاته العلم وجافته المعرفة ! وفى القرآن المجيد : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق] .
- قال ذو النون المصرى : من قنع استراح من أهل زمانه ، واستطال على أقرانه .

***

- من المحال وجود التطابق التام بين الأفراد والأسر والجماعات . هذا التطابق يجعل حياة الناس مستحيلة ، فكل ما يوجد لاستمرار حياة الأحياء جميعًا بمن فيهم البشر هو التشابه الذى يتخلله دائما وجود الفروق والاختلافات التى تقرب بعضهم من بعض حين تميز بعضهم عن بعض وتجذب بعضهم إلى بعض . ليس مطلوبًا من التقاليد والأخلاق أكثر من تمكين البشر من تلك «المشابهة» لا التطابق! والمحافظةعليها لضمان استقرار وأمان الجماعة ، وهو لازم وأساسى لإمكان بقائها وتطورها وتقدمها عند البشر . تلك «المشابهة» لا التطابق يجب أن تساير حركة البقاء والتطور والتقدم ولا تتأخرعنها تأخرًا محسوسا، فالتأخر إذا طال وامتد يضعف ويحس ضعفه وضعف تأثيره أغلبية الأفراد ، فتسقط الأخلاق التقاليد فى نظرهم وتتعرض الجماعة للأخطار التى تزداد مع مرور الأيام حتى مع سرعة الخطى العامة للتطور والتقدم . فإسراع خطى التقدم العام لا يغنى عن الحاجة إلى وجود التقاليد والأخلاق وأداء دورها الفعلى فى المحافظة على ضمان استقرار وأمان الجماعة .
- صلاح القلب فى أربع خصال :

فى التواضع لله ، والفقر إلى الله ، والخوف من الله ، والرجاء فى الله .
- قال حكيم من الزمن الأول : يطول حزن من تتبعت عيناه ما فى أيدى الناس !
- يجدر بطالب الرئاسة أن يحتمل جهل الناس ، وأن يترك ما فى أيديهم ، ويبذل ما فى يده لهم .

***

- لم يهتد الإنسان إلى شىء آخر يقوم مقام الأخلاق والقيم المأثورة أو

الموروثة فى أداء وظائفها المألوفة فى حياته ، إذ رغم الوهن الذى اعترى نفوذ هذه السنن لا تزال أغلبية البشر فى كل مكان تستمد أحكامها فيما بين بعضها وبين بعض من المعاملات إلى تلك القيم والأصول حتى حين يحتال عليها تأويلًا وتلبيسًا وهم كثيرون الآن .

ولم تحاول المعارف والعلوم الوضعية إقحام نفسها فى هذه الناحية ، لتعلق الغالبية الغالبة للمشتغلين بها بفكرتهم عن الموضوعية وتقيدها بالمشاهد وقوانينه وظواهره .. وقد يجوز الاعتراض على هذا التقيد بأن فيه خلطًا بين لوازم الموضوع ولوازم الآدمى المشتغل به وأن التزام هذا المشتغل بالأخلاق والقيم لا ينقص قيمة عمله بل ربما زاده ثقةً وأمانةً فى أدائه وزاد اطمئنان الآخرين إلى نتائجه ، وهذا يجنب موضوعية المعرفة والعلم الوضعى اندساس عدم المبالاة وقلة الأمانة والأنانية والطمع والتعصب وينقى الوسط المشتغل بهذه المعارف الذى يزداد عددًا كل يوم ، فيقاوم بأهميته المتزايدة مع كثرته وتفاقمه فى عيون سواد الناس عوامل الانحلال .

- سئل ذو النون المصرى عن الصوت الحسن ، فقال : مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كل طيب وطيبة .
- لقاء الإخوان لقاح .
- من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٨١)

- لا يبعد أن يصل العلم الوضعى ما لم تعترضه عوارض مدمرة أو معوقة ، لا يبعد أن يصل إلى أكثر بكثير جدًا مما بين أيدينا اليوم من المعرفة الدقيقة بحياة الأحياء ، وحياة الآدمى بخاصة ، وتركيبها الداخلى الذى يؤدى لوجودها فيه وإلى ظهور نشاط الطاقة الحية مجسدة به ، ومعرفة ماهى أفضل الوسائل المأمونة لانتفاع الحى بها ، على مدى المقدور له من حياته والحيلولة الأكيدة بينه وبين العرضة للهلاك المبكر ، وللضمور والعجز أو للردة الهمجية والاندفاع بغير ضابط إلى سلوك الحيوان المفترس وعندئذ يمكن بلا صعوبة أن يتعايش الخيال والأمل والتفاؤل مع العقل والمعقول والأمان فى عالم يكون إنسانيًا من داخله وخارجه .
- سُئل أحد شيوخ الصوفية عن « الصحبة» ، فقال : الصحبة مع الله ﷻ بحسن الأدب ، ودوام الهيبة ، والمراقبة .

الصحبة مع الرسول ﷺ باتباع سنته ، ولزوم ظاهر العلم .

والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والحرمة .

والصحبة مع الأهل والولد بحسن الخلق .

والصحبة مع الإخوان بدوام البشر والانبساط ما لم يكن إثمًا .

والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم ، ورؤية نعمة الله عليك أن عافاك مما ابتلاهم به .

- رب مكثر مستقل لما فى يديه .. وقيل : اثنان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال ، فأما طالب العلم فشراهته إليه محمودة ، أما المال فسراب يهلك فى طلبه كثيرون ، لا يشعرون بالغنى مهما جمعوا من الثراء ومهما كنزوا من المال .. حتى قيل : ليس لشرهٍ غنى !

ومن أشعار حكماء الزمن الأول :

وياحريصًا على الأموال يجمعها   أنسيت أن سرور المال أحزان ؟!

أو كما قال آخر :

المرء يجمع والزمان يفرق   ويظـل يرتق والخطوب تمزق

- قال بعض الصوفية : السماع لطف غذاء الأرواح لأهل المعرفة .
- من الصوفيات : من يفنى عن الخلق ، يرى الأشياء بنور الله ، ولا ينسب للمخلوقين منعًا ولا عطاءً ، ويكون شكره للحق ﷻ لأنه المنعم والمعطى والمسبب .

***

- الكفاح العاقل المثابر المنتج ، هو أمتع وألذ وأطول لذةً فى حياة الحى ، أما غيره من صور الكدح والاحتيال للفوز والكسب التى يزدحم ويتزاحم عليها الخلق خوفًا وطمعًا . فهى قليلة الجدوى ، قصيرة العمر إذا أفلحت ، وجالبة للندم إذا خابت وأخفقت . لماذا ؟! لأن البشر يتصيدون فيها بمعزل عن التقاليد والأخلاق !ـ الفرص التى يظنونها مواتية بعين واحدة : هى عين الحرص والطمع والأنانية ! لا تبالى فى اندفاعها المحكوم بهذه الآفات بما يصيب الآخرين .. لا ترى ولا تستطيع أن تـرى إلاّ مصلحتها الخاصة جدًا الضيقة جدًا التى فى نظرها فوق الجميع وفوق جميع المصالح والغايات . أمثال هؤلاء يأخذون

من مجموع الناس أكثر بكثير جدًا من الحق الذى يُترجم عنه عطاؤهم الحقيقى .. وبهذا ومثله الجارى فى كل مكان تختل موازين الأمور ، وبوصلة التقدير ، وتضيع الثقة ومعها الأمان !!

- فى مواقف النِّفَّرى : إن ملائكة العرش تشهد أنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، وترى علمه بذلك هو وجده ، ووجده بذلك هو علمه .. وترى ذلك مبلغ معرفته وترى ذلك هو الحق والحقيقة وترى ذلك هو علم الرؤية الحقيقى لا هو الرؤية .. فانظر كيف أن كلهم يرتقب الساعة ويرنو إلى كشف الحجاب ورفع الغطاء .. فكيف به إذا رفع عنه الحجاب ؟! وفى القرآن المجيد ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) ﴾ [ق] .
- من أقوال الصوفية : قلوب أهل الحق قلوب حاضرة ، وأسماعهم أسماع مفتوحة .
- لا يتكامل الأدب إلاَّ بتهذيب الظاهر والباطن .. الخَلْق صورة الإنسان والخُلُق معناه .
- منبع الآداب السجايا الصالحة ، ورياضة النفس على المجاهدة .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٨٢)

- منذ أن فطن الإنسان إلى وعيه ، لم يخل هذا الوعى مما لديه من « المراد » ومن تصور إمكان تحققه فى خلال حياة أى فرد . ومع تعاقب الأجيال وتكرارها المستمر وحلول بعضها محل بعض استمر ذلك المراد على قوته .. يزيده تأثيرا زيادة المعرفة والعلم وزيادة شعور الأفراد والجماعات بالقدرة على التعديل فى واقعهم وإصلاحه . وهذا المراد القديم الجديد فى نظر كل جيل يلاقى حتما أملا ويأسا لدى صاحبه ، وقد تتفاوت نوبات الأمل واليأس دون أن تتوارث حتما . ويؤثر نسل هذا وذاك فى أحوال جيله ليبقى ذلك المراد معلقا أمام الأعين إلى ما لانهاية .
- قال بعض الصوفية : وضع الله تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع :

العز فى الطاعة .

والذل فى المعصية .

والهيبة فى قيام الليل .

والحكمة فى البطن الخالى .

والغنى فى القناعة .

- غالبا ما يكون الهوى شريك العمى ، فالحب يدارى عيوب المحبوب !

وقال الشاعر :

عين البغض تبرز كل عيب   وعين الحب لا تجد العيوبا

- يقال فى الأمثال : البعيد عن العين بعيد عن القلب .. فهل ابتعدت مصر عن عيوننا ؟! يفرض السؤال أن كثيرين من المتصدرين الساحة الآن ! منكفئون على أنفسهم لا يعنيهم سوى ذواتهم أو مصالحهم أو أهدافهم أو مآربهم ، فهل ابتعدت مصر عن عيونهم فابتعدت محبتها عن قلوبهم ؟!

***

- يأمن الأفراد الجادون ، مثلما تأمن الجماعات والأمم الجادة ، من «العبث» وما يتفرع عنه من موجات وحركات «عبثية» عدمية تعمل معاول الهدم والضياع فى حياة الأفراد وحياة الأمم .. ومجافاة العبث ليست مجافاة للتسلية أو الترفيه أو ما شابه ذلك . « العبث » ليس مرادفًا للعب أو التسرية أو التسلية أو الرياضة أو الترفيه ، فهذه لها غايات وأهداف مقصودة ومرجوة ومطلوبة هى امتصاص النشاط الزائد أو الطاقة المتراكمة ، أو تخفيف الضغوط ، أو كسر الملل والرتابة ، أو استعادة التفتح والإقبال على الكفاح والنشاط والعمل ، وهذه كلها غايات وأهداف ومقاصد محمودة ومرغوبة ومفيدة ومطلوبة فى زماننا وفى كل زمان .. لذلك كانت كل هذه الصور والأنشطة محل عناية ورعاية بل وميدانًا للتفوق وللإبداع وللفنون الراقية ، ومجالًا لاهتمامات دولية ومحلية ، حتى أنها صارت إلى جوار الهواية ميدانًا للاحتراف والارتزاق الشريف لآلاف من الممارسين والفنيين والفنانين والرياضيين واللاعبين وغيرهم من أصحاب المهن والحرف التى تنمو حول مجالات وأساليب وطرق التسرية والتسلية والرياضة والترفيه .
- من نوادر الزمن الماضى ، طُلب إلى جحا أن يحصى موجات البحر ، فقال لسائليه : «الجايات أكثر من الرايحات» !!

وفى المعنى البعيد الذى يومئ إليه جحا ، قال شاعر حكيم :

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى : فإن غدًا لناظره قريب

- فى الحديث النبوى : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» .. ومن أقوال الصوفية : من اشتاق إلى الله ، اشتاق الله إليه .
- من أمثلة الحكماء : «لا تطلب ما لا يمكنك الحصول عليه» !

***

- " عبث " الآدمى مثله مثل عقله .. محدود مشروط بحدوده وشروطه ، واستحسان الفعل واستهجان العبث فرع على لزوم الفعل الجاد الهادف لحياة الآدمى على هذه الأرض ، وعلى التفاته إلى إخلال «العبث» بفرص النجاح والتقدم والرقى فى هذه الحياة !
- العبث عيب فى اختيار وإدراك الآدمى ، لايشارك الآدمى فيه كائن آخر ، بل ومن المفارقة التى تدعو للتأمل أن «العبث» لايُسند إلى أى كائن من الكائنات الأخرى ، مع أنها أدنى من الإنسان .. ذلك أن العبث اختيار مدرك ، وهذا الاختيار المدرك خاصية آدمية قوامها العقل الإنسانى ، يحسن الإختيار فى سوائه ، ويشط أو يشتط فى خلله أو انحرافه !! ... ومادامت الكائنات الأخرى لاعقل لها ، فإنها لا تختار بين الجد والهزل ، ولا بين الهادف والعابث .. والعبث ، كعيب فى الاختيار ، قد يكون فطريًا مجدولا فى فطرة الآدمى منذ مولده وبداية رحلته ، بيد أنه غالبا ما يكون اكتسابا وليد سوء الاعتياد وعيب التربية والتنشئة وخبو القدوة وضغوط وطحن البيئة !
- تذكرت وأنا أتابع الأحوال التى ترددت فى بلادنا دون بارقة حل أو أمل ، تذكرت الصيحة التى أطلقها عمر بن الخطاب فى عام الرمادة

الذى جف فيه الضرع والنبت ، وعمت المجاعة ، إلى أمراء الأمصار يستصرخهم النجدة : ياغوثاه ، يا غوثاه ، يا غوثاه !!!

ترى من ينجدنا اليوم من وهدة ما نحن فيه ؟!!!

- لا يخرج الإنسان من الدنيا بشىء .. أى شىء .. ولكنه يترك فيها أشياء ، والفطن من يعرف ماذا يترك وراءه حين تختفى صورته ولا تبقى سوى ذكراه !!
- لا أحسب أننا نعيش ربيعًا عربيًّا كما يُقال ، وإنما نعيش مخاضًا يمكن أن يسفر إذا أحسنا التصرف عن ربيع عربى !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٨٣)

- إلف واعتياد الانقباض والانطواء والنفور من الخلطة والعزوف عن الاتصال بالأحياء والانصراف إلى الأوهام والخيالات وأحلام اليقظة كل ذلك ، فضلًا عن نقص الخبرة وتراخى أو تأخر النضج بالقياس للأمثال فى العمر والمحيط .. يصيب الآدمى بإدمان المخاوف والأحقاد وشدة الميل إلى الهرب من الجوانب الجادة فى حياة البشر ، ويصيبه أيضًا بالانسلات وبالسلبية وبالتنصل من التقيد بالمسئوليات التى يشرف الإنسان العادى بها ويسمو بتحملها فى عيون الناس !
- لماذا لم نعد ننتج قامات مثل العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم ويحيى حقى ونجيب محفوظ ويوسف إدريس وزكى نجيب محمود ولويس عوض ، أو مثل عبد الوهاب وأم كلثوم وفريد الأطرش وحليم ومحمد فوزى ، أو مثل السنباطى وزكريا أحمد والموجى وبليغ والطويل ، أو مثل يوسف وهبى والريحانى والكسار ومدبولى والمهندس ، أو مثل بديع خيرى ونعمان عاشور وألفريد فرج ، أو مثل محمد التابعى وهيكل ومصطفى وعلى أمين وأحمد بهاء الدين ، أو مثل السنهورى وكامل مرسى وسليمان مرقص ، أو مثل مصطفى مرعى ومكرم عبيد ومحمد عبد الله محمد ؟!

لماذا لم تعد الشجرة تورق بديلا للورقة التى رحلت ؟!!

لو أجبنا عن هذا السؤال بصدق وصراحة مع النفس لوضعنا أيدينا على أسباب الأسقام التى أصابتنا ، ولرأينا كيف يمكن أن نعيد البسمة إلى وجه مصر التى طال حزنها !!

- أن يكون المرؤ لعبة فى يد القدر ، فهذا لا عمل لإرادته فيه ، وقد تأخذه الأقدار إلى ما هو أفضل له .. أما أن يجعل نفسه لعبة فى يد غيره ، فهذا مكمن الشرور ، لأن اللاعب لا يستخدم لعبته فيما يفيدها ، إنما فيما يشبع جشعه وأغراضه ومآربه !!
الحصيف لا يترك نفسه لعبةً فى يد غيره !!
- يحلم معظم الناس بالثروة ، ويقاتلون حتى يحسوا بالثراء ، المشكلة أن أحدًا لا يمكنه أن يعرف ماذا يكفيه حتى يحس بالثراء .. الناس فيما عدا الأنبياء والصديقين والأفذاذ ، أمضوا حياتهم جريا وراء هذا السراب حتى انصرمت أعمارهم وخرجوا من الدنيا وما معهم شىء !!

***

- نحن فى اعتيادنا على آدميتنا وانصراف انتباهنا إلى مجرياتها ، ننظر إلى الكون والأقدار نظرتنا إلى أمثالنا ونسند إليها العبث والسخف والباطل فيما يقع منها وفيها مما لا تستسيغه أو تقبله عقولنا وأذواقنا ، ونتجاهل كليةً الاختلاف الأساسى القائم بين الكون والأقدار وبين حياتنا وحدودها واختياراتها وإدراكاتها وقدراتها ، ونرى فى أحيان كثيرة أن الضعف والمرض والهرم والموت شواهد على عبث الحياة فى الوجود كله. يملؤنا العجب الذى لا ينتهى من ضخامة العالم الهائلة المفزعة ، ومن توالى الوجود والعدم فيه بلا انقطاع ، ومنذ الأزل ، على ما لا حصر له من الكائنات الحية وغير الحية صغارها وكبارها بلا تفريق .. لا يعرف

لها أول أو آخر ، ويستحيل أن يعرف معرفة تحققت أو يمكن أن تتحقق لأى إنسان !

- ليست البلطجة هى فقط التى اندلعت فى بر مصر ، بل تفشت الجرائم بكل أنواعها ، والجنوح بكافة صوره وأشكاله . لم تتراكم أسباب هذا الاندلاع بين يوم وليلة ، وإنما عبر سنين تُسأل عنها الأنظمة التى حكمتنا فيها ، فضمر التعليم والتربية والثقافة ، وشاع الفقر والجهل وزاد الأغنياء غنًى وزاد الفقراء فقرًا ، وتقلص كل شىء طيب واتسعت رقعة الشقاء والتعاسة ، وما ندفعه اليوم من أمننا وأماننا هو ثمرة الغفلة التى رانت علينا لأكثر من نصف قرن !
- تعجبت لإعلان البعض أنهم يجمعون مليار توقيع لإقالة المفتى ؟! لماذا ؟! لأنه استخدم حقه القانونى فى رفع دعوى قضائية عن سب وقذف وقع عليه ! ولم أفهم لماذا هذا الصخب والمصادرة على الحق فى استعمال الدعوى القضائية والفرض أن يصدر فيها الحكم بالعدل ، إلاَّ أن يكون الاحتكام للقانون قد بات جريمة مرفوضة فى برّ مصر !!!

ثم أليس الأجدى إذا كان فى إمكان الصاخبين على المفتى جمع مليار توقيع ، أن يجمعوها لمطالبة العالم برد العدوان الصهيونى علينا ؟!

- من سنن الوجود أن الشر لا ينقطع من العالم ! ومن رحمة الله تعالى أن لطفه غالب لا يترك أحدًا من عباده دون أن يدركه بلطفه ورحمته .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٨٤)

- إن الوجود الجزئى ، والعدم الجزئى ، اللذين يشاهدان فينا وفى سائر الأحياء دائمان لأنهما وجهان ملازمان لوجود أعم ، يتداخلان ويعملان فيه معًا وبالاشتراك وعلى الدوام بها يحفظ بقاءه واستمراره من الأزل .. فليس ثمة وهم ولا عبث ولا باطل ، ولكن درجات من الوجود يغلب عليها الطابع الجزئى ويتداخلها العدم ليضمن بقاء ما فيها من الوجود الأعم الأشمل بأن يمنع أو يمحو الموجودات الجزئية ليحل محلها غيرها وهكذا بلا نهاية ليبقى الوجود الأعم مرفوعة ألويته باطراد ، محمولة على أكتافنا نحن ومعنا باقى الأحياء الأخرى من حيوان ونبات بقدر الفرصة المتاحة من الحياة لكل منا ومنهم .. وهذا معناه إسهام واشتراك كل حىّ من الأحياء بما أمكنه وبما استطاع تقديمه فى « رأس مال » هذا الوجود الأعم وفى إعجاز بنائه وديمومته !
- كثر الآن المتشدقون بالكلمات ، مدعو الحديث باسم مصر وشعب مصر . دعونا نقول لهم إن مصر من الآن سوف تتحدث هى عن نفسها ، وإن شعبها العازف عن الأغراض والمآرب هو المعبّر عنها ، الرافض لمن يدعون الحديث باسمه حبًّا فى الظهور واستعراض النفس !!

ونقول لهم إنه أحرى بهم قبل أن يتصدروا الحديث عن مصر وشعبها .. أن يتذكروا ما قال الله ﷻ لنبيه موسى عليه السلام : ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ ﴾ [طه] .

- يا لنهم من يغلبه جشعه وطمعه فلا يشبع ولا يرتوى .أو كما قال الشاعر القديم :

كالحوت لا يلهيه شيء يلهمه يصبح ظمآن وفى البحر فمه !!

- علي طول ما جلت وعمق ما غصت وعلو وارتفاع ما إليه حلقت لا تزال لدي الكثير جدا من الأسئلة والقليل النادر من الإجابات . .

ربأه : تخفي عن الناس سنا طلعتك
وكل ما في الكون من صنعتك
فأنت مجلاه وأنت الذي
ترى بديع الصنع في آيتك

***

- لا ينبغى للفرد أن يستصغر دوره فى الحياة .. دور الفرد بالغ الأهمية ليس فقط فى حياته ، بل وفى حياة الجماعة التى ينتمى إليها أو يعيش فيها . وقد يبدو هذا الدور غير مرئى أو غير محسوس ، إلاّ أنه حيوى وقائم وموجود ومؤثر بما يتساند ويتعاون معه من مجموع الناس القادرين على التجمع والاتحاد والتواصل لتمضى مسيرة البشرية إلى ما شاء الله .
- قيل إن التوبة أن يتنبه الإنسان من الغفلة ، ويتذكر ذنبه ، وأن يتذكر مع ذنبه : لطف الله ، وحكم الله ، وستر الله .. فإذا رأى حكمة الله سبحانه وحكمه ، تاب وأناب وأقلع عن الذنوب والآثام .
- فى مواقف النِّفَّرى : الليل والنهار ستران ممدودان على جميع مَن خلق الله ، وقد اصطفى سبحانه من اصطفاهم ليرفع السترين أمامه ليرى من خلفها السماء كيف تنفطر ، وما يتنزل منها وكيف يتنزل ، وكيف يأتى من قبله سبحانه كما يأتى الليل والنهار .

• قال أحد الصوفية للشبلى سائلًا إياه عن السماع : ربما يطرف سمعى آية من كتاب الله ﷻ فتحدونى على ترك الأشياء والإعراض عن الدنيا ، ثم أرجع إلى أحوالى وإلى الناس.

فقال الشبلى : ما اجتذبك إليه فهو عطف ولطف منه عليك ، وما رُددْت إلى نفسك فهو شفقة منه عليك ، لأنه لم يصح لك التبرى من الحول والقوة فى التوجه إليه سبحانه.

***

• يرينا القرآن المجيد ، أن الحياة لم تخلق باطلًا، ولا لعبًا ، ولا لهوًا ، ولا عبثًا ، فيقول الحق تعالت حكمته :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران] .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٦ – ١٨] ..

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الدخان] .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [ص :٢٧] .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ . [المؤمنون] .

• أحق الناس بالرضا من الله أهل المعرفة به .

• من أدب الأولياء ألاّ يتولوا شيئا بهمومهم وإن تولّوه بعقولهم .

***

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٨٥)

• يرفعنا الدين لكى نرى بعين الجد والعقل إسهامنا فى مجد الكل .. فى مجد هذا الكون الذى لم يخلقه الله تعالى عبثًا ولا باطلًا ولا لعبًا ولا لهوًا .. أن يتجلى لنا ذلك برغم ما يبدو لنا لأول وهلة من جزئيتنا وضآلتنا ومحدودية أعمارنا . وهذا هو جوهر الدين ولبه الذى لا يتغير بتغير الأمكنة والأزمنة والظروف والطقوس خلال العصور . وهو ما يكفل إذا تحقق دوام تآخى البشر وتساندهم وتماسك أيديهم وغاياتهم العامة واطراد نموهم العقلى والنفسى والمادى إلى ما شاء الله ﷻ !

• من خاف الله لم يضره شىء ، ومن خاف غير الله ، لم ينفعه شىء .

• من استوحش من الله ، كانت الوحشة منه !!

• التوكل على الله تعالى يكون بكمال الحقيقة ، مثلما وقع لإبراهيم الخليل عليه السلام حين قال لجبريل عليه السلام : أمآ إليك فلا .. لأن نفسه تابت بالله تعالى ، فلم ير مع الله غير الله ﷻ.

***

• يتيح الدين لبنى آدم ، ولأجيالهم ، فرص السلام والأمن .. وتزداد به دون توقف أو تعثر وكادة وقوة ووثاقة اتصالهم الواعى بالوجود الأعم الأسمى ، وفهمهم لنواميسه ، وقدرتهم على تجنب التعرض لمخاطر الخروج عليها .. هذا الخروج الذى ملأ ماضيهم ولايزال يملأ حاضرهم حتى الآن بالأزمات والنكبات والمحن !!

- علامة المتوكل ثلاث : لا يسأل ، ولا يرد ، ولا يحبس . ولو أن السباع والأفاعى عن يمينه ويساره ما جزع ولمّا تحرك لذلك سره.
- قالوا فى التوكل : هو الاعتصام بالله تعالى.
- التوكل محله القلب ، والحركة بالظاهر دالة عليه.
- قال بعض الصوفية : أهل السماع على ثلاث طبقات : أبناء الحقائق يرجعون فى سماعهم إلى مخاطبة الحق سبحانه له ؛ وضرب : يخاطبون الله تعالى بقلوبهم بمعانى ما يسمعون ، فهم مطالبون بالصدق فيما يشيرون به إلى الله ؛ وثالث : هو فقير مجّرد قطع العلاقات من الدنيا والآفات ، يسمعون بطيبة قلوبهم ، وهؤلاء أقربهم إلى السلامة.

***

- « عبث» الآدميين يكون على أبشع صوره ، حين تستغل سلطة الدين ونفوذه على أتباعه لقضاء وإنجاز المصالح البشرية الفانية الزائلة .. كإيقاظ فتنة للتخلص من خصم أو خصوم والبطش به أو بهم ، أو بث الدسائس لتقويض نظام ، أو لمحاولة التسلط وفرض الإرادة والتحكم للهيمنة والوصول إلى السطوة ، وما يصاحب هذا وذاك من إشاعة وبث ونشر التعصب واستغلال الجهل والخبث ، والجهلاء والخبثاء لسد طريق العقل والفهم والحكمة والروية والأمن والسلام فى وجوه الناس .

هذا النوع من العبث لم ينقطع ، وما بقى من هذا العبث الذى لا يكاد يخلو منه عصر- يبقى مجدولًا ضمن وقائع اتخذها الناس كمآثر فنية وثقافية تعلقت بها ذكريات قديمة ماضية باهتة لأحداث انصرمت وكادت أن تنسى أو نسيت بالفعل بسبب إعراض عقول الناس عمّـا تضمنته أو مثلته فى السالف من مزاعم لا تنتمى فى الواقع إلى الدين ولا إلى حقائق ونواميس هذا الكون !

- أبى الله تعالى إلاَّ أن يجعل أرزاق المتقين ، من حيث لا يحتسبون .
- من أقوال ذى النون : إنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الله سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه.
- من خرج الله من قلبه عبد مَنْ سواه !!!

***

- العبث لدى البشر أغلبه منهم .. وفيهم هم ! لأنهم حتى الآن ، ولمستقبل قد يطول ، لا يستطيعون الهيمنة أفـرادًا وجماعات على اختياراتهم ورغباتهم وأطماعهم وأهوائهم ، وليس لدى غالبيتهم الغالبة الفهم الكافى لحدودهم القاصرة المحدودة إزاء الطبيعة والكون الواسع العريض العظيم الذى يعطيهم القدرة على وقف الاندفاع غير المتبصر عندما يتجاوز بهم تلك الحدود !هذا الفهم (الكافى) الذى يكفل منحهم الشجاعة والجرأة على معايشة الطبيعة وحقائق الكون دون تهيب ودون جبن يطفئ لديهم الاستعداد والمواهب التى زودهم بها الخالق ﷻ .
- طوبى لمن استوحش من الناس ، وأنس بربه ، وبكى على خطيئته .
- قال بعض الصوفية : التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء والأحكام .. ومن آياته الاكتفاء بالله تعالى ، مع الاعتماد عليه.
- إذا نظر المؤمن إلى كل شىء يراه قلبه وتراه عينه ، عرف كيف أن الله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون .
- التشنج علامة التعصب والتشدد ، وآية على فراغ العقل وافتقاد المنطق !!

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٨٦)

• الناس فى كل زمان وعصر ، يسيئون استخدام الفهم كما يسيئون استخدام الجرأة يقعـون فى ذلك لإخفاء إذعانهم للجبن والطمع والشره والأثرة ، وهم لذلك دائبون على إساءة استخدام الفهم وعلى إساءة استخدام الجرأة ليستروا إذعانهم المتوارث للجبن والطمع والشره والأثرة ، فيتخبطون فى المزيد من الظلمة والتلبيس والاسترابة ، ويزدادون اقتناعا باستحكام العبث وانعدام الجدوى فى الحياة والوجود !

• قرأت تعليقًا لأحد رؤساء التحرير عن الاعتراض على الإفراج عن جاسوس إسرائيلى مقابل الإفراج عن ٨١ سجينًا مصريًا .. فقال إنه يوافق على الصفقة حتى ولو كانت بالإفراج عن ٨١ جاسوسًا إسرائيليًا مقابل سجين مصرى واحد ، لأن ظفر المصرى الواحد أغلى فيما قال من كل الشعب الصهيونى .

ظنى أن هذا منطق ملبوس ، فالمسألة ليست فى أعداد أظافر ، وإنما فى معنى أن تطلق السلطات المصرية جاسوسًا عبث بأمنها القومى ، فالترخص فى ذلك يشجع جواسيس آخرين عديدين لا يزالون يرتعون ويعبثون بأمن مصر خفية من وراء الأستار !!!

• رغم كثرة ما كتب عن الثورة الفرنسية ، لا يزال تصوير تشارلز ديكنز فى روايته : قصة مدينتين ، أعمقها تعبيرًا عما شاب هذه الثورة الملهمة من حصد أرواح الأبرياء ، حتى بلغ مداه بعد ذلك فيما عُرف بعهد الإرهاب .

- مبنى الدين على أصلين : «الحق ، والصبر. وهما المذكوران فى قوله تعالى : ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر] . ولما كان المطلوب من العبد ، هو العمل بالحق فى نفسه وتنفيذه فى الناس ، وكان هذا هو حقيقة الشكر ، لم يمكنه ذلك إلاّ بالصبر عليه ، فكان الصبر نصف الإيمان » .
- من حديث الروح لمحمد إقبال :تحاورت النجوم وقلن صوت: بقرب العرش موصول الدعاء وجاوبت المجرة عل طيفا: سرى بين الكواكب في خفاء .

وقال البدر هذا قلب شاك يواصل شدوه عند المساء
ولم يعرف سوى رضوان صوتي وما أحراه عندى بالوفاء .

***

- مهم وضرورى للآدمى ، لينجو من القنوط أو الإحساس بالتفاهة أو اللا جدوى ، أن يتأمل تأملًا واعيا فى هذا الكون ، وأن يدرك أنه جزء هام وفاعل ضمن قوانينه ونواميسه ، وأن الله تعالى الذى لم يخلق هذه الحياة باطلًا ولا عبثًا ولا لعبًا ولا لهوًا ، قد خلق الإنسان فيها ، وكرمه تكريما ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء] ، وأناط به بالإنسان صناعة الحياة والعمار فى هذا الكون الفسيح المعجز للأفهام .. أوصى الإنسان وقد استخلفه فى هذه الأرض ، بأن قيمته ومنزلته هى بقدر ما يعمل لا بمقدار ما يعبث .. يقول ﷻ فى محكم التنزيل ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك] .ترى لماذا صمتت الأطيار ، وتوقفت البلابل والعنادل عن الشدو والغناء ، ولم يعد فى ربوعنا إلاّ نعيق البوم ؟!

- أحيانا تبدو الأزمات بلا حلول ، بل قد يرفض المأزوم كل حل ، لأنه يتمسك بالمبكى عليه ولا يريد له بديلًا .. ينسى الناس أن إسلام مقاليدهم لله يعبر بهم ما عجزت عن اجتيازه وسائل البشر !!
- لا يضر السحاب نباح الكلاب !
- من عرف آية الله ، لم يخرج أبدًا من حصنه .

***

- رحلة الآدمى فى حياته ، رحلة يتحد فيها العقل مع البدن حينًا ، ثم ينفصلان حينًا حتى تفصل بينهما هوة كتلك التى كانت حين بدأ الآدمى رحلته مع الحياة .. بدن الآدمى وعقله ، يتصاحبان معًا فى رحلة نموهما من مولد الآدمى ، حتى إذا ما استوفى البدن حاجته توقف عن النمو ، بينما يمضى العقل فى رحلة نموه التى لا تتوقف وتستمر على قدر اهتمام وإقبال الآدمى على إعماله وشحذه وتنميته . فى البداية ينمو بدن الآدمى وعقله معًا، ثم يستمر نمو عقله مع توقف نمو بدنه .. فإذا جاوز الآدمى هذه المرحلة يتدهور بدنه مع بقاء عقله على قوته ، إلاّ إذا أدركته الشيخوخة الطاعنة ، ووصل إلى أرذل العمر الذى فيه قال القرآن المجيد : ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـًٔا﴾ [النحل: ٧٠]
- لماذا لم يعد يوافينى الفكر الصافى ، إلاّ إذا أغلقت علىّ بابى ، وصممت سمعى وبصرى ، وحميت عقلى من كدر الصخب والضجيج ، وبلبلة الهدير الهادى الذى طفق يملأ الوطن من حولنا ؟!!!
- لماذا ينصرف الكثيرون عن شدو البلابل ودعاء الكروان وغناء العندليب وأغاريد الزرياب وأنغام الشحرور وشقشقة الأطيار وزقزقة العصافير

ويقبلون إقبالا علي ندب الغربان ونعيق البوم ؟!!!

قال شاعر حكيم لمن اغتر بانتصاراته وغلبته :

يا أبا اليقظان أغواك الطمع سوف تلقى فارسًا لا يندفع

- ولىّ الله الحق لا يسعه حرف ، ولا يسعه تصريف ، ولا يسعه غير الله ..

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٨٧)

- اتساع «الاحتمالات» فى حياة الآدمى ، لا ينحصر فى مجال دون مجال .. الاحتمالات تصاحب رحلة الآدمى فى جميع دوائرها ومراحلها حتى فى الموت ذاته ، وهى فى اتساعها وتنوعها لا تقتصرعلى النواحى الفكرية والعاطفية دون النواحى البدنية . فالنواحى البدنية غير مفصومة عن النواحى الفكرية أو العاطفية ، بل تعمل فيها الأفكار وعادات التفكير والعواطف والسلوك إلى جانب الضرورات والاحتياجات العامة لكل حى مثل التغذية والمأوى والصحة والتوالد والاعتلال والفناء .
- ما حدث ويهدد بالمزيد فى منيل شيحة ، يورى بأن الفقراء والمعدمين من سكان المنطقة ، رضخوا على مضض للبنايات الفخمة التى تعالت مع النعيم على شاطئ النيل ، فلما سقطت الحماية انفجر بركان الغضب المحبوس من سنوات فى الصدور !!!

لماذا لا يلتفت الأغنياء إلى أن «الجوار» بين الثراء والفقر استفزاز خطير ضرير غير مأمون العواقب ؟!!

- ظنى بل يقينى ، أن الأزمة الطائفية التى تعترض مصر الآن ، وإن كان يمكن أن تُعزى إلى متطرفين من الجانبين ، إلاَّ أن المؤكد أن هناك أصابع تدفع الأطراف إلى التعصب المؤدى للتصادم ، دون أن يلتفت ذوو النوايا الحسنة الطيبة ، إلى براءة الإسلام والمسيحية من هذا التعصب ، ودون أن يتفطنوا إلى أن المحبة هى قوام المسيحية ، وأن الإسلام كرَّم

كافة الرسل والأنبياء وحض على التعاون والبر والتقوى ، وأن أحلى كلام قيل عن المسيح عليه السلام قيل فى القرآن المجيد .

- قال شاعر حكيم :

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقة سكون

وقال آخر :

بادر إذا حاجة فى وقتها وضعت فللحوائج أوقات وساعات

- فى مواقف النِّفَّرى : احفظ عليك مقامك ، وإلاّ ماد بك كل شىء .

وفيها :مقامك هو الرؤية ، وهو ما رأيت فى ورود الليل والنهار ، وما رأيت من كيف ورود الليل والنهار ، وأن الله تعالى قد مد الأبد ، ويرسل رسولا من حضرته بالليل وبالنهار .

***

- يبدو أن اتساع مجال الاحتمالات ، وتنوعها ، فى حياة البشر ، هو المسئول عن تغاير الأفراد وتميز كل واحدٍ منهم «بذاتٍ » أو «نفسٍ» أو «أنا» هذا التغاير الذى يظل موجودًا وقائمًا برغم اجتماعهم فى «فئات» بحكم الاشتراك فى اللغة أو فى الأصل أو فى الدم أو فى اللون أو المكان أو العقيدة . والأحياء منا وإن اختلفوا عن الأموات الذين رحلوا ، فإنهم يهتمون بمن يشاركون فى هذه « القرابات » لأنْ بعض آثار هذه «القرابات» للراحلين لايزال باقيا حاضرًا معنا نحن الأحياء !

- عاش ويعيش فى صفحة وعينا ، من القدم ، ما يسود لدينا أفرادًا وجماعات ، من التمييز بين القوة والضعف ، وبين الأهمية والمكانة والغنى وبين قلة الشأن أو السوقية أو الفقر أو الانحطاط أو الهوان . منشأ ذلك العائش الراقد فى صفحة وعينا هو ذلك الكفاح الذى تفرضه

حياة الأحياء على هذه الأرض ، التى يبدو أنها تعطى لكل على قدر قوته أو ضعفه وعلى مساحة ما لديه من ظروف تسانده أو تخذله ، ويبدو أنها رغم محدوديتها التى يعلمها الآدميون منذ قرون ما يزال لديها الكثير جدا من العطاء لعموم البشر وعموم الأحياء على هذه الأرض !

- يبدو أن أعمال الناس باعثها حاجاتهم ، وأن العواطف والأهواء والميول هي التي تحركهم ويبدو أن البواعث النبيلة نادرة قليلة الحول إذا قورنت بالبواعث السائدة في عالم الناس ذلك أن مصدر قوة الميول والأهواء أن إرضاءها وإشباع الشهوات لا يقيم وزنا للحدود التي تفرضها العدالة وتقرها الأخلاق ، فتنفلت إلى أغراضها بغير ضابط ولا عاصم ولا رباط !
- من ترجمة رامى لرباعيات الخيام :

لاتوحش النفس بخوف الظنون ... واغنم من الحاضر أمن اليقين
فقد تساوى فى الثرى راحل غدا ... وماض من ألوف السنين

- من أقوال ابن عطاء الله فى التوكل : آيته ألاَّ يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها ، وألا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها.

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٨٨)

• اطراد فناء الأفراد وإن كان محتومًا ليس منه مفر ، ويراه جميع الآدميين رؤية تكون أكثر جلاءً ووضوحًا فى فترات الهدوء والتأمل إلّا أن الإحساس بمحتومية الفناء واطراده ، يختفى ويبهت ويتباعد ويُنسى ولا يُشعر أو يُحس به أو يُلتفت إليه فى الاندفاع الجارف للحياة فى معظم الأحوال والأوقات التى يعيشها كل آدمى مشهورًا كان أو مغمورًا ، صغيرًا أو كبيرًا ، ضعيفًا أو قويًا ، سعيدًا أو شقيًا ، وذلك لأنه يستولى عليه ويستغرقه وعيه الهائل المتضاخم بذاته ، وملازمة هذا «الوعى» لكل مساعيه وأنشطته وعواطفه وأحلامه وآماله واعتياده الدائم على المقابلة بين « ذاته» أو «نفسه» أو «الأنا» وبين ما يسميه بالعالم الخارجى أو بالغير أو بالآخرين !

• يبدو من أسف ! أن تقدم عقل الإنسان فى الفهم ، يصحبه زيادة فى الأهواء ، وأن ترقيه فى المعرفة يستولد لديه حماقات جديدة ، وأن ولوعه فى الانكباب على دراسة ما فيه ومعه وحوله وداخله وخارجه وبغاية ما يستطيع من الدقة والإتقان يواكبه ، للغرابة المؤسفة ، ظهور المزيد من الخفة والسطحية وقلة المبالاة ، وأن هذه النقائص من توابع التقدم والترقى والاجتهاد ينتظر أن تؤدى على نحـو ما دورها فى مقاومة ما فى فطرتنا من الميل إلى المبالغة والشطط ، وربما كان ذلك له مدخل من مداخل نواميس الكون فينا .

ولذا قد يكون هذا هو مرجع اهتمامنا وإحساسنا بالفروق بين الأفراد والأسر والجماعات فى القوة والمكانة والنفوذ والثروة ، وما نبنى عليه من قديم القديم من فوارق واسعة معترف بها بين الأصيل والوضيع والحاكم والمحكوم والغنى والفقير ، والمتعلم والمثقف والأمى والعامى والسوقى ، مما يميز ويحدد به البشر حتى الآن معالم الطبقات والمستويات .

- يبدو أن الاعتدال الذي يصاحب تقدم السن : باعثه نضج القدرة على الحكم على الأشياء وليست القناعة بالدون وقبول الواقع !
- الجهل حجاب الحجب وحاجب الحجاب ، وليس بعد الجهل حاجب ولا حجاب !
- أراد الشبلى أن يعظ من جاءه يشكو من كثرة العيال ، وأن ينبهه إلى نعمة الله تعالى بهم عليه ، فقال له : «ارجع إلى بيتك ، فمن ليس رزقه على الله تعالى ، فاطرده عنك » !

***

- فكرة الخلود ، أو طلب الخلود وهى فكرة تصاحب معظم الناس وتتعاظم لدى الفنانين والأدباء والعلماء والمفكرين ، هى فى واقع الأمر عوض أو مقابلة ، واعية أو غير واعية ، لحقيقة الفناء التى ترقد فى أعماق الحىّ مهما هرب أو حاول الهروب منها ، لذلك كانت مقاومة « الفناء « ظاهرة ملحوظة فى كل حى ممدودة الأمد بمدى عمره الذى لا ينتهى إلّا بانتهائها أو استحالة استمرارها !
- حينما يكتمل البناء الدستوري للدولة ، وتخضع الإرادات الذاتية لنظامها وقوانينها يزول الفارق بين الحرية والضرورة وتتفق الإرادة الخاصة مع الإرادة العامة وتنصلح الأحوال !

- للمعجزات دلالات صدق الأنبياء ، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبى ، كما أن العقل المحكم لمَّا كان دليلًا للعالم فى كونه عالمًا لم يوجد ممن لا يكون عالمًا .
- قال حكيم من الزمن الأول : علامة الأولياء ثلاثة : تواضع فى رفعة ، وزهد عن قدرة ، وإنصاف عن قوة.
- لا يصلح لحضرة الله تبارك وتعالى ، إلاّ من شيدت سرائره قصورا فى معرفته ﷻ .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٨٩)

- يتداول الوضوح والغموض على ظواهر الحياة وبغير انقطاع . تمسك حواسنا وذاكرتنا بالواضح لنا ، ولا نكاد نعرف أو نعترف بالغامض ، فهى إن كانت أدوات عملية نافعة أو يمكن أن تكون نافعة ، إلّا أنها ليست دقيقة ، وغالبًا ما تعطينا صورًا عامة ظاهرية نملأ ثغراتها وفراغاتها بما تتيحه لنا المخيلة والاعتقادات التى زودنا أو أمدنا بها مجتمعنا ، فضلًا عما تراه مناسبًا أو معقولًا لنا أو عندنا أو لدى مداركنا .
- الأنبياء يظهرون المعجزات لأنها دلالات صدقهم وآية رسالتهم ، أما كرامات الأولياء فمأمورون بسترها لجواز أن يكون ذلك مكرًا .
- سئل أحد الصوفية عن الفتوة ، فقال لسائله : «اعذر الخلق فيما يجرى عليهم ، واجعل التقصير من نفسك ، وأشْفق على خلق الله ، وكمال الفتوة ألا يشغلك الخلق عن الحق».
- من حفظ عهد الله ، حفظه ربه وحافظ عليه وسدد خطاه .
- من الخطأ الفادح والعمى الضرير الاعتقاد المغلوط أن وضع حد للجموح والشرود والنزوات والاندفاعات العمياء والأغراض الهدامة يناقض أو يصادر الحرية . الحرية حق وصواب ومسئولية والتزام ..وإلا كانت فسادا وإفسادا وضياعا !!! يناقض وينقض الحرية ذاتها !

***

- يطول العمر النسبى ، أو قدرة العطاء ، وأيضًا متعة الإحساس الأطول بالحياة ، لدى من يدرك أن «العقل» ومعه الذاكرة هما العوض الحقيقى للتآكل الحتمى الذى يصيب البدن والقوى الحسية مع الزمن .. اتساع العقل ، وتنمية ملكاته ، ورصيد الذاكرة من الخبرات والمعارف زاد هائل يعوض الآدمى عن خفوت وتراجع البدن . لذلك لايعانى الشيخوخة من لا تنقطع معها قدرته على الاستمرار والعطاء على قدر ما يُعنى بنعمة العقل والذاكرة ويلتفت على الدوام لملاحقتهما بالصقل والزاد والتنمية والإثـراء .. لا يشيخ حقيقةً من يطول وميض عقله وتصاحبه ذاكرة عامرة تعوضانه عن القانون الحتمى لخفوت وتراجع البدن وقواه الحسية ، مثلما تقويان فى الآدمى القدرة على احتمال صنوف القدر ونوائب الأيام وضيق الظروف المادية أو شطف العيش أو غير ذلك مما قد يصيبه فى معاشه أو حريته أو تصاريف حياته .
- من مواقف النِّفَّرى : الحجب خمسة : حجاب أعيان ، وحجاب علوم ، وحجاب حروف ، وحجاب أسماء ، وحجاب جهل .

فالدنيا والآخرة وما فيهما من الخلق هو حجاب أعيان .

والعلوم كلها حجب .. كل علم منها حجاب نفسه وحجاب غيره .

وحجاب الحروف هو الحجاب الحكمى .. ولحجاب العلوم ظاهر هو علم الحروف ، وباطن هو حكم الحروف .

- من الكرامة أن يستطيع المرء تبديل خلقٍ مذموم من أخلاقه .
- سئل حكيم من الزمن الأول ما علامة الشقاوة ، قال : «أن يُعْطى الواحد علمًا ولا يُعْطى توفيق العمل ، أو يُعطى توفيق العمل ولا يُعطى الإخلاص ، وتُيسر له صحبة الأولياء ولا يُعطى احترامهم وإكرامهم »!!

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٩٠)

- من المؤسف أننا لا نلتفت إلى ما يعترى الذاكرة مع الأيام من الاعتلال والضعف إلّا إذا اشتد الاعتلال ولاحظه أو لاحظ الآخرون آثاره وبات علاجه صعبًا أو عصيًا . يوقعنا فى عدم الالتفات إلى هذا الاعتلال أنه تدريجى ولا يصحبه فى الغالب ضعف أو مرض أو اعتلال بدنى تشهده وتشير إليه الحواس ، ويحتاج عندئذ إلى قوة ملاحظة وتعود على التأمل لكشفه .
- قال أحد الصالحين : عجبت من الذين يسافرون فى الوادى والبرّ حتى يصلوا إلى بيت الله الحرام ، ويرون هناك آثار الأنبياء ، لم لا يقطعون وادى النفس والهوى ، ويتصلون بالقلب ، ويبصرون آثار ربهم فى مخلوقاته؟!
- من علامات اتباع الهوى ، المسارعة إلى نوافل الخيرات ، والتكاسل عن القيام بالفروض والواجبات !
- كل آتٍ قريب ، وكل ذاهب يؤوب .
- من الموت تولد الحياة ، إن الورقة وهي تسقط تمسك أناملها ببرعم الورقة الجديدة التي تتفتح وتستقبل الحياة !

***

- إننا فى عالم أكثر حضارة وعناية بالفهم والعلم وذلك يجب أن يدعونا إلى اليقظة أو إلى مزيد من اليقظة لأهمية الذاكرة والمحافظة على سلامتها وقوتها ومراقبة ما يعتريها من أمارات الخفوت أو التآكل أو النقص ،

والمبادرة إلى السعى لتداركه بقدر ما فى الإمكان حفاظًا على هذه الشعلة التى تكمن فيها صلتنا بالحياة !

- قال بعض الصالحين : أعرف الناس بالله أشدهم مجاهدة فى أوامره ، وأتبعهم لسنّة نبيه.
- من الحكم العطائية : «من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ، ويمنحك ما يطغيك ليقل ما تفرح به ويقل ما تحزن عليه» !
- ما بسقت أغصان ذل ، إلاَّ على بذور طمع !
- لماذا لا يتطامن طلاب المجد والعظمة فيقنعون بمقعد في أوتوبيس ؟ هل من الضروري ليكون مهما أن يمتطي منطادا أو يطير فوق المحيط أو يرشح نفسه رئيسا لمصر ؟! كم من بسطاء بلغوا مراتب العظمة الحقيقية بأعمال مستورة نافعة أدوها في صمت ووقار بلا ضجيج أو إعلان أو استعراض !!!

***

- أمام الفناء الذى ليس منه مفر ، تغدو الذاكرة هى «عماد» الآدمى فى رحلة الحياة على هذه الأرض . وذاكـرة الآدمى متعددة القدرات والاستعدادات ، لا تعيش كما نتوهم ! على التفاهات أو القمامات تضوى وتذبل إذا لم تزود بالجاد المفيد للنوع القابل للنمو والبقاء ؛ لأنها أولًا وأخيرًا جهاز لوظيفة كونية تمارس دون أن يشعر الآدمى قدرًا من الانتقاء والانتخاب والاختيار يهدف إلى المحافظة على بقاء النوع ونجاح وجوده بما تعين به الآدمى على استخدام ما تحفظه إن كان فيه نفع لحياته ، وهى قادرة برعاية الآدمى والتفاته ، على التخلص من القمامات والتفاهات بالنسيان الكلى ، وعلى زيادة قدرتها على حفظ صيانة وتنمية

ما لديها من المجدى النافع الذى لا ينقطع من الخبرات والمعلومات والمعارف ما امتد سعى الآدمى لتزويدها بحصاد ما يلقاه ويقابله فى رحلته الجادة فى هذه الحياة !

- لا تستهتر بشىء ، فإن الضربات الصغيرة ، تسقط أشجار السنديان .
- قال أحد الصوفية : حقيقة الحب مع الله دوام الأنس بذكره.
- من أدلة انطماس البصيرة ، اجتهاد المرء فيما هو مضمون له ، وتقصيره فيما يطلب منه ويجب عليه .

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(١٩١)

- ما من جبار أو طاغية فى تواريخ الأمم والدول والشعوب ، إلاّ وفلسف لنفسه لماذا يركب على رقاب الناس ، ويبرر للناس الحرب أو الحروب التى دفعهم لخوضها وبذل دماءهم وأولادهم وذويهم فيها .. تصرفه ذاته المتضخمة فيه ، وخداعها لنفسها بأنها وحدها مالكة الحكمة والفطنة والبصيرة عن رؤية ماذا يدفعه وسوف يدفعه البسطاء من حياتهم ومصيرهم وحاضرهم ومستقبلهم إشفاءً للغليل الذى أعماه وزين للناس أنه غليلهم وغليل أوطانهم وأمان حاضرهم ومستقبلهم والضمان الواجب بذله لأولادهم وأحفادهم !!
- إلى الذين يتساءلون أين النخبة من الاتجاهات الشاردة التى تطعن حقوق المواطنة وقلب الوطن أقول لهم إن النخبة إما منكفئة وإما مشغولة بعرض الذات فى المشهد العام أو فى طلب الأصوات لمن رشح نفسه فى الانتخابات الرئاسية أو البرلمانية .. والحصول على الأصوات له حسابات وحسابات. لذلك آمنت شخصيا بالحكمة التى تقول : اتق عفة المستغنى. أوالرؤية التى تقول :إن الانسان إذا تقدم فى السن نضج ، وإنه إذا نضج فهم ، وإنه إذا فهم تحرر ، وإنه إذا تحرر استغنى .. دعونا نتحرر لنستغنى لنكون لمصر لا لحسابات الذات أو حسابات الانتخابات !!
- كثيرون من المرائين ، يقبلون اليد التى يتمنون قطعها !!

• إن الهوى وحده لا يستقل بفساد السيئات إلا إذا لازمه الجهل ·· والعلم يرد صاحب الهوى عن هواه ؛ لأنه يرشده إلى ما فيه من ضرر ، والله تعالى قد جعل فى النفس حبا لما ينفعها وبغضا لما يضرها ..

***

• القبح ليس فقط القبح المادى المتمثل فى قلة النظام أو زيادة الفوضى أو طغيان العشوائيات أو اعتياد مجافاة النظام أو الزحف على الجماليات أو تغلغل القذارة والإهمال فى الشوارع والطرقات والمرافق العامة والأبنية . القبح ليس مجرد قبح «الصور» المرئية أو المسموعة التى تطالع عيوننا أو تصافح آذاننا بالمئات والآلاف دون أن تحرك فينا إحساسا أو تثر فينا نفورا .. القبح يشمل أيضا القبح فى مجافاة القيم .. قيم الصدق والأمانة والزهد والوقار والإخلاص والجدية والطهر والشفافية والعدل والاستقامة .. القبح القابع فى انحراف السلوك عن الموضوعية ، واعتياد تضخيم الذات ، فى تجبر الأقوياء وعصفهم بالضعفاء ..فى التيه بالقوة والصلف والجبروت والغطرسة ... فى استيسار الكذب والتفاهة والنفاق والمواراه والفهلوة والديماجوجية والسطحية والانحصار المريض فى انحيازات وشهوات ومآرب النفس .. ، فى انعدام أو خفوت القدرة على الإحساس بالآخر وفى عدم الالتفات إلى حقوق الآخر .. فى اختلال لغة الخطاب وتفشى العربدة والانتهازية وضلال الكلمة ... فى الجرى وراء أطماع الذات والانتصار لها ولمآربها أو رؤاها مهما أنذرت ومهما أضلت حتى ولو كان من بعد ذلك الطوفان !!

• الشهوة هى أصل كل المعاصى ، وباب الغفلة والمضلات !

• فارق كبير بين أن ترفض الإسلام فذلك لا يقدم عليه مسلم وبين أن ترفض التحكم فيك والركوب على مقدراتك باسم الإسلام !!!

- قلوب أهل الحق طائرة إليه بأجنحة المعرفة ؛ ومستبشرة إليه بموالاة المحبة.. وليس من احتجب بالخلق عن الحق ؛ كمن احتجب بالحق عن الخلق !!!

***

- أخطر وأدهى من شيوع القبح واتساع رقعته ، فقدان القدرة على ملاحظته ورؤيته والالتفات الجاد إليه .. هذا العجز الأعمى ، هو فى مؤداه دعوة حتمية لمزيد من تفشى وسيادة القبح وانحسار وتلاشى الجمال المادى والخلقى والقيمى والمبادئى .. هو إعدام لكل أمل فى الإصلاح الحقيقى الذى يعد الآدمى ذاته أداته الفاعلة . لن تجدى النظم ولا القوانين ما لم يستر ـ الآدمى نفسه من هذا السقوط فى هاوية العجز الذى أصابه بالعمى وجعله ضريرا لايرى ولا يلتفت إلى مافيه ومافى غيره وما فى الحياة من حوله من قبح ودمامة !! أو يراه ويبتلعه ولا يستهجنه ولا يقاومه ولا يصححه فى نفسه ولا يسعى لتصحيحه فى الآخرين !!!
- أى شيطان وأى غرور ساذج ضرير قذف في ظن بعض الإمعات بأنه جدير يصلح أن يكون رئيسا لمصر ، وهل صارت الجدارة سلعة رخيصة تباع بأبخس الأثمان ؟!
- ما لمسناه من تشنج البعض خلافا للأغلبية هو دليل الأدلة على التعصب والتشدد معا وعلى الرغبة أيضًا فى القسر والجبر والإرغام ، وعلى أن الخلط بين الدين والسياسة ضار بالدين والسياسة جميعا ، ويوجب علينا ألا نسمح لأحد ولا لحزب أن يفرض علينا ما يريده باسم الدين !!!
- من لا ينفعك رضاه ، لا يضرك غضبه !

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٩٢)

- أبشع من سقوط العاديين من الناس فى هاوية الركود الروحى وفقدان القدرة على الالتفات للقبح والنفور منه ، سقوط الرواد وأصحاب الدعوات فى هذه الهاوية !! فصاحب الدعوة يتقدم إلى الناس بباقة قيم ومبادئ ومعتقدات .. ناذرا نفسه ونفوس أصحابه ومريديه لهذه الدعوة أو هكذا يتوقع وينتظر منه الناس !! ولذلك فهو لا بد أن يختلف عن بحر العاديين من الناس .. فما يخضع له أو ينخدع به العاديون ، لاينبغى ولا يجوز أن يخضع له أو ينخدع به الرواد وأصحاب الدعوات .. من يخوض السياسة ولججها فيتعامل معها بلغتها وأساليبها وربما مكيافليتها ، غير من يعلو الناس بخطاب القيم والدين والاستقامة والمبادئ والدعوات .. ما يجوز فى السياسة وألاعيبها ، لا يجوز فى الأديان وقيمها ومبادئها وأخلاقها واستقامتها . صاحب الدعوة ، تحكمه الدعوة وقيم ومبادئ الدعوة ، .. لايقبل ولا يجوز له أن يقبل المكيافلية ولا أن يستسيغها ، ولا يجوز له أن يتوسل لغايته بخبائث ودسائس والتواءات السياسة !!
- الإنسان إذا كبر نضج ، وإذا نضج فهم ، وإذا فهم استغنى ، وإذا استغنى تحرر متى يتحرر العابثون اللاعبون بالسوء في مصير مصر ، المهددون لحاضرها ومستقبلها ؟!!!

- الذين يضربون السياحة فى مصر إنما يقدمون خدمة مجانية هائلة لإسرائيل فإن تراجع السياحة فى أرض الكنانة يصب مباشرة فى صالح إسرائيل وخزائن وتعمير إسرائيل . فهل تنبهنا إلى درس الدبة التى قتلت صاحبها ؟!
- قد تحسن التصويب ، ولا تصيب الهدف .. فلست وحدك المتحكم فى الظروف !

***

- الواجب فى الدعوات واجب وإن لم يصاحبه مغنم ، والحق فى الدعوة حق ولو لم يحقق مصلحة .. لذلك كانت دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام : **«من أمر أحدًا محاباة فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين»** ... و« **إنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا لمن أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها»** .. « **والله ما نولى هذا الأمر أحدًا يطلبه»** ..
- تأبى نفس الآدمى التسليم بالخطأ ، فنسعى لتبريره .. والتبرير فى علم النفس نوع من الكذب ، ولكنه كذب فى اللاوعى فإنْ كان فى الوعى صار كذبًا صراحًا واختلالًا معيبا فى بوصلة القيم !
- كلما ازداد ما لديك ازداد ما تحتاج إليه ، وقد قيل : نهمان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال !
- أخطر الفتن فتنة العالم الفاجر ؛ وفتنة العابد الجاهل ... فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون !! فهذا بفجره يبتعد عن العلم وموجباته ؛ وذلك لجهله وغيه يدعو إلى الفجور !!!
- لا يبحث عن الشفاء إلاَّ من أحس المرض ، وهذا هو حال التائب الذى يحس بما ألم به ، فيتوب عنه !

- قوة الجسد ، والقدرة على الحيلة ، وجرأة النفس ، ليست هبات متعادلة متساوية ، أو صفات منحت للآدميين الأوائل ، وما كان لها أن تمنح أو تتاح بقدر متساو .. تمايز الناس قديمًا ، مثلما يتمايزون الآن فى هذه الصفات ، فنشأ من ثم مع بدايات التجمع الآدمى وصفًا : أى صفتا القوة والضعف .. ولأن «الضعف» لايتيح للضعيف ما تتيحه القوة للقوى ، اقترن منشأ الوصفين (القوة والضعف) بوصف «التابع»ووصف «المتبوع» .. انساب ذلك وترسخ بين عموم الرجال وعموم النساء .. بين عموم الكبار وعموم الصغار .. بين رب الأسرة منذ تكونت وبين أتباعها من حريم وأطفال وخدم أو عبيد .. وتبعًا لذلك بدأت الفوارق الواسعة تتشكل وتتنامى وتتراءى فى عموم الرجال وعموم النساء وعموم الصغار ، بين الجنسين !
- المرشح لأى موقع ، رئاسى أو برلمانى أو نقابى ، هو من تقدم وقدم أوراقه للترشح للموقع ، أما النوايا فلا أثر لها فى تحديد المراكز القانونية أو إسباغ الصفات أو انتحالها . ومع كامل احترامى للأشخاص ، فلا يوجد ما يسمى المرشح المحتمل ، ناهيك بأن يُعْطى أو يعطى هو لنفسه حق التكلم باسم الشعب . كثر المتحدثون باسم الشعب فى هذه الأيام بينما أُدخل الشعب رغم أنفه ! فى الأغلبية الصامتة . يستطيع من ينتوون الترشح لأى موقع أن يجتمعوا وينفضوا ، وأن يرسموا ويحددوا ، ولكن لأنفسهم لا لمصر ولا لشعب مصر !!!
- ليس صحيحا أن التفكير في الموت محض تشاؤم لا معنى له إن التفكير في الموت يجلب الحب الحقيقي للحياة ، وحينما لا يستوحش الإنسان من الموت ويأتلف فكرته : يتقبل كل يوم يحياه بل كل ساعة كهدية امتن بها عليه الخالق ﷻ تستوجب شكره على نعمائه .

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٩٣)

- فى أيام الحزن ، وفترات الأزمات والعثرات والخطوب والمحن ، تتساند وتتماسك النفوس ، للأفراد وللجماعات ، إما بالنزوع إلى الماضى واسترجاع ماكان فيه من صور وأشكال وصفحات القوة والمتانة والعطاء والصعود والمجد ، وإما بالنظر إلى الأمام لاستشراف المستقبل واستطلاع آفاقه ومعطياتـه الواجب إلقاؤها فى تيار الحياة الدافق نشدانًا لتحقيق مايعوض أحزان وخبو وانطفاء وظلام وآلام الحاضر ونكباته ومآسيه .. وأحيانًا ، وذلك أوفق ، ما تجنح الأفراد والجماعات إلى خليط متوازن بين النزوع إلى الماضى واستمداد الثقة منه ، وبين استشراف المستقبل لرؤية القابل واستمرار الدفق الواعى للنهوض فيه !
- أدهشتني وآلمتني جدًّا دعوة البعض إلى ما أسموه وقف هدم الكنائس فى مصر ؛ فبغض النظر عن تصرف شاذ وأحمق قد تكون له أسباب أو دوافع ؛ إلا أن أحدًا لا يهدم أو يقبل هدم الكنائس في مصر ؛ لقد تجاورت مآذن المساجد وأبراج الكنائس في بر مصر مئات السنين . وبقيت الوحدة الوطنية صامدة ضد العواصف والمؤامرات والأعاصير ، وأخشى ما أخشاه أن توحى هذه الدعوة حسنة النية لأعداء مصر لاستغلالها لضرب النسيج الوطني وتشويه مصر بغير حق أمام العالم . إن الكنائس في قلوب و أمان جميع المصريين مسلمين ومسيحيين ، ولا يوجد بين المصريين الأسوياء من يهدم أو يقبل هدم الكنائس في مصر !

***

- النزوع إلى الماضى ، واستشراف المستقبل ، جناحان تلقائيان لا غناء عنهما للتماسك والتساند فى أيام الحزن والعثرات والخطوب والمحن .. ويبدو لى أن النظر إلى «الآتى» واستشرافه ، لا يزال يحتاج من العرب إلى فترة لالتقاط الأنفاس واستقرار الأوضاع النفسية والفكرية والعقلية للأنظمة العربية ولعموم الناس .. القوارع توقظ . نعم ، ولكن تخطيها والاندفاع من جديد فى تيار أصلح وأوعى وأثقب للحياة يحتاج إلى روية وإلى استجماع وإلى رؤية وإلى بصيرة وإلى قدرة على تجاوز ما كان ورأب الصدوع ولملمة الأشلاء ومعالجة السلبيات ، وتجميع القوى وتضفيرها وتهيئتها وتكريسها لانطلاقة فاهمة واعية ، مدركة ومخلصة ، تندفع فى حماس جارف لا تنقصه الحكمة ..
- عجبت لمن ليس له من الصيام إلا الجوع و العطش ، ولمن ليس له من الحج إلا الترحال والسفر والحركات والسكنات ، فلا يعاف الجدال والمراء ، وتستغرقه الخصومات والعداوات التى تصرفه عن ربه وعن فريضته ، فلا يدرك ما يسعى الصائم والحاج إلى إدراكه فى رحلة روحية يستخلص فيها الإنسان نفسه وروحه من الدنيا وشواغلها ، ومن الخصومات و عداواتها ، ومن المقارعات ومجادلاتها ، فيحرم نفسه من ثمرة الفريضة وغايتها وثوابها ، ويحجبها عن زاد التقوى وابتغاء الفضل بها من ربها؟!
- طاف بى من قصيدة حديث الروح لمحمد إقبال قوله :

حديث الروح للأرواح يسرى   وتدركه القلوب بلا عناء
هتفت به فطار بلا جناح   وشق أنينه صدر الفضاء
ومعدنه ترابي ولكن   جرت في لفظه لغة السماء
لقد فاضت دموع العشق منى   حديثا كان علوي النداء

فحلق في ربى الأفلاك مني   أهاج العالم الأعلي بكائي
تحاورت النجوم وقلن صوت   بقرب العرش موصول الدعاء .

***

- النزوع إلى الماضى أسرع السبل وأقربها لجبر اليأس والإحباط، فاستحضار صفحات القوة والعظمة والمجد ، عملية عقلية داخلية تتم فى لحظات بآليات الذاكرة مع مخزون الراقد فيها من صفحات وأمجاد التاريخ وملاحم الماضى التليد ! هذا النزوع لايجوز وغير مقبول أن يكون محض استرجاع لصور وردية يتشابه مع شطحات وخيالات وأحلام المخدورين . لاقيمة حقيقية للنزوع إلى الماضى ، وهو ظاهرة حتمية فى المحن والقوارع ، إلاّ بالتنبه والالتفات إلى جعله هو الآخر نهرًا واعيا حيا للحياة .. ولن يكون هذا واقعا ما لم يقترن النزوع أو الحنين إلى الماضى بالتنبه والالتفات إلى «المعنى» و «الروح» لا إلى محض «الصور» أو «المشاهد» دون استخلاص معانيها الباقية التى تنقلها من ماض راح وانقضى ، إلى صالة معاصرة ومتجددة تصافح واقع الحياة اليوم وغدًا وتلتئم معها ليكونا واقعا حيًّا ، فاعلًا ومعطاءً ، يحتفظ مع اختلاف «الصورة» بالجوهر والمغزى والروح والمعنى !
- قالت لي حكمة الحياة : مهما قست عليك الأيام؛ إياك ان تتحالف مع الشيطان مثلما فعل فاوست؛ فتخسر وجودك؛ فلا قيمة لما تحققه إلا باقتدار ذاتك. . وطوق نجاتك أن تراقب نفسك كأنها سواك ؛ سيكون لك معاونون؛ وحلفاء؛ لكن سيكون لك أيضا أحباء ؛ فعض علي الاحتفاظ بمحبتهم بالنواجذ دون أن تنتظر منهم عونا أو تحالفا؛ إنهم معني الوجود وقوامه ؛ ومعيار علاقتك بهم شعورك بحبهم وبالسعادة

في ظلهم ؛ مهما كنت ممرورا أومهزوما في واقعك .. أدام الله لي محبة الأحباب وحقق تمنياتي لهم بالرضا والسعادة والهناء . . وأبقاهم نورا بصفحة وجداني تضيء حياتي . .وتكفكف عني هجير الأيام وصدمات الأقدار وظلمة الدرب . . أحس بدفء مشاعرهم في السكون والمسير ، وأرى فيهم معنى الوجود.

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٩٤)

• لا يملك أحد، مهما مضى الزمن، ومهما أعطت الحضارة الآن، لا يملك إلاّ أن يقف مبهورًا معجبًا «بصور» عظيمة جليلة نقلتها إلينا صفحات التاريخ .. «صورة» عمر بن الخطاب التى راعت صاحب كسرى، حين رآه مشتملًا تحت ظل شجرة ببردة كاد طول العهد يبليها، وعهده بملوك الفرس أن لها سورًا من الجند والأحراس تحميها .. « صورة » الفاروق أمير المؤمنين وهو يجرى طلبًا لبعير شارد من إبل الصدقة .. « صورة » الإمام على حين ذهب وهو أمير المؤمنين ليبيع سيفه فى سوق الكوفة، أو «صورته» حين اشترى ثوبين فأعطى أصلحهما لغلامه لأنه شاب ولأن ولاية علىّ تغنيه! أو «صورة» حذيفة بن اليمان وهو يدخل المدائن واليًا عليها بأسمال بالية تتدلى ساقاه على حمار يركبه يقتات بكسرات خبز مملح .. أو «صورة» سلمان الفارسى والى المدائن بملابسه الخشنة وأمامه حزمة من الخوص يجدل منها «مكاتل» ليبيعها ويقتات منها لأنه لا يحب أن يأكل إلاّ من عمل يده .. أو «صورة» سعيد بن عامر التى انكشفت للفاروق حين شكاه إليه أهل حمص، فاستبان أن ما يؤخره فى الخروج حتى يتعالى النهار، أنه لا خادم لأهله فيعجن لهم العجين ثم يدعه حتى يختمر، ثم يخبز خبزه، ثم يتوضأ للضحى فيخرج للناس .. وأنه لا يجيب أحدًا بليل لأنه جعل النهار للناس، والليل لربه، يقوم فيه ويتعبد .. وأن اليومين اللذين لا يخرج فيهما إلى الناس، فلأنه لا خادم له، وما عنده

ثياب يبدلها ، فيغسل ثوبه كل أسبوعين وينتظره حتى يجف ، فيرتديه ويخرج إلى الناس !!

هذه «الصور» و «المشاهد» البديعة العظيمة الجليلة ، ستبقى أبد الدهر على جلالها وعظمتها وإعجاب الناس فى كل زمان بها ، ولكنها تستمد هذا الجلال وهذه العظمة من «المعنى» و«المغزى» و«الروح» لا من محض الشكل .. كانت هذه المواقف الجليلة متوافقة فى أدائها مع معطيات زمانها ..

- شعور مخيف يكابده الفنان وكل مخلص صادق يتعامل مع الحياة بصدق وفن حين يفجع بأن صادق ما يقدمه يكاد لا يلتفت إليه أحد !

***

- تقدم أجدادنا ، ليس لأنهم ناموا تحت ظل شجرة ، أو لبسوا جلبابًا ، أو إكتفوا بأثمال بالية ، أوعجنوا وخبزوا وغسلوا بأيديهم ، أو جدلوا المكاتل ليتعيشوا منها ، أو جروا وراء شاردة من إبل الصدقة ، أو ركبوا أتانًا ، أو باعوا فى الأسواق كما يبيع الناس .. وإنما تقدموا «للمعنى»و«للمغزى» و«للروح» الخالد الباقى الذى صدرت عنه كل هذه الصور والمشاهد .. تقدم أجدادنا فى زمن الراشدين ودعنا من فترات السقوط ! لأنهم فهموا أن الولاية ليست «طغيانا» وليست ركوبًا على رقاب الناس ، ولأنهم التزموا بغض النظر عن الكلام بأن الوالى فى خدمة الناس وتحت أمر الناس وليس فوقهم ولا من جنس آخر غيرهم ، ولأنهم لم يخلطوا بين المال العام والمال الخاص ، فعفوا تمامًا عن المال العام وزهدوا ولم يسرفوا فى المال الخاص ، ولأنهم لم يستبيحوا لأنفسهم ما تخرجه أراضى أوطانهم من خيرات ، وإنما كان خير البلاد لأهلها .. نعم ، لم يكن على زمانهم «بترول» ، بيد أنه لو كان ، لما تحول إلى مليارات فى خزائن الولاة والحكام ،

ولما استباحه لنفسه الفاروق عمر الذى أخذ يجرى طلبًا لشاردة من إبل الصدقة ، ولعف عنه هؤلاء العظماء الذين لم تختلط لديهم هموم الولاية وواجباتها بطلب الغنم والثراء الشخصى !!

- بشأن تصنيف الكوتة المقترحة لتشكيل اللجنة التأسيسية لوضع مشروع الدستور ماذا لو انكفأت الأحزاب والهيئات والجامعات والنقابات والجمعيات والاتحادات على نفسها أو علي ذوي الحظوة منها أو لديها ومهما افتقدوا المقومات ؟! وهل يستساغ تنحية قامات وقدرات وكفاءات لأن أصحابها مستقلون وذوو كرامة ولا يبحثون عن حظوة ولا يعرضون أنفسهم ! بالله ماذا يفعل أمثال هؤلاء لتقديم ما لديهم للوطن مع شدة الحاجة الحقيقية إليهم؟!
- أعجبنى لأمير الشعراء أحمد شوقى فى جبل التوباد :

قد يهون العمر إلاّ ساعة   وتهون الأرض إلاّ موضعا

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٩٥)

- مهم أن نلتفت إلى أن العفة ليست مقصورة على « الصور » البسيطة الجليلة العظيمة المستمدة من تاريخنا المجيد .. العفة بمعناها تكون بلغة اليوم برفض «الرشوة» و«العمولات» .. باحترام حرمة المال العام .. بالامتناع عن الجعول والهدايا المسربة من تحت الموائد .. بعدم خلط العام بالخاص ..بعدم البذخ فى إقامة القصور والقلاع والسرايات والاختصاص بالسيارات الفارهة ، أو الإنفاقات الهائلة على المكاتب الفخمة أو الأسفار المكبدة التى لا نفع ولا طائل حقيقيا لها .. فى رعاية حقوق الناس ومصالح الناس وعدم التجبر على عباد الله !!
- أشعر بكثير من العرفان لجيل آبائنا ، الذين حافظوا لنا نحن أبناءهم على مستوى رائع للتعليم فى المدارس الحكومية .. كفلت لنا المدارس كافة الملاعب ومختلف الأنشطة ، وكفل لنا المدرسون دراسة جادة معطاءة ، وكفلت لنا المناهج دراسة كافة العلوم دون أن تهمل روائع الفكر والأدب العربى وروائع الفكر والأدب الغربى كديكنز وويلز وغيرهما .. جلست من أيام أعيد قراءة قصة مدينتين لشارلز ديكنز بذات النسخة المدرسية التى عليها الترجمة بخطّى ، فتعجبت كيف كفل لنا الآباء هذه الإطلالة على العالم الرحب .

بيد أننا جيل أبناء الزمن الأول ، لم نحسن الصنع بمصر ولا بأولادنا .. انهار التعليم كما انهارت أشياء أخرى كثيرة ، فاكتفى القادر منا بالهروب

بأولاده إلى المدارس الأجنبية ، ولم يستطع كل الشعب ذلك ، فاستسلم لقدره المتعوس بإدارات فاشلة متعاقبة ، وأخذت تتوالد مع انهيار التعليم والتربية وتراجع الثقافة والقيم أخذت تتوالد العتامة و التكفير والاحتقانات الطائفية ، وضربت الفروقات بين أبناء الوطن ، وزادت الفروقات مع اتساع الهوة بين الثراء الضخم والفقر المدقع ، وتغير وجه مصر التى لم يعد لها أمل إلاَّ فى شبابها الطاهر الذى قام بالثورة ، أن يستكملوا مسيرتهم بطهارة وجدية ، وأن لا يعطوا ظهورهم لكل جيل الآباء .. فلا يزال بعضهم يملك الخبرة والحكمة والإخلاص !

- الكل الآن يدعي الحديث باسم الشعب ، والشعب صامت مغلوب على أمره .. سرقوا الكلمة وخطفوها منه ولسان حاله يجتر من أغنية عبد الوهاب : «كنت في صمتك مرغم !» هلا سكت الأدعياء الأشاوس قليلا وأفسحوا للشعب ليتحدث هو عن نفسه بما يريد ؟!

***

- لم تكن الدولة الإسلامية الكبرى ، فى عزها وسطوتها ، دولة «ثيوقراطية» أو دولة «دينية» يحكمها رجال الدين .. ، وإنما كانت فقط دولة دينها الإسلام الذى يحترم حياة وحقوق أهل الكتاب والأجانب المأذون لهم فى الدخول أو الموجودين فيها بوجه مشروع. وحين تمزقت تلك الدولة الكبرى إلى دول أقل حجمً كان كل منها دولة دينها الإسلام فقط بذلك المعنى الواسع ولم تعد أى منها دولة دينية يتعاقب عليها رجال الدين .. هذا المعلم موجود وقائم منذ زمن الراشدين ، فلم يلِ الأمر رجال الدين ، وإنما كانت كل ولاية بحسبها .. ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ تقدم «القوة

» فى قيادة الجيوش ومهام العزم والبأس ، فقاد خالد وسعد وعمرو والزبير ولم يكونوا أفقه الناس ، وتقدم «الأمانة» فى رعاية المال وولاية شئون الناس ، بينما يقدم الفقه والعلم فى أمور وفتاوى الدين . تولى أبو بكر ولم يكن أفقه الناس ، ولا كان عمر حين ولىّ أفقه الناس ، وكثيرًا ماكان يستفتى علىّ بن أبى طالب ، ويقول فى ذلك «لولا علىّ لهلك عمر» !! ظل هذا مرعيًا ، وقائما عبر الحقب وعهود التاريخ فى كافة الدول الإسلامية بما فيها إيران إلى آخر سبعينات القرن الماضى .

- إن الله تعالى جعل نعمته سببا لمعرفته . وتوفيقه سببا لطاعته .. وعصمته سببا لاجتناب معصيته .. ورحمته سببا للتوبة .. والتوبة سببا لمغفرته والدنو منه .. وعلامة القرب الانقطاع عن كل شىء سوى الله تعالى ...
- لا أمل فى الهروب من الظلام بالجرى فى الظلام!!

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٩٦)

- من للقانون فى مصر ؟! ظاهر الحال ، والمنطق ، يقولان إن «السلطات» هى الكفيلة بوضع وسن القانون أولا ، وبفرض احترامه ثانيا ، ثم مساءلة من يخرج عن محارمه ثالثا .. القانون تسنه السلطة التشريعية ، وتسهر السلطة التنفيذية على تطبيقه وفرض احترامه وتنفيذه ، ويتكفل القضاء عين العدالة وميزانها بمساءلة كل كل !! من يخرج عن حدوده ومحارمه ، لا تفرق العدالة تلك التى فى رمزها معصوبة العينين ، بين حاكم ومحكوم ، ولا بين قوى وضعيف ، ولا بين غنى وفقير ، ولا بين ذى شوكة وعديم شوكة ، ولا بين قادر ومقدور ، ولا بين ذى طول وذى عجز .. الكل أمام العدالة سواء ، والقانون وضع ليسود الجميع .. وفى مقدمة الجميع «ذات» السلطات المنوط بها سنه ، وتطبيقه ، ومساءلة من يخرج عنه !!!
- التوحيد شجرة فى القلب فروعها الأعمال ؛ وثمَرها طيب الحياة فى الدنيا والنعيم المقيم فى الآخرة ..
- ليس من مصلحة الإسلام والمسلمين كبت النشاط العقلى والروحى داخل الإسلام ..الإسلام يقوى ويتقدم طالما انطوى على عقول تفكر وتتفاعل ، وهو على العكس يتحوصل ويتقزم بل ويدرس ويندثر نوره الحقيقى إذا لم يعد يفكر فيه ويشعر به سوى الحمقى والجهلاء !!
- تخفق الثورات فى تحقيق غايتها إذا تبلورت فى مستبد جديد يحل محل

المستبد السابق .. إلى هذا الخطر أشار نجيب محفوظ فى الحرافيش وفى حكايات حارتنا.. ينهض الفتوة الجديد لإزاحة الفتوة القائم وظلمه ولإحلال العدل .. فلا تمضى الأيام إلا ويتحول الفتوة الجديد إلى صورة مكررة لظلم الفتوة السابق .. لا معنى للثورة أى ثورة إذا لم تفلح فى إقامة جديد طيب محل القديم الفاسد المنصرم !!

***

- القطة التى أكلت وتأكل بنيها ، تعبير صادق حتى النخاع فى وصف تعديات المصرى على أرضه ووطنه ومصدر نمائه وبقائه .. مشكلة مصر ، كما هى ميزتها ، أنها مجتمع نهرى ، نشأ وعاش حول وعلى ضفاف النهر ، حتى قال هيرودت إن مصر هبة النيل .. من يصبر على مطالعة أسفار جمال حمدان الأربعة : «شخصية مصر» دراسة فى عبقرية المكان ، سيرى أن النيل الذى قدسه أجدادنا ، هو صانع مصر وتربة وخيرات أرض مصر .. أن النيل حكم الحياة وحصرها فى ربوع الوادى ، وحكم أماكن النمو الجغرافى والسكانى ، وجعل المجتمع المصرى مجتمعًا نهريًا يتطبع بالنهر ، ويدور حوله ، ويستمد منه .. هذا النهر واهب الخلد للزمان على حد تعبير محمود حسن إسماعيل ، والذى منه يتقبل الوادى الحياة كريمة كما قال شوقى ، قد أتى خيره مما أضافه إلى أرض الوادى الصحراوية أصلًا ، من طبقات تلو طبقات أعطت القوة والخصب لهذه التربة التى قامت عليها الزراعة والحياة فى مصر !
- لو تأمل الآدمى فى داخله وفى أحوال الإنسان ، واستوعب ما كشفه العلم والفضاء من أسرار الكون وعجائبه وخيراته ؛ لفهم معنى الحياة ، وفهم كيف يمكن أن يستوعب معناها وأن يكون فيها كما أراده الخالق

جل شأنه خليفة له سبحانه ؛ يتواصل مع حركة الكون فى صنع وعمار الحياة !!!

- قد يرضى الإنسان مديح من يظنون فيه المزايا والمناقب ، ولكن العاقل الحصيف من يوقظ نفسه على الدوام بنقدها ومراجعتها لما يعلمه هو من أحوالها !!!
- من أقوال الصوفية : من رام دوام الروح واستحلاء الدأب فى العمل ؛ فعليه بحسم مادة الهوى .

***

- من اللافت للنظر أن الآدمى فى مراحل تكوينه ، أو فى أوقات عبثه ، لا يلتفت إلى الوقت ، ولا يعنيه .. مع أنه يتعامل معه تعاملًا لحظيا وملموسًا تدركه كل حاسة من حواسه .. يراه ويمسه مع تحولات الشمس فى كبد السماء ، وفى اقتراب ثم إطباق الليل ، وفى حركات وأوضاع وأحجام القمر والنجوم والكواكب والأفلاك .. يراه ويدركه فى الأيام التى تتوالى عليه وتمضى يومًا وراء يوم ، وفى عمله وراحته ، وفى سكونه وحركته ، لا يحتاج للإحساس بحركته ومضيه إلى النظر إلى «الساعة» أو «حاسبة» الوقت .. هو يدرك دون أن ينظر إليها أن ا لوقت يمضى ، ولكنه ينظر إليها من وقت لآخر ليحدد فقط كم بلغ «التوقيت» فى اللحظة الآنيّة التى يتطلع فيها إلى ساعته !!
- من الحكم العطائية : «من أكرمك إنما أكرم فيك جميل ستره ، فالحمد لمن سترك ، ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك » .
- ما حسد الشيطان متعاونين على برٍّ حَسَده متآخين فى الله ، متحابين فيه ؛ فإنه يجهد نفسه ويحث قبيله على إفساد ما بينهما !

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٩٧)

• الغريب أن «الحصار» المضروب حول الآدمى بحاسبات الوقت الآلية أو الطبيعية ، لايلفته التفاتًا حقيقيًا واعيًا معنيًا إلى حركة الوقت وما يتسرب منه .. علّة ذلك ربما ! أن الآدمى العابث ، أو نظيره ناقص النمو والنضج ، يستغرقه اعتقاده «وفرة» الزمن الباقى عن الاهتمام بقيمة اللحظة أو اللحظات الحاضرة التى من حاصل جمعها يتكون عمره كله .. لا ينتبه الآدمى إلى هذه الحقيقة فيخلد فى معتقده أن الباقى من الزمن ، أو الباقى من العمر يغنيه عن تسرب اللحظة الحاضرة بددًا أو عبثًا !! فيقعده هذا الاطمئنان الواهم إلى كفاية الزمن أو العمر المتبقى عن استثمار «الوقت» الذى «يقطعه» فى حاضره !!

هذا الاطمئنان الواهم «للرصيد» الباقى أو المتوهم بقاؤه ، هو علّة تفشى قلّة الالتفات إلى «قيمة الوقت» فى سنوات الصبا والشباب ، وفى أيام أو ساعات العبث .. هذا الاطمئنان الواهم إلى « طول « الرصيد المتبقى ، يجعل الالتفات إلى الوقت التفاتًا معدومًا أو يكاد !!

• من الحكم العطائية : «متى آلمك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك ، فارجع إلى علم الله فيك ، فإن كان لا يقنعك علمه فيك ، فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم» .

• للصحبة فى الله حقوق ، يعرفها العارفون بالله ، يحفظ صاحبه فى غيبته ، ولا يذكره إلاَّ بالخير .

- صدق من قال : نزرع القمح في سنين يطلع القرع في ثواني ! ولأن الطبع يغلب التطبع قالوا : ديل الكلب ما ينعدل : ولذلك خلت إحدي القلاع التي سقطت أخيرا خلت إلا من نعيق البوم !

***

- صفحات « الوفيات « فى مصر ، «للموتى» و«للمتوفين» و«الراحلين» و« المنتقلين» .. تحمل إلى « الأحياء» أخبار انتقال «الأموات» من «الفانية» «العاجلة « إلى «الباقية» «الخالدة» .. من الحياة الدنيا إلى الآخرة ، وإلى ملكوت السماء .. هى صفحات بأخبار « الموت «و «الموتى» و«الأموات» ، ولكن الذى يتعامل مع هذه «الصفحات» ، ويوافيها ، ويدفع فيها ، ويدبج مادتها ، ويرصف عناوينها وبراويزها وإطاراتها ، ويصوغ عباراتها وعناوينها ونعوت وأمجاد وأوصاف ومنازل ووظائف ومناصب ومكانات الراحلين هم «الأحياء» من أهل الراحلين أو ذويهم أو أحبابهم أومن المقربين أو المجاملين من الأقارب والأصدقاء والأحباب والزملاء ومن غيرهم فئات أخرى ، جميعهم من «الأحياء» .. فهل أخذتهم وشدتهم «صاعقة» الموت ، و«مغزاه» و«عبرته» و«عظته» و«حكمته» و«جلاله» من دنيا «المظاهر» و«الاستعراض» إلى مكنون «الحقيقة» وجوهر «الحق» البريئين البعيدين عن المظاهر والاستعراضات ، وعن الأبهة والتباهى والتفاخر ؟!!

- من أين لمدعى الحق فى الوصاية على المصريين بدعوى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ... من أين لهم الأموال التى ويدفعون منها ٥.. جنيه لكل متطوع للعمل معهم فى تجمع لا يبيحه القانون بينما القانون والقائمون عليه ساكتون صامتون لا ينطقون ولا يتحركون لإعمال

القانون ووقف هذه المهزلة ومساءلة أصحابها عن إقامتهم تنظيما لا يجيزه القانون والنظام العام فى مصر ؟!!!

- الذائقون حلاوة المناجاة يجدون صفو الأنس فى الصلاة إلى الله ، ويتكدرون من يسير الاسترسال فى المباح .
- ما أضيق فكر الإنسان ؛ وأضيق أفقه ؛ حين لا يتسع لأفكار غيره !!!

***

- صفحات الوفيات فى مصر ، مرآة تعكس كل أمراضنا وأسقامنا وآفاتنا الإجتماعية والنفسية والسلوكية .. هذه الصفحات لا مثيل لها بتاتًا فى أى دولة غربية ، فإن تسربت إلى بعض صحف العالم العربى أو العالم الثالث ، فإنها تتسرب على إستحياء شديد وفى حالة معينة محددة .. أما هذا الإقبال الكاسح المتفشى على صفحات الوفيات بأشكالها وصياغاتها ومفرداتها وأطرها فظاهرة مصرية فريدة تكاد تكون وساحونى تجارة من الأحياء بالموت والأموات !!
- من أعجب ما قرأت من الكذب الصارخ فى مانشيتات الصحف صباح الاثنين ٢٤ أكتوبر ٢٠١١ : «جدول زمنى عاجل لنقل سكان العشوائيات» ! الكذب الصارخ ليس فى الجدول ، وإنما فى الزعم بأن النقل عاجل .. من درس العشوائيات وتشابكات مشاكلها التى تراكمت عبر السنين والجنوح الشائع فيها بكل أنواعه حتى زنى المحارم ، وألم بإمكانيات مصر الآن والتآكل الاقتصادى الضارب فى كل باب ، لابد أن يدرك أن نقل العشوائيات يحتاج إلى جوار الإمكانيات الكبيرة غير الميسورة الآن ! يحتاج إلى وقت طويل من العبث والتهريج أن يقال إنه عاجل !!!

متى نحترم الصدق وقيمة الكلمة ؟!!

- من أقوال الصوفية إن العزلة نوعان : فريضة ، وفضيلة .

فالفريضة : العزلة عن الشر وأهله . والفضيلة : عزلة عن الفضول وأهله .

- الإنسان هو الحلم أو الحنين الدائم للخروج من عالم التراب إلى عالم النور !!!!!!

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٩٨)

- ليس كل المصابين فى راحل عزيز، على ثراء ويسار من يسرفون فى النعى والأطر والبراويز والأبناط والنعوت والألقاب والأمجاد ، بيد أن آفة المنافسة ، والتظاهر والاستعراض ، التى أمسكت بتلابيبنا وانغرست فى صفحة وجداناتنا ، تدفع الكثيرين منا إلى مسايرة تكبدهم من أمرهم رهقًا ، وتجشمهم مالا يطيقون .. تصدق عليهم مقولة : «موت ، وخراب ديار» .. ومع ذلك فإننا نندفع فى هذا التيار الأحمق الضرير ، لا نرى ما يراه المبصرون والعاقلون ، فنجرى وراء سراب لا معنى له وفى وقت كان جلال الموت ذاته خليقًا بأن يردنا إلى القصد والاعتدال ، وأن يرينا ما قد لا نراه فى جلبة وصخب وضوضاء الحياة وحماقاتها وتفاهاتها !!!
- فى الزمن قبل البائد كنا نحترم كل شىء حتى حق الحيوان فى الرفق به ، وكانت لجمعيات الرفق بالحيوان سلطة سحب الركوبة من الفلاح إذا وجدت جرحًا بالدابة تحت السرج أو البردعة .. وكانت جميع الصيدليات رغم أنها أهلية تلتزم بالنوبتجية الليلية المفروضة على كل منها حسب الجدول . والعالم كله ينظم حق الإضراب حتى لا يكون سبيلًا لقتل مريض يحتاج إلى علاج ، أو إهلاك النسل والضرع وأمان وأمن الوطن ، فيلزم التظاهر بأماكن محددة ، ويوجب فرض البدائل فى العيادات والمستشفيات حتى لا يهلك المرضى أو يموت المولودون المبتسرون . وفى العالم كله ، وفى مصر التى نسينا ما كان واجبًا فيها توجد

أماكن ممنوع تصويرها أو الاقتراب منها ومن ثم التظاهر فيها أو إليها .

- من أقوال الصوفى بشر الحارث : إذا قصَّر العبد فى طاعة الله سلب الله تعالى من يؤنسه .. فالأنيس يهيئه الله للصادقين رفقًا من الله سبحانه ، وثوابًا للعبد معجلًا .
- يبدو الفشل كالحجر الذى فيه تتعثر قدمك فيوقف سيرك .. ولكن لا اثر له إذا لم يفلح فى إيقاف تقدمك .. العاقل من ينحيه جانبا ويواصل التقدم !!!

***

- لست أعرف على التحقيق من صاحب المثل القائل : «الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ! »ولكنى أدرك منه على قدر فهمى أن الوقت إمّا لك وإمّا عليك .. إن قطعته بما تريد ، فهو لك .. وإن لم تقطعه بما يجب فهو عليك كحد السيف ، لأن انصرام الوقت جار ماض شئنا أم أبينا ، حاد فى انصرامه نافذ كالسيف .. يستطيع الآدمى أن يوقف ما يشاء من الأشياء المتحركة .. يستطيع أن يوقف القطار والسيارة والطائرة ، بل ويستطيع أن يوقف «الساعة» حاسبة الوقت ذاتها ، ولكنه لا يستطيع أن يوقف حركة ومضى وانصرام الوقت حتى وإن أوقف ساعات الدنيا بأسرها !! «الساعة» حاسبة الوقت نعم ! ولكنها لا تتحكم فى حركته التى لا يملك أحد لها إيقافًا !! حركة الوقت دائمة مستمرة..محال استعادة اللحظة التى مضت وولت..ينصرم الوقت من تاريخ الدنيا ، ومن عمرى وعمرك ، ويتسرب ثانية فثانية ، ودقيقة فدقيقة ، وساعة فساعة..يمضى فى انصرامه قاطعًا الأيام والشهور والأعوام والدهور مهما عطلنا «حاسبات» الوقت .. انصرام الوقت لا يتوقف ولا ينتظر

حساب حاسب ، وإنما هو ماض يترك وراءه ما انصرم وفات من عمرى وعمرك ، ووقتى ووقتك .. ووقت مجموع الناس فى مكان أو فى قطر أو بلد ما ، وفى الدنيا بأسرها ، بل وفى الكون كله !!!

- لقد كان من عظمة ثورة ٢٥يناير ٢٠١١ أنها خرجت صادقة متجردة من الأغراض إلاَّ رفع الغُمّة عن مصر وشعبها .. ومكنها مما أنجزته أنها كانت على قلب رجل واحد .

والآن تكاثر المتهجمون على الثورة تحت شعار الإسهام فيها ، والمراد سرقتها والاتشاح بها لأغراض ومآرب أخرى !!

يجرى ذلك التهجم فى غياب قيادة للثورة التى تفرق أنهد أعضائها إلى مجموعات وإن لم ينقصها الإخلاص ، إلاَّ أن ذلك أدى إلى تفتيت وحدتها وأعطى لذوى الأغراض فرصتهم فى أن يرتعوا باسمها ساعين إلى مآربهم !!

خليق بهذه النخبة الرائعة التى أزاحت الغُمّة ، أن تتوحد جميعها تحت راية الثورة ، وأن تتيقظ لما صار يهدد مصر من أخطار ، لعل أفدحها أن ذوى النوايا الطيبة يُدفعون دفعًا إلى ما يضر مصر وشعبها ويضرهم ، حتى صرنا الجناة والضحايا !!

دعونا نقرع الأجراس لنسترد الثورة من أشباح الظلام .. لتبقى خالصة لمصر لا لأشخاص ولا أطياف ولا أحزاب ولا أغراض !!

- تقلب الأهواء فى الشباب داء له علاج .. ولكنه فى الشيوخ داء لا علاج له !!

*****

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(١٩٩)

- ليس أسوأ من تبديد الوقت واسترخاصه ! حين نسترخص الوقت ، وقد للأسف استرخصناه يرخص كل شى هام أو ذى قيمة فى حياتنا .. فالوقت على رأس قائمة القيم .. حين يرخص الوقت ، يضمر العمل ، وحين يضمر العمل ينعدم الإنتاج أو يكاد !! إن الوقت الذى استرخصناه ، شأنه شأن النيل واهب الحياة والنماء ، والذى لم يكن أسعد حظًا فى دائرة اهتمامنا .. لذلك إزداد وكثر «الهالك» فى حياتنا !! ألسنا نبعثر المياه ونبددها فى «فاقد» الاستهلاك غير الرشيد ، وفى الرى بالإغراق بدلًا من التنقيط ، وفى المتسرب من المواسير والصنابير التالفة أو المفتوحة على الآخر بلا غاية ولا اكتراث !! وفى أساليب تعاملنا مع المياه فى بيوتنا وحدائقنا ومرافقنا ونوادينا وشوارعنا ؟!! هل نحسب للمياه حسابًا ونتعامل معها كما يجب أن يكون التعامل فى واهبة الحياة التى تزحف عليها الندرة بعد الوفرة .. لازلنا نفرط فى المياه بددًا كما كنا نفعل فى السالف اطمئنانا إلى وفرتها كشأن المطمئن إلى كفاية المتبقى من الزمن أو العمر !! بيد أن اليوم لم يعد كالبارحة ، ولا عاد تدبير المياه والاطمئنان إلى مصادرها وحصصها وانسيابها وتدفقها كما كان .. غيرنا يحسب المياه بالقيراط والستيمتر والملليمتر ، ونحن نبددها بالأمتار ، ونغسل مياه النيل من السموم التى نلقيها فيه بملايين الأمتار من المياه ؟!!!
- من حق المحامي أي محامي أن يعتذر ابتداءً عن قبول أي وكالة ، وأن يعتذر لاحقا عن الاستمرار في وكالة قبلها . . ولكن ليس من حقه بل

هي سقطة فظيعة وجناية أفظع علي قانون المحاماة وتقاليدها أن يعزو الاعتذار إلي ثبوت التهمة علي من قبل وكالته وهي تشكل أيضا جريمة جنائية وتأديبية وتقصيرية تستوجب معاقبة المحامي جنائيا وتأديبيا مع إلزامه بالتعويض، وتخرجه فضلا عن ذلك من زمرة المحاماة والمحامين!

- من أقوال الفضيل بن عياض: إذا وقعت الغيبة ارتفعت الأخّوة.
- لا ينتفع بنعمة الله بالإيمان والعلم؛ إلا من عرف نفسه ووقف بها عند قدرها؛ ولم يتجاوزه الى ما ليس له ..وايقن أن كل شئ لله ومن الله وبالله.

***

- التفات الآدمى «الناضج» إلى الوقت، إلتفات يسبق تقدم العمر، لأنه حاصل فهم ووعى مدرك لأهمية الوقت فى تحقيق مراد الآدمى وإنجاز آماله ومقاصده وإدراك غاياته • إنتاج أو منجزات الآدمى، هى حصاد «عمل»، هذا العمل مهما كان معدل البذل والإجتهاد فيه لاغناء له عن «الوقت» .. «الوقت» جزء أساسى فى المعادلة، لذلك كان العمل فرعًا على الوقت، ومعطوفًا فى الحساب عليه .. فى لغة العمل أن الساعة «هى» ساعة عمل .. والعمل هو «حصاد» محسوب بساعته أو ساعاته ..الوقت والعمل وجهان لواقع واحد يدركه الفاهم الناضج الذى يلتفت إلى قيمة الوقت ويعنى به ويحرص على ترجمته إلى إنجاز ما! حتى ساعات الراحة واللهو، هى فى لغة الحساب مقيسة إلى وقت مستثمر لغاية من الغايات بلا بعثرة ولا تبديد يحيله إلى فاقد بلا هدف ولا غاية!!
- ظني أن إعلان لاعب أي لاعب اعتزاله اللعب دوليا هو محض إعفاء من حرج عدم وقوع الاختيار عليه فالاعتزال اعتزال بغير تصنيف!

ولا يملك أي لاعب اعتزال اللعب دوليا طالما هو لا يزال يلعب فذلك تكليف إن حدث فلا خيار للاعب فيه شأنه شأن التخلف عن التجنيد ! لذلك راقني وأعجبني شجاعة إعلان اللاعب محمد أبو تريكة أنه لم ولن يعتزل اللعب الدولي برغم أن الاختيار الأخير لم يشمله هكذا يكون الصدق والعزم والإصرار والتصميم !

- قال حكيم من الزمن الأول : لا يفسد الناس إلاَّ الناس !
- رحمات ربك تحيط بعبده الذى حفظ مقامه عنده ولم يفارق رحاب طاعته ؛ إلى أن يجئ يومه ؛ فذلك الذى يأتيه الله تعالى بسلام الدنيا ونعيم الآخرة .

***

- ليس أجزى للإنسان ، حيث كان ، من دين يطوى الناس فى أمة واحدة لا تفاضل بين أفرادها إلاّ «بالعمل» ، لا بالحسب ولا بالنسب ولا بالأعراق ولا بالأموال .. الإسلام أقر بوجود التنوع والإختلاف والتفاوت ، وأعطى فى الوقت نفسه للمساواة حقها ..فى القرآن الحكيم فى خطاب موجه إلى الناس كافة ، لا إلى المسلمين خاصة ، يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣] .
- من امتلأ بروح الله ؛ شعر على الدوام بالحضرة الإلهية فيه ..
- فى القرآن المجيد : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] ، ويقول بعض العارفين إن قرب الله تعالى من عباده يورثهم الحياء من مخالفته .
- قد يكون الصديق الأنانى أشر أثرًا على صديقه من الأعداء ، حين يحرمه بغيرته عليه من صداقة الناس أجمعين .

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٠٠)

- عظمة وحكمة «المساواة» فى الإسلام أنها لا تبطل سنن الحياة ، ولا تبطل سباق الأحياء فى صوالح الأعمال .. فلن ينقطع سباق الحياة بين الناس ، مثلما لم ولن ينقطع التفاوت بينهم .. ولا معنى للتفاوت ولا للمساواة إذا تساوى القادر والعاجز ، وتساوى العامل والخامل ، وتساوى النشط والكسلان وأصبح الكسلان يكسل ويقعد ولا يخاف على وجوده ، والعامل يعمل ويكد ويتعب ولا يأمل أو يطمح فى أفضلية أو رجحان .. لذلك فإن المتابع للفلسفة القرآنية يرى أن تقرير «الأخوة» و«المساواة» الإنسانية لم يمنع من التفاضل بين الناس ، بيد أن هذا التفاضل لا يرتد إلى منصب أو جاه أو سلطان أو عصبية أو أعراق أو قوة أو بطش أو جبروت ، وإنما مناطه الوحيد هو «العمل الصالح»
- لباس الهداية للعامة ؛ ولباس الهيبة للعارفين ؛ ولباس الزينة لأهل الدنيا ؛ ولباس اللقاء للأولياء ؛ ولباس التقوى لأهل الحضور .. قال تعالى : «ولباس التقوى ذلك خير» .
- علل القلب من اتباع الهوى ، وعلّة الجوارح من مرض البدن !
- الرضا شأنه شأن غيره نسبى ، فقد يشكر لك من أعطيته قليلًا لم ينتظره ، أكثر مما يشكر لك من أعطيته الكثير ولكن دون ما كان يتوقعه أو ينتظره !!

***

- يظل الآدمى آدميا ، مستمسكا بمراقيه ، ما تمسك بقيمه الروحية والحضارية وتنمية ما لديه من قدرات واستعدادات ومواهب ، ورأب وتطوير ما فيه من ضعف ، وتوسيع أفقه ولغته فى التعامل مع الآخرين ومع الحياة !
- استرخاص الوقت الذى يرتد إليه كل شىء ، قد طبع فى وعينا آفة إسترخاص كل ما عداه ، وزيادة « الهالك » « الفاقد » فى كثير من عناصر ومصادر ثروتنا ! ..
- ليس أشر على الناس من خبيث يصد عن سبيل الله بافتعال الشبهات ؛ ومفتون بدنياه ورئاسته ؛ فيشاغل الناس بزخرف القول ليصرفهم عن الحق !!
- قال الجنيد أحد أئمة الصوفية : للصابر ثلاث علامات تعرف فى نفسه ، الأولى ضبط نفسه عند وجود حظها ، والثانية الدخول فى الطاعات عند تخلف النفس وكسلها ، والثالثة سكون القلب عند نزول الحكم !
- سخط الناس على القادرين أشد من سخطهم على العاجزين .. لأنهم يتلمسون عذرًا للعاجز فيقل سخطهم عليه ، ولا يعذرون القادر فيشتد سخطهم عليه !!

***

- الإنسان كائن عاقل ، بوصلته عقله ، وزاده الخيال .. فلم يتميز الآدمى بالعقل وحده عن سائر الكائنات ، وإنما تميز بالخيال ، زاد ومدد العقل الذى به يحلق فى المكان والزمان .. ينقله فى المكان بغير سفر . ويستحضر به الماضى ويتصور الغيب ويستشرف المستقبل دون أن يفارق اللحظة .. فى خيال الآدمى مع عقله سر قدرته على الفكر والإبداع .. إن خواطرنا

وأفكارنا تتلاحق فى وعينا بلا انقطاع، يتزاوج فى صنعها العقل والخيال. من حصاد هذه « المزاوجة «والعلاقة الحميمة بين «البوصلة» و«الزاد» كتبت هذه الصفحات، مشدودًا معلقًا فيها بالمعنى الكلى، واجب الوجود، وبالحياة والإنسان.

• من أقوال الصوفى يحيى بن معاذ فى فضل الصوم : «إذا ابتلى المرء بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة به، ومن ابتلى بحرص الأكل فقد أصرف بنار الشهوة، وفى نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها فى كف الشيطان يتعلق بها، فإذا جَوَّع بطنه وأمسك حلقه وراض نفسه يبس كل عضو واحترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله».

«وإذا أشبع بطنه وترك حلقه فى لذائذ الشهوات فقد رطب أعضاءه وأمكن الشيطان منه».

• حديث نبوى نفتقد العمل به !! من أمر أحدًا محاباةً فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين !! وقال شاعر حكيم :

وتسمع إن أسمعت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى !!!

• قال بعض الصوفية : للخواص وأهل العزيمة مطالبات من بواطنهم تحكم عليهم بالأوْلى وتلجئهم إلى سلوك الطريق الأعلى !

• قال بعض الصوفية فى منازل ذكر الله تعالى : «أشرف منازل الذاكرين من نسى ذكره فى مشاهدة مذكوره ﷻ وحفظ أوقاته عن الرجوع إلى رؤية الذكر.

*****

كتب وإصدارات أ/ رجائى عطيه

(١) أوراق المركز المصرى للأبحاث والإعـلام ط ١٩٩٧ .
(٢) من هدى النبوة وفى مدرسة الرسول المركز المصرى للأبحاث والإعلام ط ١٩٩٧ .
(٣) من هدى القرآن وذلك الكتاب لاريب فيه المركز المصرى للأبحاث والإعلام ط ١٩٩٨.
(٤) بشاير المركز المصرى للأبحاث والإعلام ط ٢٠٠٠ .
(٥) باسمك اللهم المركز المصرى للأبحاث والإعلام ط ٢٠٠٠ .
(٦) بسم الله المركز المصرى للأبحاث والإعلام ط ٢٠٠٠ .
(٧) نواب القروض المركز المصرى للأبحاث والإعلام ط ٢٠٠١.
(٨) يارب المركز المصرى للأبحاث والإعلام ط ٢٠٠١.
(٩) قضية النقابيين المركز المصرى للأبحاث والإعلام ط ٢٠٠١.
(١٠) أبو ذر الغفارى روز اليوسف ، هيئة الكتاب ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٥.
(١١) قضية الجمارك الكبرى المركز المصرى للأبحاث والإعلام ط ٢٠٠٢.
(١٢) مواقف ومشاهد إسلامية دار الهلال ط ٢٠٠٢.
(١٣) ماذا أقول لكم دار الشروق ط أولى ٢٠٠٣.
(١٤) عالمية الإسلام مركز الأهرام للترجمة والنشر ط ١ ، ط ٢ ٢٠٠٣ .
(١٥) إبحار فى هموم الوطن والحياة دار الشروق ط ٢٠٠٤ .
(١٦) الإنسان العاقل وزاده الخيال دار الشروق ط ٢٠٠٤ .
(١٧) السيرة النبوية فى رحاب التنزيل المجلد الأول روز اليوسف ط

٢..٣ .
(١٨) السيرة النبوية فى رحاب التنزيل المجلد الثانى روز اليوسف ط ٢..٣ .
(١٩) السيرة النبوية فى رحاب التنزيل المجلد الثالث روز اليوسف ط ٢..٤ .
(٢٠) السيرة النبوية فى رحاب التنزيل المجلد الرابع روز اليوسف ط ٢..٥ .
(٢١) السيرة النبوية فى رحاب التنزيل المجلد الخامس المكتب المصرى الحديث ط ٢..٦.
(٢٢) الإنسان والكون والحياة كتاب الهلال أكتوبر ٢..٥ .
(٢٣) تأملات غائرة دار الشروق ط ٢..٦ .
(٢٤) الأديان والزمن والناس كتاب الهلال سبتمبر ٢..٦
(٢٥) شجون وطنية المكتب المصرى الحديث ٢..٦ .
(٢٦) الهجرة إلى الوطن كتاب الهلال نوفمبر ٢..٧ .
(٢٧) رسالة المحاماة دار الشروق سبتمبر ٢..٨ .
(٢٨) فى الوحدة والجماعة الوطنية المكتب المصرى الحديث سبتمبر ٢..٨
(٢٩) فى رياض الفكر كتاب الهلال ٢..٨ .
(٣٠) بين شجون الوطن وعطر الأحباب المكتب المصرى الحديث ٢..٨ .
(٣١) من تراب الطريق الكتاب الأول المكتب المصرى الحديث ٢..٨ .
(٣٢) من حصاد المحاماة المجلد الأول المكتب المصرى الحديث . ٢..٩
(٣٣) من حصاد المحاماة المجلد الثانى المكتب المصرى الحديث . ٢..٩
(٣٤) من حصاد المحاماة المجلد الثالث المكتب المصرى الحديث . ٢..٩

(٣٥) من حصاد المحاماة المجلد الرابع المكتب المصرى الحديث . ٢..٩
(٣٦) من حصاد المحاماة المجلد الخامس المكتب المصرى الحديث . ٢..٩
(٣٧) من حصاد المحاماة المجلد السادس المكتب المصرى الحديث . ٢..٩
(٣٨) من حصاد المحاماة المجلد السابع المكتب المصرى الحديث . ٢..٩
(٣٩) من حصاد المحاماة المجلد الثامن المكتب المصرى الحديث . ٢..٩
(٤٠) من حصاد المحاماة المجلد التاسع المكتب المصرى الحديث. ٢..٩
(٤١) من حصاد المحاماة المجلد العاشر المكتب المصرى الحديث . ٢..٩
(٤٢) من حصاد المحاماة المجلد الحادى عشر- المكتب المصرى الحديث . ٢٠١٠
(٤٣) من حصاد المحاماة المجلد الثانى عشر المكتب المصرى الحديث . ٢٠١٠
(٤٤) من حصاد المحاماة المجلد الثالث عشر المكتب المصرى الحديث . ٢٠١١
(٤٥) من حصاد امحاماة المجلد الرابع عشر المكتب المصرى الحديث . ٢٠١١
(٤٦) من حصاد المحاماة المجلد الخامس عشر المكتب المصرى الحديث . تحت الطبع
(٤٧) دولة الأيام ! كتاب الهلال أول يونيو ٢..٩
(٤٨) قد تكون الديانة تجسيدا للعقل . ترجمة وعرض عن كتاب حياة العقل للفيلسوف جورج سانتايانا كتاب الهلال نوفمبر ٢..٩
(٤٩) الأمن والأمان : قراءة فى الأمن المجتمعى فى الإسلام المكتب

المصرى الحديث ٢..٩

(٥٠) من تراب الطريق الكتاب الثانى المكتب المصرى الحديث ٢..٩

(٥١) من تراب الطريق الكتاب الثالث المكتب المصرى الحديث ٢٠١٠

(٥٢) من تراب الطريق الكتاب الرابع المكتب المصرى الحديث ٢٠١٠

(٥٣) فى دروب الفكر والحياة . مطبوعات الهلال نوفمبر ٢٠١٠

(٥٤) من همس المناجاة وحديث الخاطر (١) . المكتب المصرى الحديث نوفمبر ٢٠١٠

(٥٥) الواقع أو الحقيقة ترجمة عن كتاب طبيعة العالم المادى للسير آرثر إدينجتون ومقالات أخرى للمترجم كتاب الهلال ديسمبر ٢٠١٠ .

(٥٦) من وحى الحج سلسلة دراسات اسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية يناير ٢٠١١

(٥٧) فى صحبة محمد عبد الله محمد .المكتب المصرى الحديث ٢٠١١

(٥٨) كتابات غربية . كتاب الهلال أغسطس ٢٠١١

(٥٩) من تراب الطريق الكتاب الخامس المكتب المصرى الحديث ٢٠١٢ تحت الطبع

(٦٠) من همس المناجاة وحديث الخاطر الكتاب الثانى المكتب المصرى الحديث ٢٠١٢ تحت الطبع

(٦١) عبقرية إنكار الذات أبو عبيدة بن الجراح تحت الطبع

*****

الفهرس

الموضوع	الصفحة
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٠١)	١
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٠٢)	٤
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٠٣)	٧
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٠٤)	١٠
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٠٥)	١٤
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٠٦)	١٨
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٠٧)	٢٢
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٠٨)	٢٥
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٠٩)	٢٩
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١١٠)	٣٣
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١١١)	٣٧
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١١٢)	٤١
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١١٣)	٤٥
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١١٤)	٤٨
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١١٥)	٥١
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١١٦)	٥٤
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١١٧)	٥٧
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١١٨)	٦٠

الموضوع	الصفحة
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١١٩)	٦٤
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٢٠)	٦٨
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٢١)	٧١
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٢٢)	٧٥
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٢٣)	٧٩
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٢٤)	٨٣
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٢٥)	٨٧
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٢٦)	٩٠
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٢٧)	٩٤
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٢٨)	٩٧
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٢٩)	١٠١
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٣٠)	١٠٥
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٣١)	١٠٨
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٣٢)	١١٢
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٣٣)	١١٦
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٣٤)	١٢٠
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٣٥)	١٢٣
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٣٦)	١٢٧
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٣٧)	١٣٠

الموضوع	الصفحة
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٣٨)	١٣٣
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٣٩)	١٣٧
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٤٠)	١٤١
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٤١)	١٤٥
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٤٢)	١٤٨
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٤٣)	١٥٢
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٤٤)	١٥٦
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٤٥)	١٦٠
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٤٦)	١٦٤
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٤٧)	١٦٨
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٤٨)	١٧٢
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٤٩)	١٧٦
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٥٠)	١٧٩
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٥١)	١٨٢
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٥٢)	١٨٥
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٥٣)	١٨٨
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٥٤)	١٩١
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٥٥)	١٩٥
من همس المناجاة وحديث الخاطر (١٥٦)	١٩٨

الموضوع	الصفحة
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٥٧)	٢٠١
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٥٨)	٢٠٥
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٥٩)	٢٠٨
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٦٠)	٢١١
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٦١)	٢١٤
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٦٢)	٢١٧
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٦٣)	٢٢١
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٦٤)	٢٢٥
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٦٥)	٢٢٨
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٦٦)	٢٣٢
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٦٧)	٢٣٦
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٦٨)	٢٣٩
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٦٩)	٢٤٢
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٧٠)	٢٤٥
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٧١)	٢٤٩
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٧٢)	٢٥٢
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٧٣)	٢٥٥
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٧٤)	٢٥٨
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٧٥)	٢٦١

الموضوع	الصفحة
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٧٦)	٢٦٤
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٧٧)	٢٦٧
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٧٨)	٢٧٠
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٧٩)	٢٧٣
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٨٠)	٢٧٦
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٨١)	٢٧٩
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٨٢)	٢٨٢
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٨٣)	٢٨٦
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٨٤)	٢٨٩
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٨٥)	٢٩٢
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٨٦)	٢٩٥
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٨٧)	٢٩٩
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٨٨)	٣٠٢
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٨٩)	٣٠٥
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٩٠)	٣٠٧
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٩١)	٣١٠
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٩٢)	٣١٣
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٩٣)	٣١٦
من همس المناجاةوحديث الخاطر(١٩٤)	٣٢٠

الموضوع	الصفحة
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٩٥)	٣٢٣
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٩٦)	٣٢٦
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٩٧)	٣٢٩
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٩٨)	٣٣٣
من همس المناجاةوحديث الخاطر (١٩٩)	٣٣٦
من همس المناجاةوحديث الخاطر (٢٠٠)	٣٣٩
كتب وإصدارات أ/ رجائى عطيه	٣٤٢
الفهرس	٣٤٧

رقم الإيداع
٢٠١٢ / ٩٣١٢

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977-209-226-3